

أئمة .. وقيم
(٣)

الإمام الحسين وقيم الدين الأصيل

دراسة علمية حول دور الإمام الحسين في الحفاظ على أصالة الدين

د. نور الدين أبو لحية

هذا الكتاب

هذا الكتاب محاولة لتجاوز المنهج التاريخي في البحث المرتبط بالإمام الحسين ذلك أن مكانته في الـدين ــ كمـا تـذكر الأحـاديث الشـريفة المتفـق على صـحتها ــ تتجـاوز المكـان والزمـان؛ فهـو يمثـل الـدين الأقـوم، والسـراط المستقيم، الذي تحتاج كل الأجيال للاستنارة به، والاهتــداء بهديه.

وقد رأينا من خلال استقراء مـا ورد عنـه من روايـات، أربع قيم كبرى، لا يمكن لمن يريد أن يطبق وصـايا رسـول الله ﷺ في حقه أن يتجاوزها، أو لا يهتم بها، وهي:

القيم الإيمانية: ونقصــد بهــا مــا يتعلــق بحقــائق العقائد، والضوابط التي تحميها من أن تقع فيما وقعت فيه معتقدات الملل والنحل من التحريف والتبديل.

القيم الروحية: ونقصـــد بهـــا التوجـــه إلى اللـــه بالعبودية ظاهرا وباطنا، وأسرار المعاني المرتبطة بها.

القيم الأخلاقية: ونقصد بها تلك الملكات الراســخة الــتي تــبرز من البــاطن إلى الظــاهر، لتعــبر عن الكمــال المعنوي للإنسان وعلاقاته الإيجابية مع كل شيء.

القيم الرسـالية: ونقصـد بهـا مواجهـة الطـواغيت والظلمة والانحرافات بكل قـوة وشـجاعة وبـذل وتضـحية، كما نقصد بها ذلك الامتداد الذي يتجاوز بـه الإمـام المكـان والزمان لينتشر هديـه في كـل الأزمنـة والأمكنـة، لتتحقـق على يديه الهداية العامة الشاملة.

أئمة وقيم

(3)

الإمام الحسين

وقيم الدين الأصيل

دراسة علمية حول دور الإمام الحسين في الحفاظ على أصالة الدين

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة

يحاول هذا الكتاب أن يتعرف على بعض أسرار تلك النصوص التي نطق بها رسول الله ﷺ في حق الإمام الحسين ، والتي تـدل على أن له مكانة خاصة في الدين لا ينبغي تجاوزهـا، أو الاسـتهانة بها، أو التقليل من شأنها، ذلك أن الذي نطق بها هـو من لا ينطـق عن الهوى، ومن لا يحابي أحدا أو يجامله.

ومن أهم تلـك النصـوص، وأكثرهـا دلالـة على ذلـك الـدور ومحوريته في الدين، قوله ﷺ في الحديث الذي اتفق على روايتـه الأمة جميعا: (حسـين مـني، وأنـا من حسـين، أحب اللـه من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط)[1]

فهذا الحديث بأجزائه الأربعة يدل على معـاني عميقـة ترتبـط بهذا الإمام، وتجعل له حضورا خاصا في الدين:

فهـو **أولا** يـذكر العلاقـة الـتي تجمـع رسـول اللـه ﷺ بالإمـام الحسين ، والتي عبر عنها رسـول اللـه ﷺ بقولـه: (حسـين مـني)، وهي عبارة لا يمكن اختصارها في ذلك المعـنى المحـدود البسـيط الذي فسره به بعضهم؛ فقال: (معنى الحديث واللـه أعلم كأنـه ﷺ علم بنـور الـوحي مـا سـيحدث بينـه وبين القـوم، أعـني يزيـد بن معاوية وأميره عبيد الله بن زياد، وما جرى من يزيـد وأمـيره على الحسـين من تلـك الوقعـة المشـهورة الـتي أسـفرت عن قتـل الحسـين سـنة إحـدى وسـتين هجريـة، فلـذلك خصـه الرسـول ﷺ بالذكر، وبين أنـه والحسـين كالشـيء الواحـد في المحبـة وحرمـة التعـرض لـه ومحاربتـه، وأكـد ذلـك بقولـه: (أحب اللـه من أحب

[1] رواه جمـع كبـير من المحـدثين، منهم: 15- الأدب المفـرد، محمـد بن إسـماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256ه)، حققه محمد فؤاد عبـد البـاقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، 1409 - 1989، (ص133، رقم 364)، وسنن الترمذي، محمّد بن سورة الترمذي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (5/658، رقم 3775) وقـال : حسـن، وابن ماجـه (1/51، رقم 144)، المسـتدرك على الصـحيحين، الحـاكم النيسابوري، دار الفكر، 1398 هـ، بيروت (3/194، رقم 4820)، وقال: صحيح الإسناد، مسند أحمد بن حنبل، أحمـد بن حنبـل، دار الفكـر، بـيروت، (4/172، رقم 17597)، المصـنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تقديم كمال يوسف الحوت، 7 مجلدات، دار التاريخ، الطبعـة الأولى، بيروت (6/380، رقم 32196)، وانظر: بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسـيّ، بـيروت، مؤسّسة الوفاء، 1403ق:(43 / 261 / 1 وص 264 / 16)

حسيناً، حسين سبط من الأسباط) أي من أولاد أولاده، لأنه ابن فاطمة رضي الله عنها، أي هو أمة من الأمم في الخير والصلاح) (1)

بل هو يدل فوق ذلك على أن الإمام الحسين يمثل رسول الله ﷺ أصدق تمثيل لأنه منه، وبكل أجزائه وجوانبه، وبلاغة رسول الله ﷺ أعظم من أن تريد بذلك النسبة الطينية، فهي نسبة معروفة، لا يحتاج رسول الله ﷺ أن يذكرها أو يؤكدها.

وبما أن رسول الله ﷺ هو الممثل الحقيقي للدين، وهو القرآن الناطق، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وهو الذي لا يتحرك حركة إلا وفق مرضاة الله؛ فإن من ضرورات تلك النسبة أن يكون للإمام الحسين كل تلك الأوصاف، لأنه يستحيل أن يكون منه، ثم يكون بعد ذلك مخالفا له، وإلا لم يصدق ذلك الوصف عليه.

وبذلك فإن رسول الله ﷺ في ذلك الحديث لم يكن يخاطب الإمام الحسين فقط، وإنما كان يخاطب الأمة جميعا، ويخبرها أن الإمام الحسين يحمل نسخة أصلية من الدين الأقوم، وأنه في حال غيابه، أو في حال الحاجة، أو في حال اختلاط الملل والنحل، يمكن العودة إليه لتجنب الدين المزيف الأعوج الذي يريد الشيطان أن يجر إليه هذه الأمة، مثلما فعل مع سائر الأمم.

وانطلاقا من هذا فإن هذا الجزء من الحديث يدعو كل عاقل إلى البحث عن سيرة هذا الإمام، والقيم التي كان يحملها، والتصورات التي كان يعتقدها، والسلوك الذي كان يسلكه، ليجعل منه معيارا وميزانا يميز به الطيب من الخبيث، والأصيل من المزيف.

والجزء الثاني من الحديث، وهو لا يقل عن جزئه الأول أهمية هو قوله ﷺ: (**وأنا من حسين**)، وهي عبارة تحمل دلالات كثيرة وعميقة، لعل أولها هو أن الإمام الحسين امتداد لرسول الله ﷺ، فالإمامة امتداد للنبوة، وللقيم التي تحملها، وهذا يعني أن

---

1) مكنون الفتاوى والدرر، أحمد بن حجر، ص35.

ما أصابه من كل أنواع البلاء أصاب رسول الله ﷺ نفسه، بل إن القتل الذي حصل في كربلاء، والذبح الذي حصل بعده، لم يكن للإمام الحسين فقط، وإنما كان لرسول الله ﷺ أيضا.. ولذلك عظمت المصيبة، واشتدت الرزية، وكان المصاب أعظم من أن يُعبر عنه.

وهو كذلك يشير إلى أن للإمام الحسين دورا في امتداد الدين الأصيل، وهو ما عبرت عنه تلك العبارة المشهورة (الاسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء)(1)، وقد كان ذلك بالفعل؛ فثورة الإمام الحسين وحركته كان لها تأثيرها في جميع التاريخ؛ فهي التي كانت ولا زالت منبعا ثريا للثورة ضد الظلم والطغيان والتحريف، كما أنها منبع لكل القيم الأصيلة والأخلاق العالية والتضحية العظيمة.

وقد عمق رسول الله ﷺ هذين المعنيين **بالمقطع الثالث** من الحديث، والذي قال فيه: (**أحب الله من أحب حسينا**)، وهو مقطع يتسق مع المقطعين السابقين، ويبين أن خط الإمام الحسين ليس خطا نبويا فقط، وإنما هو خط إلهي أيضا، بل هو خط الولاية نفسها.

ذلك أن الولي ـ حسب ما تدل عليه النصوص المقدسة ـ ليس الذي يحب الله فقط، وإنما الذي يحبه الله، كما ورد ذلك في الحديث المتفق على روايته في المصادر السنية والشيعية، والذي يقول فيه رسول الله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن

---

1) قائل هذه العبارة هو العلامة الشيخ محمد حسين كاشف كما نسبها إليه الحاج حسين الشاكري، انظر: الكشكول المبوب، الحاج حسين الشاكري، المطبعة: ستارة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨، ص 44.

استعاذني لأعيذنه)(1)

فهذا الحديث يشير إلى المرتبة الخاصة الـتي ينالهـا من يحب الإمـام الحسـين ، وهي محبـة اللـه، والـتي تعتـبر أرقى درجـة في سلم الولاية، ذلك أنه لا ينالها ـ كما ورد في الحديث ـ إلا من أدمن على الطاعة، ولازمها، وامتلأ بمحبة الله، وبعدها ينال شرف محبـة الله له.

وبما أن المحبة ليست مشاعر عاطفيـة مجـردة فقـط، وإنمـا هي انسياق تام وراء المحبوب، وتبعية مطلقة له، كمـا وضـح ذلـك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللـه﴾ [آل عمـران: 31]، فـإن هـذا الجـزء من الحـديث يشـير إلى ضـرورة التبعية المطلقة للإمام الحسين ، لأنـه لا يصـح في عـالم الحب أن يجادل المحب محبوبه.

ولذلك فإن الذين يتحـدثون عن الإمـام الحسـين بتلـك النـبرة الاستعلائية، والتي تجعلهم يناقشون حركاته وسـلوكاته وتصـرفاته، ويزنونهـا بمـا يتوهمونـه من أوهـام، ومـا يضـعونه من مـوازين، لم تغب عنهم الحقـائق الشـرعية فقـط، إنمـا غـاب عنهم قبـل ذلـك وبعده تلك المشاعر العاطفية الجياشة التي دعا رسول الله ﷺ أن يُعامل بها الإمام الحسين ، لا لكونه حفيده ﷺ، وإنمـا لكونـه يمثـل الحقيقة والقيم الـتي أرادهـا اللـه، ولا يصـح أن نناقش اللـه فيمـا أراد.

ذلك أن الحب في حقيقته ـ كما ينص على ذلك علماء النفس المسلمون وغيرهم ـ هو اعتقاد كمال المحبوب من كـل النـواحي، ولذلك يستحيل على من يحب شخصا أن يرى عيبا من عيوبه، بـل

1) صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري، دمشق وبيروت: دار ابن كثير واليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1414ـ (4 / 231)، وقد روي الحديث في المصادر الشيعية بهذه الصيغة: (قال الله عز وجل: من أهـان لي وليـا فقـد أرصـد لمحـاربتي، ومـا تقـرب إلي عبـد بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إلي بالنافلـة حـتى أحبـه، فـإذا أحببتـه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويـده الـتي يبطش بهـا، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته) انظر: الكـافي، أبـو جعفـر الكليـني، تحقيـق علي أكـبر الغفـاري، دار الكتب الإسـلامية، 1363 هـ ش، طهـران (2 / 352)، المحاسـن، ابن جعفـر محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الاسلامية، طهران (1 / 454 / 1047)، بحارالأنوار (70 / 22 / 21)

إنه يرى العيوب نفسها كمالا، هذا بالنسبة للأشخاص العاديين؛ فكيف بمن حظي بتلك النسبة الشريفة، فكان من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ منه.

وبذلك فإن هذا الجانب العملي من هذا الجزء من الحديث لا يدعو فقط إلى البحث عن القيم التي ارتبطت بالإمام الحسين لالتزامها والعمل بها، وإنما يدعو قبل ذلك إلى التعامل مع الإمام الحسين بالعاطفة المشحونة بمشاعر الحب، ذلك أن تلك المشاعر هي الكفيلة بغرس كل القيم الرفيعة؛ فالحب أعظم مدرسة تربوية، ذلك أن صفات المحبوب تنتقل بسلاسة وسهولة إلى المحب، وبقدر المحبة التي امتلأ بها قلبه.

وأما **الجزء الأخير** من الحديث؛ فهو جزء لا يقل عن سابقيه دلالة، ذلك أنه يشير إلى أن الأمة ستنقسم إلى أسباط وفرق ونحل كثيرة، كما أشار إلى ذلك قوله ﷺ: (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين، والنصارى مثل ذلك، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[1]، ويشير في نفس الوقت إلى أن الإمام الحسين سيكون سبطا من الأسباط، وفرقة من الفرق، ولذلك من أراد الدين الأصيل، وقيمه الرفيعة؛ فعليه باتباعه، وسلوك سبيله.

وهو في ذلك يشبه قوله تعالى في حق إبراهيم : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120]؛ فلم يكن رسول الله ﷺ يقصد تلك النظرة السطحية التي فسر بها الحديث، والتي تقصره على كونه سبطا نسبيا، ذلك أن هذا النوع من السبطية لا يحوي أي ثناء أو مدح، لأنه متحقق لكل الناس، فالكثير منهم يمكن أن يصير سبطا، وليس عليه لأجل تحقيق ذلك سوى الإكثار من الذرية.

وربما يكون رسول الله ﷺ ذكر السبطية بدل الأمة، لأن الإمام الحسين تابع لرسول الله ﷺ، ومتمثل بالهدي الذي جاء به،

---

1) رواه أحمد (2/332)، وسنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار إحياء السنّة النبويّة. (4596)، وسنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية. (3991)، والترمذي (2640)، وقال: حديث حسن صحيح.

وهو بذلك يكون مرآة صافية تعكس هديه، وصراطا مستقيما يوضح منهجه النظري، ليحوله إلى واقع عملي.

فهذا الحديث بأجزائه جميعا، والذي لا يمكن أن يكون مجرد مجاملة ـ كما يصور البعض ـ يشير إلى أن للإمام الحسين دورا مركزيا في الدين، لا يصح أن نتجاهله، أو نغض الطرف عنه، وإنما علينا أن نبحث عنه، وفي أعماقه، لنصل من خلاله إلى الدين الأصيل، ونفر من خلاله من كل اعوجاج وانحراف للدين.

وبناء على هذا كان هذا الكتاب محاولة للبحث عن القيم الأصيلة التي مثلها الإمام الحسين ، والتي استحق بها كل ذلك الثناء العطر، الذي صدر من مشكاة النبوة، ليقلده منصب الإمامة الرفيع.

ولم يكن ذلك النص وحده ما يشير إلى تلك الإمامة؛ ففي مصادر الفريقين السنة والشيعة نجد قوله ﷺ: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)[1]؛ فهذا الحديث يتجاوز البشارة الغيبية المرتبطة بالآخرة، ليدل على بشارة أخرى ترتبط بالدنيا، وهي مضمنة في كلمة [السيد] والتي تعني في اللغة العربية الاتباع [2]، أي أن الإمام الحسين وأخاه سيدان أي مُتبعان، يتبعهما شباب أهل الجنة.. وهو بشارة من رسول الله ﷺ لمن يتخذ هذين الإمامين الجليلين سيدين له بالجنة، وهو يدل على صوابية ذلك الاتباع، وكونه أشرف وأرقى أنواع الاتباع.

وهكذا يمكن أن تفسر كل النصوص التي وردت في حق الإمام الحسين ، أو في حق أخيه الإمام الحسن ، فهي نصوص لا تعبر عن عاطفة الأبوة ـ كما يذكر بعضهم ـ وإنما تعبر عن حقائق وجودية شرعية؛ فرسول الله ﷺ أعظم من أن يدخل عاطفة

---

1) رواه أحمد في المسند، (3/62ـ 82) وفي (3/64) وفي (3/80) والترمذي (3768)، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة 2، 1403هـ، 1983م، (4134)

2) انظر في معنى كلمة السيد: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة3- 1414 هـ (3/ 228)

الأبوة في قضايا الدين، وكيف يفعل ذلك وقد أنزل الله عليه خبر هلاك بابن نوح وامرأته، وأنزل عليه معها حال أبي لهب عمه ﷺ.

لكن ـ للأسف ـ مع كل تلك النصوص المقدسة الواضحة المتفق عليها نجد تهوينا كبيرا في حق الإمام الحسين إلى درجة جعلته عند بعضهم لا يساوي درجة أدنى الصحابة وأصغرهم، ذلك أنهم كلما يوردون حادثة كربلاء، يذكرون معها نصيحة عبد الله بن عمر، ليستنتجوا بعدها أن رأي ابن عمر كان أكثر حكمة وصلاحا، في نفس الوقت الذي يعتبرون فيه ابن عمر من صغار الصحابة.. وبذلك صار الإمام الحسين في أذهان عامة الناس من المدرسة السنية أدنى حالا، وأقل حكمة من صغار الصحابة.

بل إن أكثر عوام الناس في هذه المدرسة للأسف لا يتجاوز الإمام الحسين عندهم مرحلة صباه الباكر، حينما كان يصعد مع أخيه الإمام الحسن على ظهر رسول الله ﷺ، وهو يصلي، ويذكرون ذلك لا في فضائله وفضائل أخيه، وإنما في رحمة رسول الله ﷺ وعطفه على الصغار، مع أن رسول الله ﷺ في ذلك الحديث نفسه يشير إلى الدور المحوري المنوط به وبأخيه، فقد ورد فيه: (دعوهما بأبي هما وأمي من أحبني فليحب هذين)[1]

فهذا الحديث يضم إلى الأحاديث السابقة في بيان ضرورة اتباع هذا الإمام الجليل، لأنه لا يمكن أن تتحقق المحبة من دون أن يكون معها الاتباع، فالاتباع ثمرة المحبة، وعلامة صدقها، وقد أخبر رسول الله ﷺ أن من شرط محبته محبة هذين الإمامين الجليلين.

انطلاقا من هذه النصوص المقدسة نحاول في هذا الكتاب التعرف على القيم التي كان يمثلها الإمام الحسين ، والتي دعانا رسول الله ﷺ إلى البحث عنها، لتقويم ديننا بحسبها؛ فهي قبلة الدين الأصيل، وهي المعيار الذي نحتكم إليه عند الاختلاف.

---

1) السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، حققه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، الطبعة 3، 1424 ه - 2003 م (2/263)، وتاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م. (4/257/1 ـ 2) و[14/160]

فالإسلام مثل سائر الأديان له جانبان: جانب نظري تمثله نصوصه المقدسة، وجانب عملي يمثله الهداة ابتداء من رسول الله ﷺ، وانتهاء بمن أوصى رسول الله ﷺ باتباعهم باعتبارهم منه، وهو منهم.

ولذلك فإن البحث في الإمام الحسين ، ينبغي أن يتجاوز المنهج التاريخي المرتبط بالمكان والزمان، ذلك أن الإمام الحسين ـ كما تذكر الروايات ـ يتجاوز المكان والزمان، لأنه يمثل الدين الأقوم، والسراط المستقيم، الذي تحتاج كل الأجيال للاستنارة به، والاهتداء بهديه.

وبناء على هذا، حاولنا في هذا الكتاب أن نتعرف على القيم الرفيعة التي مثلها الإمام الحسين ، والتي هي في حقيقتها قيم الدين الأصيل الذي عاش حياته كلها من أجله، وختمها بالاستشهاد في طريقه.

وقد رأينا من خلال الاستقراء أربع قيم كبرى، لا يمكن لشخص يريد أن يطبق وصايا رسول الله ﷺ في حق الإمام الحسين أن يتجاوزها، أو لا يهتم بها، وهي:

القيم الإيمانية: ونقصد بها ما يتعلق بحقائق العقائد، والضوابط التي تحميها من أن تقع فيما وقعت فيه معتقدات الملل والنحل من التحريف والتبديل.

القيم الروحية: ونقصد بها التوجه إلى الله بالعبودية ظاهرا وباطنا، وأسرار المعاني المرتبطة بها.

القيم الأخلاقية: ونقصد بها تلك الملكات الراسخة التي تبرز من الباطن إلى الظاهر، لتعبر عن الكمال المعنوي للإنسان وعلاقاته الإيجابية مع كل شيء.

القيم الرسالية: ونقصد بها مواجهة الطواغيت والظلمة والانحرافات بكل قوة وشجاعة وبذل وتضحية، كما نقصد بها ذلك الامتداد الذي يتجاوز به الإمام المكان والزمان لينتشر هديه في كل الأزمنة والأمكنة، لتتحقق على يديه الهداية العامة الشاملة، كما قال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ

هَادٍ﴾ [الرعد: 7]

وهذه الأصول الأربعة للقيم هي الـتي سـنحاول إن شـاء اللـه دراستها في هذا الكتاب من خلال المصـادر الروائيـة الـتي جُمعت فيهـا مقـولات الإمـام الحسـين وأفعالـه، لا لنعيـد سـردها، وإنمـا لنستنبط منها منهج الحياة الإيمانية كما يرسـمها الإمـام الحسـين ، والتي تمثل الدين الأصيل.

ونحب أن ننبـه في آخـر هـذه المقدمـة إلى ثلاث ملاحظـات مرتبطـة بمصـادر النصـوص الـتي ننقلهـا عن الإمـام الحسـين أو الأحداث التاريخية المرتبطة بسيرته العطرة:

أولها ــ أنـه بسـبب نقص الروايـات الـواردة في المصـادر السـنية عن هـذا الإمـام الجليـل، اعتمـدت في أكـثر الأحيـان على المصادر الشيعية، باعتبارها المصدر الأكبر لأغلب الروايات الواردة عنه.

وهذه الروايات ـ مع كونها لم تـرو في المصـادر السـنية ــ إلا أنه لا يمكن لأي سني نزيه أن يرفضها ذلك أنها تتوافق ـ أولا ـ مـع القرآن الكريم، الثقل الأكـبر، والمصـدر الأعظم لحقـائق الإسـلام، وتتفق ثانيا مع الأحاديث الصحيحة القطعية التي يتفق على روايتها السنة والشيعة.

ولـذلك فـإن التقصـير الـذي حصـل في الروايـة عن الإمـام الحسن في المصادر السنية، في نفس الوقت الـذي أشـبعت فيـه تلــك المصــادر بالروايــة عن كعب الأحبــار ووهب بن المنبــه، وغيرهما،لا يعفي من يريد أن يلتزم بتلك التعليمات النبوية الواردة في حـق الإمـام الحسـين ، من الاعتمـاد على المصـادر الشـيعية، خاصة وأنها تتوافق مع المصادر الأصلية التي يعتمدها.

أمـا رفض تلـك الروايـات بحجـة روايتهـا عن الشـيعة؛ فهـو استعلاء، وتكبر ذلك أن كل من كان يحيـط بالإمـام الحسـين كـانوا من أصـحابه الـذين صُـنفوا في كتب الرجـال بكـونهم شـيعة، ثم وضعوا في كتب الجـرح والتعـديل ضـمن المبتدعـة الـذين لا تصـح الرواية عنهم.

وهل يمكن لعاقل أن يتصور الرواية عن الإمـام الحسـين من أصحاب معاوية ويزيد وزياد بن أبيه الذين كانوا لا يخفون عـداوتهم لأهل الـبيت، وفي نفس الـوقت ضـمنت لهم كـل التشـريفات في كتب الجرح والتعديل، باعتبارهم ثقاة وأئمة للدين، وكل ما ينقلونه مقبـول وصـحيح، وأولهم عمـر بن سـعد قائـد الجيش الـذي قاتـل الإمام الحسين ، والذي قـال فيـه العجلي: (عمـر بن سـعد بن أبي وقاص مدني ثقة كان يروي عن أبيـه أحـاديث، وروى النـاس عنـه، وهو الذي قتل الحسين، قلت: كان أمير الجيش ولم يباشـر قتلـه) (1)

وقال عنه ابن حجـر: (عمـر بن سـعد بن أبي وقـاص المـدني نزيل الكوفـة صـدوق، ولكن مقتـه النـاس لكونـه كـان أمـيرا على الجيش الذين قتلوا الحسين بن علي)(2)

فهــل يمكن لمن يضــع أصــحاب الإمــام الحســين في زمــر المبتدعــة المجــروحين، ويضــع عمــر بن ســعد وغــيره في زمــر الموثوقين أن نجد عنده أي نصوص يمكن من خلالها التعـرف على شخصية الإمام الحسين والقيم العظيمة التي جاء بها.

ولو أننا طبقنا ذلك المقياس الـذي وضـعوه، وطبقنـا معـه مـا يوردونـه كـل حين من تحـريم الحـديث في كـربلاء باعتبارهـا من الفتن، أو باعتبارها إرثا شيعيا، لما أمكن لأحـد في الـدنيا أن يكتب كتابا واحدا عن الإمام الحسين ، بل ولا فقـرة واحـدة عنـه، لأنهم ـ للأسف ـ يكتفون بذكر احترامة المجـرد بنـاء على علاقتـه النسـبية برسـول اللـه ﷺ، وليس باعتبـاره إمامـا من أئمـة الـدين، لم ينـل الإمامة بتلك النسبة الشـريفة لرسـول اللـه ﷺ فقـط، وإنمـا نالهـا بتقواه وصبره وتضحيته وتمثله لكـل قيم الـدين، كمـا قـال تعـالى:

1) معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صـالح العجلى الكـوفى، المحقـق: عبـد العليم عبـد العظيم البستوي، مكتبة الدار - المدينة المنورة – السعودية، الطبعة: الأولى، 1405 – 1985م، (2/ 166)، وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت، (3/ 198)

2) تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمـد بن حجـر العسـقلاني، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، 1406 – 1986، (1/ 717)

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئمة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: 24]

وثانيها ـ هو أن الكثير من أتباع المدرسة السنية يعترضون على بعض الروايات الواردة عن الإمام الحسين ، بكونها جاءت بلغة لا تتناسب مع أساليب التعبير التي كانت معتمدة في ذلك العصر(1)، وهذا اعتراض غير وارد، لأسباب متعددة منها:

1 ـ أن الكثير من أصحاب المدرسة السنية ــ بسبب تأثرهم بأطروحات الأمويين وانتقاصهم من أهل البيت ــ راحوا يتصورون الإمام علي والإمام الحسين وسائر الأئمة مثل سائر معاصريهم في بلاغتهم وعلومهم، وهذا خطأ كبير؛ فشتان بين من ربي بين أحضان القرآن الكريم، وفي بيت النبوة، وبين غيرهم، مهما كان فضلهم وعلمهم.

2 ـ أن رواة أحاديث الإمام الحسين وغيره من الأئمة قد لا ينقلون الروايات بألفاظها، وإنما يتصرفون فيها، مع الحفاظ على المعاني، وهذا وارد أيضا في الكثير من الروايات الواردة في المصادر السنية، بل هم متفقون على جواز الرواية بالمعنى، فقد عقد الخطيب البغدادي في كتابه [الكفاية في علم الرواية]، وهو من أهم مصادر علوم الحديث في المدرسة السنية فصلا تحت عنوان: [باب ذكر من كان يذهب إلى إجازة الرواية على المعنى من السلف، وسياق بعض أخبارهم في ذلك](2)

ومن النصوص التي ساقها لإثبات ذلك ما رواه عن مكحول، قال دخلنا على واثلة بن الأسقع فقلنا: يا أبا الأسقع، حدثنا حديثا

(1) من الأمثلة على ذلك ما ورد في كتاب [التوحيد، الشيخ الصدوق، صححه وعلق عليه: السيد هاشم الحسيني الطراني، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان، ص 90] قول الإمام الحسين في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: 3]: (لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعب منه البداوات، كالسنة والنوم، والخطرة والهم، والحزن والبهجة، والضحك والبكاء، والخوف والرجاء والرغبة والسأمة، والجوع والشبع)

(2) الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: أبو عبدالله السورقي , إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية - المدينة المنورة، (ص: 203).

سمعته من رسول الله ﷺ، ليس فيه وهم ولا نسيان، فقال، هل قرأ أحد منكم الليلة من القرآن شيئا؟ قالوا: نعم، قال: فهل زدتم ألفا أو واوا أو شيئا؟ فقلت: إنا لنزيد وننقص، وما نحن بأولئك في الحفظ؟ فقال: فهذا القرآن بين أظهركم وأنتم تدرسونه بالليل والنهار، فكيف ونحن نحدث بحديث سمعناه عن رسول الله ﷺ مرة أو مرتين، إذا حدثتكم على معناه فحسبكم) (1)

ومنها ما حدث به عن أبي سعيد، قال: (كنا نجلس إلى النبي ﷺ عسى أن نكون عشرة نفر نسمع الحديث، فما منا اثنان يؤديانه على حرف، غير أن المعنى واحد) (2)

ومنها ما حدث به عن عائشة أنها قالت لهشام بن عروة: (يا بني، إنه يبلغني أنك تكتب عني الحديث ثم تعود فتكتبه)، فقال لها: أسمعه منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع في المعنى خلافا؟ قلت: لا، قالت: لا بأس بذلك) (3)

وهكذا نرى أئمة أهل البيت يجيزون للرواة عنهم الرواية بالمعنى، فعن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله : أسمع الحديث منك فأزيد وأنقص. قال: (إن كنت تريد معانيه فلا بأس) (4)

وعن داود بن فرقد، قال: قلت لأبي عبد الله : إني أسمع الكلام منك فأريد أن أرويه كما سمعته منك فلا يجيئ ذلك، قال: فتتعمد ذلك؟ قلت: لا. قال: تريد المعاني؟ قلت: نعم. قال: فلا

---

1) المرجع السابق، ص: 204.

2) المرجع السابق، ص: 205.

3) المرجع السابق، ص: 205.

4) الكافي، 1 / 51.

بأس [1]

ثالثها ـ أننا لم ندقق كثيرا في أسـانيد الروايـات، بـل جعلنـا القيم هي معيارنـا الأول؛ فكـل نص أو روايـة لا تتعـارض مـع القيم النبيلة التي ذُكرت في القرآن الكريم، ورأينا أن معناها يتناسب مع النصوص المقدسة الواردة في القرآن الكريم أو السـنة المطهـرة أو الأقـوال الأخـرى لأئمـة أهـل الـبيت ، قبلناهـا، مـع الإشـارة إلى مصادرها ليتحقق في أسانيدها من شاء ذلك.

وبناء على هذا ذكرنا بجنب كل قيمة بالإضافة إلى ما ورد عن الإمام الحسين بشأنها، ما ورد في القرآن الكريم أو الروايـات عن رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار.

وقد فعلنا ذلك لسببين:

الأول: حتى لا يصبح الكتاب مملوءا بالأبحاث الحديثيـة الـتي وقع في معظمها الخلاف بين المحدثين أنفسهم.

الثاني: اعتقادنا أن الإمام الحسين وغيره من الأئمة يمثلـون القيم القرآنية أحسن تمثيل؛ فلـذلك كـانت كـل روايـة تؤكـد ذلـك، رواية يمكن الاستفادة منها، لعدم ضررها، حـتى لـو رويت بأسـانيد ضعيفة.

1) المرجع السابق، 1 / 41.

الفصل الأول

الإمام الحسين والقيم الإيمانية

تعتبر القيم الإيمانيـة الأسـاس الـذي تبـنى عليـه جميـع القيم الروحية والأخلاقية والرسالية، وغيرها، ذلك أنها تشكل التصــورات المرتبطـة بـالوجود والكـون والحيـاة، ومنهـا تتشـكل التصـورات المرتبطة بسائر القيم.

ولهذا لم تكن الحركة الحسـينية في كـربلاء وقبلهـا، متوجهـة للثورة على الظلم والاستبداد فقط، وإنما كانت متوجهة قبل ذلــك للحفاظ على القيم الإيمانية التي أراد بنـو أميـة تحريفهـا، وتحويـل الإسلام إلى الوثنية التي تحـولت إليهـا اليهوديـة والمسـيحية وكـل الأديان السماوية، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: 106]

وقـد عـبر الإمـام الحسـين عن أهميـة هـذا النـوع من القيم، وكونه الهدف الأكبر من حركته وحركـة أبيـه وأخيـه وسـائر الأئمـة الراشدين بقوله ـ لمن سأله عن عن قول الله عـز وجـل: ﴿هَـذَانِ خَصْــمَانِ اخْتَصَــمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: 19]: (نحن وبنــو أميــة اختصمنا في الله عز وجـل، قلنـا، صـدق اللـه وقـالوا: كـذب اللـه، فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة)[1]

وذلـك أن هـدف الـدين الأساسـي هـو تعريـف الخلـق باللـه، وعبادتهم له، والتي لا يمكن أن تتحقـق من دون معرفـة صـحيحة، وقد روي أن الإمام الحسـين خـرج ذات يـوم على أصـحابه؛ فقـال بعد حمد الله تعالى، والصلاة على رسـوله ﷺ: (يـا أيّهـا النـاس إنّ الله ـ والله ـ ما خلق العباد إلّا ليعرفوه؛ فإذا عرفـوه عبـدوه، فـإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه)[2]

---

1) الخصال: ٤٣ ح ٣٥، بحار الأنوار: ج٣١ ص٥١٧.

2) علـل الشـرائع، الشـيخ الصـدوق، ط 1386، منشـورات المكتبـة الحيدريـة، النجـف الأشرف: ٩ ح ١، كنز الفوائد، الشيخ القاضي أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي، المحقـق :

وهكذا عبر سائر الأئمة عن هذا المعنى؛ فكلهم متفقون على أن الهـدف الأكـبر من الـدين هـو التعـرف على اللـه، والتواصـل الروحي معه، وأن كل ما عد ذلـك وسـائل وأسـاليب لتحقيـق هـذا المقصد العظيم؛ فعن الإمام الصادق أنه قال: (لو يعلم النـاس مـا في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم إلى ما متع اللـه بـه الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقـلَّ عنـدهم مما يطوونه بأرجلهم، ولنَعِمُوا بمعرفة اللـه عـز وجـل وتلـذذوا بهـا تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله) (1)

ثم فصل بعض آثار ذلك بقوله: (إن معرفة الله عز وجل أنْسٌ من كل وحشة، وصاحبٌ من كل وحدة، ونورٌ من كل ظلمة، وقـوةُ من كل ضعف، وشفاءٌ من كل سقم) (2)

وقال قبله الإمام علي : (أولُ الدين معرفته، وكمـالُ معرفتـه التصديق به، وكمالُ التصديق به توحيدُه، وكمـالُ توحيـده الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاص له نفيُ الصفات عنه، لشـهادة كـلِّ صـفة أنهـا غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة)(3)

وهكـذا وردت الروايـات الكثـيرة عن سـائر الأئمـة تـدعو إلى الاهتمام بالبحث الجـاد عن المعرفـة الإلهيـة من سـبلها الصـحيحة المعصومة، حتى لا يحيق بهذه الأمة ما حاق بغيرها من الأمم.

ذلك أن من عادة الشيطان ـ كما يخـبر القـرآن الكـريم ــ أن يبدأ بالسعي في تشويه هذه المعرفة في حياة الأنبيـاء، أو بعـدهم؛ فـإن تمكن من ذلـك لا يبـالي بعـدها بشـيء، لأنـه بتشـويه القيم الإيمانية، والحقـائق العقائديـة، تتشـوه كـل القيم، وكـل الحقـائق، وتتشوه بعدها كل السلوكات الشخصية والاجتماعية.

عبد الله نعمة، دار الذخائر، 1410 (ص ١٥١)، بحار الأنوار: (٥ / ٣١٢ ح ١، و٢٣ / ٨٣ ح ٢٢).

1) الكافي:8/247.

2) المرجع السابق :8/247.

3) نهج البلاغة، الإمام علي ، الشريف الرضـي، مركـز البحـوث الإسـلامية، 1395 هـ قم، 1/14.

وقد أخبر القرآن الكريم عن نموذج لذلك، وهو ما حصل لبني إسرائيل بمجرد خروجهم من مصر؛ فقد كان أول ما طلبوه ـ بغواية من الشيطان ووسوته ـ أن يجعل لهم موسى إلها كالآلهة التي تعبدها الأمم من حولهم، لأنه عز عليهم أن يعبدوا إلها لا يتمكنون من رؤيته، قال تعالى مشيرا إلى ذلك: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى الله جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 55]

وهكذا ذكر القرآن الكريم حرصهم على الرؤية الجهرية الحسية لله، حتى عوقبوا على ذلك(1)، ومع ذلك لم تثنهم تلك العقوبة عن البحث عن إله حسي يمكنهم أن يروه ويلمسوه، ولذلك بمجرد أن غاب موسى صنعوا إلها من ذهب، وصاروا يعبدونه غير مراعين لتلك التوجيهات التي كان هارون يقوم بها مع الثلة القليلة الذين معه.

وما حصل في بني إسرائيل حصل مثله ـ للأسف ــ في هذه الأمة، حين ضيعت وصية نبيها ﷺ في البعد عن كل ما يمكن أن يحرف هذا الدين، ويشوه جمال عقائده، ولهذا دخلت الكثير من التحريفات في القيم الإيمانية، بعد تقريب السلطة الأموية لليهود الذين أسلموا، وإفساح المجال لهم لتعليم الناس قيم الدين، بل أُفسح المجال لهم لتفسير القرآن الكريم، ولهذا كان من الأدوار الكبرى التي قام بها الأئمة ـ بمن فيهم الإمام الحسين ــ مواجهة تلك التحريفات لتبقى العقيدة الإسلامية صافية بعيدة عن كل ما يشوهها.

بناء على هذا نحاول في هذا الفصل التعريف بدور الإمام الحسين في مواجهة التحريف الذي حصل للقيم الإيمانية، والتي صنفها علماء الكلام إلى قسمين:

(1) وقد ورد في الكتاب المقدس ما يشير إلى هذه النزعة التجسيمية، ففي سفر الخروج [الإصحاح 32،ـ 1]: (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا)، وفيه [13/20،ـ 1.]: (وارتحلوا من سكوت ونزلوا في طرف البرية وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم..)، وفي [سفر الخروج 24/9-11]: (صعد موسى وهارون.. وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف.. لكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا)، إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة.

1. قيم التنزيه: وهي تلك القيم التي تحفظ عقيدة المؤمن من أن يتسرب إليها ما لا تتناسب مع جلال الله وعظمته، كالتشبيه والتجسيم والتعدد والحدوث والعجز ونحوها، ويطلق على الصفات المرتبطة بها (صفات سلبية)، أو (جلالية)

2. قيم الكمال: وهي القيم التي تتضمن صفات الكمال والجمال لله، والتي يطلق عليها (الصفات الثبوتية الذاتيّة)، أو (الصفات الجمالية)، مثل كون الله حيا قادرا سميعا بصيرا له الأسماء الحسنى.

وقد أشار إلى كلا القسمين قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78]، (فصفة الجلال ما جلّت ذاته عن مشابهة الغير، وصفة الإِكرام ما تكرمت ذاته بها وتجملت)[1]؛ فلذلك يوصف الله بالكمال، وينزّه بالجلال.

وسنحاول ـ من خلال هذين النوعين من القيم ـ بيان كيف دعا الإمام الحسين إلى هذين الأصلين من أصول القيم، وكيف واجه تلك التحريفات التي حاولت أن تنحرف بالعقيدة الإسلامية إلى ما انحرفت إليه سائر الأديان السماوية، وسنرى كذلك مدى صلة ما طرحه بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وما ذكره الأئمه قبله وبعده، لنين من خلال ذلك كله مدى انسجام هذه المصادر المقدسة في تعبيرها القيم الإيمانية وحقائق العقيدة الإسلامية، مقارنة بتلك التحريفات التي حاول الشيطان أن يحدثها في هذه الأمة، والتي لا يزال لها وجود بينها للأسف.

أولا ـ الإمام الحسين وقيم التنزيه [الجلال الإلهي]:

عند التأمل في القرآن الكريم والسنة المطهرة وأحاديث أئمة أهل البيت نجد تركيزا شديدا على التنزيه، وكل ما يرتبط به، ذلك أنه لا يمكن أن تتحقق معرفة الله لمن سقط في أوهام التشبيه والتجسيم والشرك، أو وصف الله بما لا يليق به، ذلك أن وصفا واحدا من تلك الأوصاف، يمكنه أن يحطم كل الكمالات،

1) الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الأربعة، الملا صدرا صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الرابعة 1990م، ج 6، ص 118.

ويزرع الشك في جميع العقول.

ولهذا اعتبر القرآن الكريم نسبة الولد لله، كما يدعي النصارى وغيرهم، شيئا عظيما، ينهد له كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93)﴾ [مريم: 88 ـ 93]

وقد رد في الحديث أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله: علمني من غرائب العلم؟ فقال له رسول الله ﷺ: (ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائبه؟)، فقال الأعرابي: ما رأس العلم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: (معرفة الله حق معرفته)، فقال الأعرابي: وما معرفة الله حق معرفته؟، فقال ﷺ: (تعرفه بلا مثل، ولا شبه، ولا ند، وأنه واحد أحد، ظاهر باطن، أول آخر، لا كفو له ولا نظير، فذلك حق معرفته)(1)

ولهذا نجد في الروايات الواردة عن الإمام الحسين اهتماما كبيرا بقيم التنزيه، والرد على ظاهرة التجسيم والتشبيه التي اهتم بها بنو أمية، ووفروا الدعاة لها، من أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما.

وقد روي عنه نصان مهمان جدا، يؤسسان لقيم التنزيه، ويعطيان القواعد المرتبطة بذلك، والتأمل فيهما وحده كاف للرد على كل تلك المدارس التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، والتي شوهت العقيدة الإسلامية، وسربت إليها الكثير مما حصل لعقائد الأمم السابقة، حتى وصل الأمر إلى إدخال كل صور التشبيه والتجسيم والوثنية في العقائد الإسلامية.

أما النص الأول، فقوله ــ في خطاب له يشير به إلى تلك الظاهرة التي وفر لها بنو أمية كل أسباب الرعاية: (أيها الناس! اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم، يضاهئون قول

---

1) بحار الأنوار، 3 / 269.

الذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير، استخلص الوحدانية والجبروت، وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة والعلم بما هو كائن، لا منازع له في شيء من أمره، ولا كفو له يعادله، ولا ضد له ينازعه، ولا سمي له يشابهه، ولا مثل له يشاكله، لا تتداوله الأمور، ولا تجري عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدر الواصفون كنه عظمته، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته؛ لأنه ليس له في الأشياء عديل، ولا تدركه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم، إلا بالتحقيق إيقانا بالغيب؛ لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين، وهو الواحد الصمد، ما تصور في الأوهام فهو خلافه. ليس برب من طرح تحت البلاغ، ومعبود من وجد في هواء أو غير هواء، هو في الأشياء كائن لا كينونة محظور بها عليه، ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها، ليس بقادر من قارنه ضد أو ساواه ند، ليس عن الدهر قدمه، ولا بالناحية أممه، احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وعمن في السماء احتجابه كمن في الأرض، قربه كرامته وبعده إهانته، لا يحله (في)، ولا توقته (إذا)، ولا تؤامره (إن)، علوه من غير توقل[1]، ومجيئه من غير تنقل، يوجد المفقود ويفقد الموجود، ولا تجتمع لغيره الصفتان في وقت، يصيب الفكر منه الإيمان به موجودا، ووجود الإيمان، لا وجود صفة، به توصف الصفات لا بها يوصف، وبه تعرف المعارف لا بها يعرف، فذلك الله لا سمي له، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[2]

وأما النص الثاني، فهو ما روي أنه بينما كان ابن عباس يحدث، إذ قام إليه نافع بن الأزرق، فقال: يا ابن عباس! تفتي في النملة والقملة؟! صف لنا إلهك الذي تعبده. فأطرق ابن عباس إعظاما لله عز وجل، وكان الحسين بن علي جالسا ناحية، فقال: (إلي يا ابن الأزرق)، فقال: لست إياك أسأل. فقال ابن عباس: يا ابن الأزرق، إنه من أهل بيت النبوة، وهم ورثة العلم. فأقبل نافع

---

1) توقل في الجبل: صعد فيه.

2) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ط الثانية عام 1404، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (ص ١٧٣)، بحار الأنوار: (٤/٣٠١ ح ٢٩)

بن الأزرق نحو الحسين، فقال له الإمام الحسين : (يا نافع، إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الارتماس، مائلا عن المنهاج، ظاعنا في الاعوجاج، ضالا عن السبيل، قائلا غير الجميل. يا ابن الأزرق، أصف إلهي بما وصف به نفسه، وأعرفه بما عرف به نفسه؛ لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيد غير منتقص، يوحد ولا يبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال)[1]

وانطلاقا من تحليل هذين النصين، نحاول في هذا المبحث بيان مقتضيات التنزيه ـ كما يصفها الإمام الحسين ـ ودورها في مواجة الانحرافات العقدية، وقد رأينا أنه يمكن جمعها في نوعين:

1. تنزيه الله عن الإدراك والحدود.
2. تنزيه الله عن التشبيه والتجسيم.

وسنتناول قيمة هذه المعاني، ودورها في حفظ العقيدة الإسلامية من التحريف والتبديل والوقوع في الوثنية والشرك من خلال ذينك النصين، وغيرهما من كلماته.

1 ـ تنزيه الله عن الإدراك والحدود:

وهو ما أشار إليه الإمام الحسين بقوله: (ولا يقدر الواصفون كنه عظمته، ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته؛ لأنه ليس له في الأشياء عديل، ولا تدركه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم، إلا بالتحقيق إيقانا بالغيب؛ لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين، وهو الواحد الصمد، ما تصور في الأوهام فهو خلافه. ليس برب من طرح تحت البلاغ، ومعبود من وجد في هواء أو غير هواء) [2]

وقوله في نفس الحديث: (احتجب عن العقول كما احتجب

1) التوحيد: ٧٩ ح ٣٥، بحار الأنوار: ٤ / ٢٩٧ ح ٢٤، و٢ / ٣٠٢، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الطبع الجديد، المحدث النوري، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، 1407 هـ مشهد، ١٧ / ٢٦١ ح ٢١٢٨٧.

2) تحف العقول: ١٧٣، بحار الأنوار: ٤ / ٣٠١ ح ٢٩.

عن الأبصار، وعمن في السماء احتجابه كمن في الأرض)

وقوله: (يصيب الفكر منه الإيمان به موجودا، ووجود الإيمـان، لا وجـود صـفة، بـه توصـف الصـفات لا بهـا يوصـف، وبـه تعـرف المعارف لا بها يعرف، فذلك الله لا سمي له، سبحانه ليس كمثلـه شيء وهو السميع البصير)

وقوله في حديثه مع ابن الأزرق: (يا نـافع، إن من وضـع دينـه على القيـاس لم يـزل الـدهر في الارتمـاس، مـائلا عن المنهـاج، ظاعنا في الاعوجاج، ضالا عن السبيل، قـائلا غـير الجميـل. يـا ابن الأزرق، أصف إلهي بما وصـف بـه نفسـه، وأعرفـه بمـا عـرف بـه نفسه؛ لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس) (1)

وهذه نصوص عظيمة تؤصل لقيم التنزيه، وكان يمكنهـا ــ لـو أعطيت الأهمية التي تسـتحقها ــ أن تحمي العقائـد الإسـلامية من كل تلك التشويهات والتحريفات التي حصـلت لهـا، والـتي لا نـزال نعيش آثارها إلى اليوم.

وسنحاول هنا ـ باختصار ــ أن نـذكر بعض المعـاني المرتبطـة بهـا، والـتي لهـا أهميتهـا في حمايـة القيم الإيمانيـة من التحريـف والتبديل.

أ ـ تنزيه الله تعالى عن الحدود:

وهي من المعــاني الــتي لا يمكن قيــام التنزيــه إلا عليهــا؛ فالمحدود محاط به، والمحـدود معـدود، والمحـدود قاصـر، وهكـذا يمكن من خلال النظر في الالتزامـات العقليـة للحـد أن ننفي كـل كمال للمحدود، وأن نلصق به كل نقص، وقد أشار الإمام الحسـين إلى تنزيه الله عن الحدود بقوله: (ولا يقدر الواصفون كنه عظمته، ولا يخطـر على القلـوب مبلـغ جبروتـه؛ لأنـه ليس لـه في الأشـياء عديل، ولا تدركه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم) (2)

---

1) التوحيد: ٧٩ ح ٣٥، بحار الأنـوار: ٤ / ٢٩٧ ح ٢٤، و٢ / ٣٠٢، مسـتدرك الوسـائل: ١٧ / ٢٦١ ح ٢١٢٨٧.

2) تحف العقول: ١٧٣، بحار الأنوار: ٤ / ٣٠١ ح ٢٩.

وأشـار إليـه قبلـه والـده الإمـام علي في وصـف اللـه تعـالى بقوله: (ليس له [سبحانه وتعالى] حدّ ينتهي إلى حدّه)(1)، وقــال: (من زعم أنّ إلـه الخلـق محـدود فقـد جهـل الخـالق المعبـود)(2)، وقال: (من حدّه [تعالى] فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله)(3)

وهكذا نص جميـع أئمـة أهـل الـبيت على اسـتحالة محدوديـة الله؛ فقد روي أن بعض النـاس طلب من الإمـام علي بن موسـى الرضا أن يحـدّ اللـه تعـالى لـه، فقـال لـه الإمـام: لا حـدّ لـه. قـال الرجـل: ولم؟ قـال الإمـام: (لأنّ كـلّ محـدود متنـاه إلى حـدّ، وإذا احتمــل التحديــد احتمــل الزيــادة، وإذا احتمــل الزيــادة احتمــل النقصان. فهو غير محدود ولا متزايد ولا متناقص ولا متجزّء) (4)

وفي مقابل هذه النظرة التنزيهية التي نص عليهـا أئمـة أهـل الـبيت ، نجـد نظـرة أخـرى مختلفـة تمامـا، وهي تلـك الـتي تبنتهـا السلطة الأمويـة، ونشـرتها، ولا تـزال تتبناهـا إلى اليـوم المدرسـة السلفية، والتي تقـوم عقيـدتها على محدوديـة اللـه تعـالى، والـتي اعتبروها من العقائد الأساسية التي يكفر جاحدها بتهمة التجهم.

ومن الكتب المؤلفة في هذا ما كتبه الحافظ محمود الدشـتي بعنوان [إثبات الحد لله عز وجل، وبأنه قاعد وجالس على عرشه]، والـذي لقي العنايـة الكبـيرة من السـلفية الحديثـة تحقيقـا وطبعـا ونشرا.

وقــد نقــل ابن تيميــة في كتابــه [بيــان تلــبيس الجهميــة في تأسيس بدعهم الكلامية] الكثير من الروايات عن سلفه من العصر الأموي، فمن بعدهم، والتي تدل على اعتبار الحد للــه من العقائــد الأساسية الـتي يقتضـيها الإيمـان، ومن تلـك النقـول مـا نقلـه عن

1) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص 35.

2) المرجع السابق ، ص 77.

3) نهج البلاغة، ص 278 ـ 279

4) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص 246

الـدارمي ــ مقـرا لـه ــ في كتابـه (نقض عثمـان بن سـعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله تعالى في التوحيـد) قال فيه: (باب الحد والعرش: وادعى المعارض أيضًا أنـه ليس لـه حد ولا غاية ولا نهاية، قال: وهذا الأصل الذي بنى عليه جهم جميـع ضلالاته واشتق منه أغلوطاته، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهمًـا إليها أحدٌ من العـالمين، فقـال لـه قائـل ممن يحـاوره: قـد علمت مرادك أيها الأعجمي، تعني أن الله تعالى لاشيء، لأن الخلق كلهم علموا أنه ليس شيء يقـع عليـه اسـم الشـيء إلا ولـه حـد وغايـة وصفة، وأن لاشيء ليس له حد ولا غايـة ولا صـفة، فالشـيء أبـدًا موصوف لامحالة، ولا شيء يوصف بلا حد ولا غايـة، وقولـك لا حـد له تعني أنه لا شيء)(1)

وهكذا نقل عن الخلال وعن أبي يعلى وغيرهم ممن يسـميهم أهل السنة (2) النقول الكثـيرة الـتي تنص على أن من ضـروريات المعرفة الإلهية إثبات الحد لله، ومن تلك الروايات مـا رواه الخلال عن محمد بن إبراهيم القيسي، قال: قلت لأحمد بن حنبــل: يحكى عن ابن المبارك ـ وقيل له: كيف نعرف ربنـا؟ــ قـال: في السـماء السابعة على عرشه بحد. فقال أحمد: هكذا هو عندنا(3)

ومنها ما رروه عن حرب بن إسماعيل قال: قلت لإسحاق بن راهويه: هو على العرش بحد؟ قال: نعم بحد.

ومنها مـا رووه عن ابن المبـارك أنـه قـال: (هـو على عرشـه بائن من خلقه بحد)(4)

---

1) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلاميـة، تقي الـدين أبـو العبـاس أحمـد بن عبـد الحليم ابن تيميـة الحـراني الحنبلي الدمشـقي، مجمـع الملـك فهـد لطباعـة المصـحف الشريف، الطبعة: الأولى، 1426هـ، (2/ 605)

2) المرجع السابق، (2/ 612)

3) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، المحقق : محمد بن حمد الحمـود النجـدي، دار إيلاف الدولية – الكويت، (1/151)، وأورده ابن تيمية في نقض تأسيس الجهمية (1/428)

4) نقض تأسيس الجهمية (2/34).

وقد علـق ابن تيميـة على هـذه الروايـات بقولـه: (ولمـا كـان الجهميـة يقولـون مـا مضـمونه إن الخـالق لا يتمـيز عن الخلـق فيجحـدون صـفاته الـتي تمـيز بهـا، ويجحـدون قَـدْرَهُ؛ حـتى يقـول المعتزلـة إذا عرفـوا أنـه حي، عـالم، قـدير: قـد عرفنـا حقيقتـه وماهيتـه، ويقولـون إنـه لا يبـاين غـيره. بـل إمـا أن يصـفوه بصـفة المعدوم؛ فيقولوا: لا داخل العـالم ولا خارجـه، ولا كـذا ولا كـذا. أو يجعلوه حالاً في المخلوقات أو وجوده وجود المخلوقات، فبين ابن المبـارك أن الـرب سـبحانه وتعـالى على عرشـه مبـاين لخلقـه منفصل عنه، وذكر الحد. لأن الجهمية كانوا يقولـون ليس لـه حـد، وما لا حد له لا يباين المخلوقـات ولا يكـون فـوق العـالم لأن ذلـك مستلزم للحد)(1)

وبناء على هذا الذي ذكره ابن تيمية وغيره من السـلف، فـإن البناء المعرفي عند السـلفية في هـذا الجـانب ينطلـق من اعتقـاد تحديد الله، ولهذا أولوا هذا الأمر أهمية كبرى، واعتبروه من أصول العقائد التي تفرق بين السني والبدعي، بل بين المـؤمن والكـافر؛ فالمؤمن عندهم والسني هو الذي يقول بمحدوديـة اللـه، والكـافر والبدعي هو من يقول بعدم محدوديته.

وابن تيميــة وغــيره من الســلفية يســتندون في هــذا لتلــك الروايات التي أسس لها كعب الأحبـار وغـيره من اليهـود، والـذين كــان يجلس إليهم الكثــير من الصــحابة والتــابعين، ثم يخلطــون رواياتهم بأحاديث رسول الله ﷺ، في نفس الوقت الذي يعرضــون فيه عن الإمام الحسـين ، وجميـع أئمـة أهـل الـبيت الـذين أوصـى رسول الله ﷺ باعتبارهم مرجعا وسفينة نجاة.

وذلك الفكــر الممتلئ بالتجســيم والتشــبيه ووصــف اللــه بالمحدودية والقصور هو الذي وصف الإمام الحسـين أهلـه بقولـه: (أيها الناس! اتقوا هـؤلاء المارقـة الـذين يشـبهون اللـه بأنفسـهم، يضاهئون قول الذين كفروا من أهل الكتاب) (2)

(1) المرجع السابق (442/1-443).

(2) تحف العقول: ١٧٣، بحار الأنوار: ٤ / ٣٠١ ح ٢٩.

ب ـ تنزيه الله تعالى عن الرؤية:

وهو التنزيه الذي أشار إليـه الإمـام الحسـين بقولـه: (احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصـار، وعمن في السـماء احتجابـه كمن في الأرض) (1)

وقوله في دعاء قنوت الوتر: (اللهم إنك تـرى ولا تُـرى، وأنت بالمنظر الأعلى، وإن إليك الرجعى، وإن لك الآخرة والأولى، اللهم إنا نعوذ بك من أن نذل ونخزى)(2)

وقوله في بعض تسـبيحاته: (سـبحان الرفيـع الأعلى، سـبحان العظيم الأعظم، سبحان من هـو هكـذا ولا يكـون هكـذا غـيره، ولا يقدر أحد قدرته سبحان من أوله علم لا يوصف وآخره علم لا يبيد، سـبحان من علا فـوق البريـات بالإلهيـة فلا عين تدركـه ولا عقـل يمثله، ولا وهم يصوره، ولا لسان يصفه بغاية مـا لـه من الوصـف، سبحان الملك المقتدر، سـبحان الملـك القـدوس، سـبحان البـاقي الدائم) (3)

وهي العقيـدة الـتي دل عليهـا العقـل والنقـل، فاللـه تعـالى يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِـيرُ ﴾ [الأنعام: 103]، وهي آية تقرر أن الله تعـالى أعظم من أن يـدرَك بأي مدرك من المدارك الحسية والمعنوية، لأن الإدراك ـ كما قـال علماء اللغة ـ (هو لحوق الشئ بالشئ ووصـوله إليه)(4)،كمـا قـال تعــالى: ﴿ بَــلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِــرَةِ﴾ [النمــل: 66] أي أن علمهم أدركهم في الآخرة حين لم ينفعهم.

---

1) تحف العقول: ١٧٣، بحار الأنوار: ٤ / ٣٠١ ح ٢٩.

2) كنز العمّـال في سـنن الأقـوال والأفعـال، علاء الـدين عليّ المتّقي بن حسـام الـدين الهندي البرهانفوري، بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1413 هـ، (8: 82 حديث 21992)

3) الدعوات، سعيد بن هبة الله (قطب الدين) الراونديّ، قم، مدرسة الإمام المهديّ ، 1407هـ، (92 ضمن الحديث 228)

4) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويـني الـرازي، المحقـق: عبـد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، (2/ 366)

ولهذا قال تعالى قبل الآية الكريمة التي قررت استحالة إدراك الله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ لَا إله إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 102]، فكما أنه لا يمكن إدراك كل شيء، وهو مخلوق محصور محدود، فكيف يمكن إدراك غير المحدود والمحصور؟

ولهذا أخبر الله تعالى موسى أنه يستحيل أن يراه، وقد ذكر ذلك بصيغة النفي المؤبد، وعلق إمكانية الرؤية على شيء مستحيل لم يتحقق، فدل على أن رؤية الله التي تحيط به مستحيلة استحالة مطلقة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143]

والإشارة القرآنية في مسارعة موسى إلى التسبيح والتنزيه بعد الإفاقة(1) هو علمه أن الرؤية لا تنفك عن الجهة والجسمية وغيرهما من النقائص، ولهذا نزه الله سبحانه وتعالى عنها.

بل إن الله تعالى يذكر في القرآن الكريم غضبه الشديد على من طلب الرؤية الحسية، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى الله جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: 55]

وبذلك تصبح هذه الآيات محكمة يرد إليها كل ما تشابه من النصوص، وخاصة ذلك النص القرآني الذي يستدل به السلفية، مع أنهم يقولون بتأويله، وهو قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22، 23]، فالنظر هنا لا يعني الرؤية

1) بناء على القول بتنزيه الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم المطلقة، فإني أميل في هذه المسألة إلى ما ذكره الزمخشري في قوله عن موسى : (ما كان طلب الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا. وتبرأ من فعلهم، وليلقمهم الحجر، وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق، فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا: لا بدَّ، ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك، وهو قوله (لَنْ تَرانِي) ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ، (2/ 153)

الحسية، بدليل أنه ذكر الوجـوه، والإنسـان يـرى بعينـه لا بوجهـه.. وبدليل أن الآيـة الكريمـة تـذكر موقـف الانتظـار في الآخـرة قبـل دخول الجنـة.. وبأدلـة أخـرى كثـيرة ذكرهـا أهـل اللغـة الـذين هم أعرف الناس بألفاظ القرآن الكريم.

وقد ذكر الزمخشري الوجه الصحيح لذلك وهـو أن يكـون من قول الناس: أنا إلى فلان نـاظر مـا يصـنع بى، يريـد معـنى التوقـع والرجاء. كا روي أن امرأة سمعت مستجدية بمكة تقول: (عيينــتى نــويظرة إلى اللــه وإليكم)، والمعــنى: أنهم لا يتوقعــون النعمــة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الـدنيا لا يخشـون ولا يرجـون إلا إياه(1)

بالإضافة إلى ذلك، فإن في الرؤية الحسية مستلزمات كثـيرة خطيرة منها: أن الرؤية في منطـق العلم والعقـل لا تتحقـق إلا إذا كان الشيء مقابلا، أو حالا في المقابل من غير فرق بين تفسيرها حسـب رأي القـدماء، أو حسـب العلم الحـديث(2)، وذلـك ممـا يسـتحيل على اللـه تعـالى لأنـه ليس بجسـم ولا في جهة،والرؤية فرع كون الشيء في جهـة خاصـة،ومـا شـأنه هـذا لا يتعلق إلا بالمحسوس لا بالمجرد.

وبهـذا أجـاب الإمـام الصـادق من سـأله: هـل يـرى اللـه في المعاد؟ فقال: (سبحانه وتعالى عن ذلك علوّاً كبيرا، إن الأبصـار لا تدرك إلّا ما له لون وكيفيّة، والله خالق الألوان والكيفيّة)(3)

---

1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 662)

2) القدماء كانوا يفسرون الرؤية على اعتبـار خـروج الشـعاع من العين وسـقوطه على الأشياء، ثم انعكاسه عن الأشياء ورجوعه إلى العين لكي تتحقق الرؤيـة، لكن العلم الحـديث كشـف بطلان هـذا التفسـير وقـال: إنهـا صـدور الأشـعة من الأشـياء ودخولهـا إلى العين عن طريق عدسـتها وسـقوطها على شـبكية العين فتحقـق الرؤيـة، وعلى كـل تقـدير فالضـرورة قاضـية على أن الإبصـار بـالعين متوقـف على حصـول المقابلـة بين العين والمـرئي أو حكم المقابلـة،كمـا في رؤيـة الصـور في المـرآة، وهـذا أمـر تحكم بـه الضـرورة وإنكـاره مكـابرة واضحة،فإذا كانت ماهية الرؤية هي مـا ذكرنـاه فلا يمكن تحققهـا فيمـا إذا تـنزه الشـيء عن المقابلة أو الحلول في المقابل، انظر: رؤية الله في ضوء الكتـاب والسـنة والعقـل الصـريح، الشيخ جعفر السبحاني، دار مشعر، الطبعة: الأولى، ص 34.

3) بحار الأنوار، 4/ 31.

وسئل الإمام الرضا : جعلت فداك، أخبرني عمّا اختلف فيه الناس من الرؤية، فقال: (من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على لله، قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: 103] (1)

أما ما ورد في القطعة المنسوبة للإمام الحسين في دعاء يوم عرفة، وقوله فيها: (عميت عين لا تراك عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا)(2)؛ فليس المقصود منها الرؤية الحسية، وإنما المقصود الرؤية القلبية، والتي اتفق جميع أئمة أهل البيت على أنها الرؤية الوحيدة الممكنة، لأنها رؤية تتوجه إلى المعاني لا إلى الحس، وإلى اللطائف لا إلى الكثافات.

ولهذا أجاب الإمام علي الحبر الذي سأله: هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال: (ويلك ما كنت أعبد ربّا لم أره)، قال: وكيف رأيته؟ فقال: (ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان)(3)

وهكذا فسر الإمام الصادق الرؤية التي اتخذها المجسمة دليلا على التجسيم، فعن هشام بن سالم، قال: كنت عند الصادق

---

1) المرجع السابق، 4/ 53.

2) دعاء عرفة في [البلد الأمين] يبدأ بفقرة (الحمد لله الذى ليس لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع، ولا كصنعه صنع صانع)، وينتهي بـ (وكان يكرر قوله يا رب وشغل من حضر ممن كان حوله عن الدعاء لأنفسهم وأقبلوا على الاستماع له والتأمين على دعائه، ثم علت أصواتهم بالبكاء معه وغربت الشمس وأفاض الناس معه)، وزاد السيد ابن طاووس في الإقبال بعدها هذه الزيادة: (إلهي انا الفقير في غناي فكيف لا اكون فقيرا فى فقري) إلى قوله: (كيف تخفى وانت الظاهر، ام كيف تغيب وانت الرقيب الحاضر، انك على كل شىء قدير، والحمد لله وحده)، وقد علق العلامة المجلسي عليها بقوله: (لم يوجد هذه الورقة في بعض النسخ العتيقة من الإقبال أيضا، وعبارات هذه الورقة لا تلائم سياق أدعية السادة المعصومين أيضا وإنما هي على وفق مذاق الصوفية، ولذلك قد مال بعض الأفاضل إلى كون هذه الورقة من مزيدات بعض مشايخ الصوفية ومن إلحاقاته وإدخالاته. وبالجملة هذه الزيادة إما وقعت من بعضهم، أولا في بعض الكتب، وأخذ ابن طاووس عنه في الإقبال غفلة عن حقيقة الحال، أو وقعت ثانيا من بعضهم في نفس كتاب الإقبال، ولعل الثاني أظهر... والله أعلم بحقائق الأحوال) [بحار الأنوار، 95/227]

3) أصول الكافي، 1، 98.

جعفر بن محمد عليهما السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين، فقال له معاوية بن وهب: يا ابن رسول الله ما تقول في الخبر الذي روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربه، على أي صورة رآه؟ وعن الحديث الذي رووه أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة، على أي صورة يرونه؟ فتبسم ثم قال: (يا معاوية ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه، ثم لايعرف الله حق معرفته) ! ثم قال : (يا معاوية إن محمدا صلى الله عليه وآله لم ير الرب تبارك وتعالى بمشاهدة العيان، وإن الرؤية على وجهين، رؤية القلب، ورؤية البصر، فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب، ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (من شبه الله بخلقه فقد كفر) ولقد حدثني أبي عن أبيه عن الحسين بن علي قال: سئل أمير المؤمنين فقيل له: يا أخا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: (وكيف أعبد من لم أره، لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان)، وإذا كان المؤمن يرى ربه بمشاهدة البصر فإن كل من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق، ولابد للمخلوق من الخالق، فقد جعلته إذا محدثا مخلوقا، ومن شبهه بخلقه فقد اتخذ مع الله شريكا)[1]

هذا موقف أهل بيت النبوة من الرؤية، ورفض الحسي منها لمخالفته الصريحة لما ورد في القرآن الكريم، وما دل عليه العقل من اقتضاء الرؤية للتجسيم، أما موقف المناوئين لهم، والذين تبنوا المنهج الأموي، فقد بالغوا في الرؤية الحسية لدرجة جعلتهم يقعون في التشبيه المحض المخالف لكل أدلة النقل والعقل.

ومن الأمثلة على ذلك ما يحرص السلفية على روايته كل حين من أن سعيد بن المسيب، لقي أبا هريرة، فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم. أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله: أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من

1) بحار الأنوار، 36/ 406.

ياقوت، ومنـابر من ذهب، ومنـابر من فضـة، ويجلس أدنـاهم، ومـا فيهم دني، على كثبـان المسـك والكـافور، ومـا يـرون أن أصـحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا)، قال أبو هريرة: فقلت: يـا رسـول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قـال: (نعم، هـل تمـارون في رؤيـة الشمس والقمر ليلة البدر؟) قلنا: لا. قـال: فكـذلك لا تمـارون في رؤيــة ربكم تبــارك وتعــالى، ولا يبقى في ذلــك المجلس أحــد إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول: يا فلان بن فلان أتــذكر يوم فعلت كذا وكذا، فيذكره بعض غدراته في الدنيا، فيقـول: بلى. فيقــول: يــا رب أفلم تغفــر لي؟ فيقــول: بلى، فبمغفــرتي بلغت منزلتــك هــذه. قــال: فبينمــا هم على ذلــك غشـيتهم سـحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثـل ريحـه شـيئا قـط، ثم يقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى مـا أعـددت لكم من الكرامـة، فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيأتون سوقا قد حفت بهـا الملائكـة، فيـه ما لم تنظر العيون إلى مثلـه، ولم تسـمع الآذان، ولم تخطـر على القلوب. قال: فيحمـل لنـا مـا اشـتهيناه، ليس يبـاع فيـه شـيء ولا يشترى، في ذلـك السـوق يلقى أهـل الجنـة بعضـهم بعضـا. قـال: فيقبـل ذو الـبزة المرتفعـة، فيلقى من هـو دونـه، ومـا فيهم دني، فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضـي آخـر حديثـه حتى يتمثل عليه أحسـن منـه، وذلـك أنـه لا ينبغي لأحـد أن يحـزن فيها. قال: ثم ننصـرف إلى منازلنـا فيلقانـا أزواجنـا فيقلن: مرحبـا وأهلا بحبنـا، لقـد جئت وإن بـك من الجمـال والطيب أفضـل ممـا فارقتنا عليه، فيقول: (إنا جالسنا اليوم ربنا الجبـار تبـارك وتعـالى، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا)[1]

ومن الروايات التي يوردونهـا في هـذا مـا يروونـه أن رسـول الله ﷺ قال: (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذْ سطع لهمْ نورٌ فرفعــوا رؤوسهم،فإذا الربُّ قـد أشـرف عليهم من فـوقهم فقـال: السـلام عليكم يا أهل الجنة،قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس: 58]،قــال: فينظــر إليهم وينظــرون إليــه،فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظـرون إليـه حـتى يحتجب

---

1) السنة، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، حققـه محمـد ناصـر الـدين الألبـاني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، 1400، (1/ 258).

عنهم ويبقى نورُه وبركته عليهم في ديارهم) (1)

هذه بعض المشاهد التي يحرص السلفية على ذكرها في كـل محـل، وهي لا تختلـف كثـيرا عن المشـاهد الـتي نقرؤهـا في كتب التـاريخ والأسـاطير عن مجـالس الملـوك والأمـراء، حيث يقربـون ندمانهم، ثم يصلونهم بأنواع الصلات، وهي علاقـة ماديـة صـرفة لا مجال فيها للمشاعر السامية، ولا للعواطف الجياشـة الـتي نجـدها عند المنزهة.

ومن العجب الذي نراه في أمثال هذه الرويات هـو إسـكانهم لله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون جميعـا في دار من دور الجنـة ليجاورهم، ويصلهم، وتزداد صورهم حسنا بذلك، وكأن اللـه تعـالى لم يخلق سواهم، ولا له تدبير لغيرهم.

ومن العجب الأكبر هو أحاديثهم عن جمـال اللـه تعـالى، وهي أحاديث عن الجمال الحسي، لا عن الجمال العظيم الـذي لا يمكن الإحاطة به، ومن أمثلة ذلك ما قاله الهرَّاس، فقد قال: (أما جمال الذات؛ فهو مـا لا يمكن لمخلـوق أنَّ يعـبر عن شـيء منـه أو يبلـغ بعض كنهـه، وحسـبك أنَّ أهـل الجنـة مـع مـا هم فيـه من النعيم المقيم وأفانين اللذات والسرور التي لا يقدر قدرها، إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله؛ نسوا كل ما هم فيه،واضمحل عندهم هـذا النعيم، وودوا لـو تـدوم لهم هـذه الحـال، ولم يكن شـيء أحب إليهم من الاسـتغراق في شـهود هـذا الجمـال،واكتسـبوا من جمالـه ونـوره سبحانه جمالاً إلى جمالهم،وبقـوا في شـوق دائم إلى رؤيتـه،حـتى إنهم يفرحون بيوم المزيد فرحاً تكاد تطير له القلوب)(2)

وهو في هذا الكلام الذي يشبه كلام العارفين في ألفاظـه، إلا أنه لا يرقى إلى مقاصدهم؛ فالجمال عنده هـو جمـال صـورة اللـه الحسية التي لم يتصوروا إمكانية معرفة الله من دونها.

ج ـ تنزيه الله تعالى عن القياس:

1) رواه ابن ماجه، رقم (184)

2) شرح القصـيدة النونيـة المسـماة «الكافيـة الشـافية في الانتصـار للفرقـة الناجيـة»، الدكتور محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية /1415 هـ، (2/64)

وهو ما أشار إليه الإمام الحسين في حديثه مع ابن الأزرق، وقوله له: (يا نافع، إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الارتماس، مائلا عن المنهاج، ظاعنا في الاعوجاج، ضالا عن السبيل، قائلا غير الجميل. يا ابن الأزرق، أصف إلهي بما وصف به نفسه، وأعرفه بما عرف به نفسه؛ لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس) (1)

فهذا المقطع العظيم يؤصل لقواعد عظيمة في تنزيه الله تعالى لو أن المتكلمين في العقائد، وخصوصا السلفية منهم، عملوا بها لأخلوا عقائدهم من كل صنوف التشبيه والتجسيم والوثنية التي أوقعوا أنفسهم فيها.

فهم يخضعون العقائد في الله لتصوراتهم المبنية على التجسيم، ويتصورون أنه لا يمكن أن يكون هناك وجود لخلاف تلك التصورات، وبذلك يقعون في القياس المحض.

وقد قال الشيخ ابن العثيمين، وهو من علمائهم المعاصرين الكبار ــ مبينا استحالة معرفة الله من دون كيفية ولا قياس: (السلف لا ينفون الكيف مطلقاً، لأن نفي الكيف مطلقاً نفي للوجود، وما من موجود إلا وله كيفية لكنها قد تكون معلومة وقد تكون مجهولة، وكيفية ذات الله تعالى وصفاته مجهولة لنا.. وعلى هذا فنثبت له كيفية لا نعلمها.. ونفي الكيفية عن الاستواء مطلقاً هو تعطيل محض لهذه الصفة لأنا إذا أثبتنا الاستواء حقيقة لزم أن يكون له كيفية وهكذا في بقية الصفات)(2)

وما ذكره الشيخ من أن الكيفية غير معلومة لنا نوع من الاحتيال لأن كتبهم العقدية الكثيرة صورت ذلك تصويرا لا يحتاج الخيال إلى غيره ليرسم صورة الاستواء أو غيره مما يعتبرونه من صفات الله تعالى، أو كما عبر عن ذلك الزمخشري بقوله

---

1) التوحيد: ٧٩ ح ٣٥، بحار الأنوار: ٤ / ٢٩٧ ح ٢٤، و٢ / ٣٠٢، مستدرك الوسائل: ١٧ / ٢٦١ ح ٢١٢٨٧.

2) مجموع فتاوى ابن عثيمين 1/194 وانظر المحاضرات السنية لابن عثيمين 1/232

عنهم[1]:

جماعة سموا ... وجماعة حمر

قد شبهوه بخلقه ... شنع الورى فتستروا

ومثل الشيخ ابن عثيمين أبو عمر ابن عبـد الـبر الـذي اعتـبر الأمة كلها ـ ما عدا أهل الحديث ـ نافين للمعبود، فقال: (وأمَّا أهـل البدع والجهمية والمعتزلة كلُّها والخوارج، فكلُّهم يُنكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أنَّ من أقرَّ بها مشبِّه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود)[2]

وقد علق عليه الذهبي بقولـه: (صـدق واللـه! فـإنَّ من تـأوَّل سـائر الصـفات وحمـل مـا ورد منهـا على مجـاز الكلام، أدَّاه ذلـك السَّلب إلى تعطيل الربِّ، وأن يشابه المعدوم، كما نُقل عن حمـاد بن زيد أنَّه قال: مَثل الجهمية كقوم قالوا: في دارنا نخلة، قيل: لها سَعَف؟ قالوا: لا، قيل: فلها كَرَب؟ قالوا: لا، قيل: لها رُطَب وقِنو؟ قالوا: لا، قيل: فلها ساق؟ قالوا: لا، قيل: فما في داركم نخلة!)[3]

وهكذا أصبح الله ـ بعظمته وقدسيته وجلاله ـ عنـد السـلفيين مثل النخلة لا يمكن معرفتها إلا بعد معرفة سعفها وكربها ورطبها، ولهذا فإن أعرف العارفين عندهم من جمع أكـبر قـدر من روايـات التجسيم والتشبيه ليرسم صورة أكثر دقة عن ربه سبحانه وتعالى.

ولهذا فإن ما ينتصر بـه المعاصـرون منهم لأنفسـهم من نفي تهمة التجسيم عنهم نوع من الاحتيال والمصـادرة على المطلـوب، ذلـك أنهم ــ من خلال النصـوص الـتي يوردونهـا عن سـلفهم ــ لا ينفون حقيقـة التجسـيم ومعنـاه، وإنمـا ينفـون فقـط إطلاق اسـم الجسم على الله، أو اعتبار الجسم صـفة من صـفات اللـه، لكـون

[1] () الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 156)

[2] التمهيد (7/145).

[3] العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسـقيمها، شـمس الـدين أبـو عبـد اللـه محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: أبو محمد أشـرف بن عبـد المقصـود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م، (ص 250)

التسمية والوصف توقيفية.. أما حقيقة التجسيم التي تعني الحيز والحدود والمكان والجهة والتركيب والوزن والحجم وغير ذلك.. فهم لا ينكرون اتصاف الله بذلك.

وكمثال على ذلك ما أورد ابن تيمية في كتبه العقدية المختلفة من النصوص الدالة على عدم الحرج في وصف الله بكونه جسما من الأجسام، بناء على المعنى، لا على اللفظ..

فعندما راح يبين سبب عدم إطلاق السلف لفظ الجسم لا نفياً ولا إثباتاً لله تعالى لم يذكر أن ذلك لتناقضه مع العقل أو مع القرآن، وإنما ذكر لذلك وجهين: (**أحدهما:** أنه ليس مأثوراً لا في كتاب ولا سنة، ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا غيرهم من أئمة المسلمين، فصار من البدع المذمومة.. **الثاني:** أن معناه يدخل فيه حق وباطل، فالذين أثبتوه أدخلوا فيه من النقص والتمثيل ما هو باطل، والذين نفوه أدخلوا فيه من التعطيل والتحريف ما هو باطل)(1)

ومراد ابن تيمية من التعطيل والتحريف ـ في هذا النص ـ هو تنزيه الله عن لوازم الجسمية كالحيز والحدود ونحوها.. أو كما أشار إلى ذلك في قوله في كتابه (منهاج السنّة): (وقد يراد بالجسم ما يشار إليه، أو ما يرى، أو ما تقوم به الصفات، والله تعالى يُرى في الآخرة وتقوم به الصفات ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم.. فإن أراد بقوله: (ليس بجسم) هذا المعنى قيل له: هذا المعنى ـ الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ ـ معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول وأنت لم تقم دليلاً على نفيه.. وأمّا اللفظ فبدعة نفياً وإثباتاً، فليس في الكتاب ولا السنّة، ولا قول أحد من سلف الأُمّة وأئمتها إطلاق لفظ (الجسم) في صفات الله تعالى، لا نفياً ولا إثباتاً)(2)

فقد عرّف الله في هذا النص بأنه يُشار إليه.. وأنّه يُرى كما

(1) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، 2/225.

(2) المرجع السابق، 1 / 180.

ترى الأجسام.. وأنّه تقوم به الصفات فيكون مركّباً.. وأنّ له مكاناً وجهة، بدليل رفع الناس أيديهم عند الدعاء إلى الأعلى.. فالإله بهذا المعنى عنده ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول..

بل إن ابن تيمية يحاول بكل ما أوتي من قوة المنطق أن يبرهن على ضرورة أن يكون الله جسما حتى يكون موجودا.. فالوجود عنده يقتضي الجسمية، يقول في ذلك: (فالمثبتة يعلمون بصريح العقل امتناع أن يكون موجوداً معيناً مخصوصاً قائماً بنفسه ويكون مع ذلك لا داخل العالم ولا خارجه، وأنه في اصطلاحهم لا جسم ولا عرض ولا جسم ولا متحيز، كما يعلمون أنه يمتنع أن يقال إنه لا قائم بنفسه ولا قائم بغيره.. فإنك إذا استفسرتهم عن معنى التحيز ومعنى الجسم فسروه بما يعلم أنه الموصوف بأنه القائم بنفسه. ولهذا لا يعقل أحد ما هو قائم بنفسه إلا ما يقولون هو متحيز وجسم.. فدعوى المدعين وجود موجود ليس بمتحيز ولا جسم ولا قائم بمتحيز أو جسم مثل دعواهم وجود موجود ليس قائما بنفسه ولا قائما بغيره.. ومن قيل له هل تعقل شيئاً قائماً بنفسه ليس في محل وهو مع هذا ليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز ومع هذا إنه لا يجوز أن يكون فوق غيره ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا أمامه ولا وراءه وأنه لا يكون مجامعا له ولا مفارقا له ولا قريبا منه ولا بعيدا عنه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا مماسا له ولا محايثا له وأنه لا يشار إليه بأنه هنا أو هناك ولا يشار إلى شيء منه دون شيء ولا يرى منه شيء دون شيء ونحو ذلك من الأوصاف السلبية التي يجب أن يوصف بها ما يقال إنه ليس بجسم ولا متحيز لقال حاكماً بصريح عقله هذه صفة المعدوم لا الموجود)(1)

وهكذا يضعنا ابن تيمية وأصحابه من أعلام المدرسة السلفية بين أمرين: إما أن نجسم الله، أو نقول بعدمه.. فالوجود عندهم قاصر على الأجسام.. وهو نفس ما قاله فرعون والملاحدة واليهود.

بل إن ابن تيمية يطبق جميع أوصاف الأجسام على كل الموجودات، لا يفرق في ذلك بين الله سبحانه وتعالى واجب

1) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (2/ 364)

الوجوب، وبين الممكنات التي خلقها، فيقول: (الوجه السادس أن يقال ما عُلم به أن الموجود الممكن والمحدث لا يكون إلا جسما أو عرضا أو لا يكون إلا جوهرا أو جسما أو عرضا أو لا يكون إلا متحيزاً أو قائما بمتحيز أو لا يكون إلا موصوفا أو لا يكون إلا قائما بنفسه أو بغيره يُعلم به أن الموجود لا يكون إلا كذلك.. فإن الفطرة العقلية التي حكمت بذلك لم تفرق فيه بين موجود وموجود ولكن لما اعتقدت أن الموجود الواجب القديم يمتنع فيه هذا أخرجته من التقسيم لا لأن الفطرة السليمة والعقل الصريح مما يخرج ذلك ونحن لم نتكلم فيما دل على نفي ذلك عن الباري فإن هذا من باب المعارض وسنتكلم عليه وإنما المقصود هنا بيان أن ما به يعلم هذا التقسيم في الممكن والمحدث هو بعينه يعلم به التقسيم في الموجود مطلقا)(1)

وهو لا يكتفي بهذه التصريحات فقط، بل إنه في كتابه (بيان تلبيس الجهمية) يكاد يدافع عن لفظ (الجسم) بعينه، فيقول: (وليس في كتاب الله، ولا سنّة رسوله، ولا قول أحد من سلف الأُمّة وأئمتها أنّه ليس بجسم، وأنّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً)(2)

بل إن ابن تيمية وأعلام المدرسة السلفية عند حديثهم عن كمال الله تعالى ينطلقون من النظرة التجسيمية الحسية المادية؛ فهم يرون أن الله سبحانه وتعالى ما دام قد أعطى لعباده بعض الكمالات الحسية، فهو أولى أن يتصف بها، قال ابن تيمية يوضح ذلك: (كل ما ثبت للمخلوق من صفات الكمال فالخالق أحق به وأولى وأحرى به منه لأنه أكمل منه ولأنه هو الذي أعطاه ذلك الكمال، فالخالق أحق به وأولى وأحرى به منه...وعلى هذا فجميع الأمور الوجودية المحضة يكون الرب أحق بها لأن وجوده أكمل ولأنه هو الواهب لها فهو أحق باتصافه بها)(3)

---

1) المرجع السابق، (2/ 370)

2) المرجع السابق، 1/101.

3) المرجع السابق، (2/ 350)

وإلى هنا فإن المعنى مقبول عند جميع المسلمين، فالله سبحانه وتعالى أولى بصفات الكمال من عباده، ولكن ابن تيمية لا يقصد ذلك فقط، بل يقصد التجسيم وما يقتضيه التجسيم، فقد قال بعد ذلك الكلام المقبول بانيا عليه: (وإذا كان كذلك فمن المعلوم أن كون الموجود قائماً بنفسه أو موصوفاً أو أن له من الحقيقة والصفة والقدر ما استحق به إلا يكون بحيثِ غيره وأن لا يكون معدوماً بل ما أوجب أن يكون قائماً بنفسه مبايباً لغيره وأمثال ذلك هو من الأمور الوجودية باعتبار الغائب فيها بالشاهد صار على هذا الصراط المستقيم، فكل ما كان أقرب إلى الوجود كان إليه أقرب وكلما كان أقرب إلى المعدوم فهو عنه أبعد)[1]

وبذلك فإن ابن تيمية يقع في التشبيه المحض، لأنه يتصور أن الكمال في احتياج الذات إلى حيز ومقدار وأعضاء وغير ذلك مع أن الكمال الحقيقي لا يقتضي ذلك..

وكل ما وقع فيه ابن تيمية ومن قبله ومن بعده من السلفية وغيرهم من هذه الانحرافات ناتج عن موقفهم من أئمة أهل البيت ، وتصورهم أنهم مثل غيرهم يؤخذ منهم ويرد؛ فلذلك سارعوا لرد كل ما ورد عنهم من قيم التنزيه، في نفس الوقت الذي أقبلوا فيه على كل من راح ينشر قيم التجسيم والتشبيه.

2 ـ تنزيه الله عن التشبيه والتجسيم:

وهو ما أشار إليه الإمام الحسين بقوله: (أيها الناس! اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم، يضاهئون قول الذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير) [2]

وقوله في نفي الافتقار إلى المحل: (هو في الأشياء كائن لا كينونة محظور بها عليه، ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها)، وقوله: (قربه كرامته وبعده إهانته)، و(هو قريب غير ملتصق،

[1] المرجع السابق (2/ 327)

[2] التوحيد: ٧٩ ح ٣٥، بحار الأنوار: ٤ / ٢٩٧ ح ٢٤، و٢ / ٣٠٢، مستدرك الوسائل: ١٧ / ٢٦١ ح ٢١٢٨٧.

وبعيد غير منتقص)، و(لا تتداوله الأمور، ولا تجري عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث)، و(ليس عن الدهر قدمه، ولا بالناحية أممه)، و(لا يحله (في)، ولا توقته (إذا)، ولا تؤامره (إن)، علوه من غير توقل، ومجيئه من غير تنقل)

ومنها ما روي أن أهل البصرة كتبوا إليه يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم: (بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وأنه سبحانه قد فسر الصمد، فقال: (الله أَحَدٌ (1) الله الصَّمَدُ [الإخلاص: 1، 2])، ثم فسره فقال: (لم يلد): لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعب منه البداوات، كالسنة والنوم، والخطرة والهم، والحزن والبهجة، والضحك والبكاء، والخوف والرجاء والرغبة والسأمة، والجوع والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء، وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف، و(لم يولد): لم يتولد منه شيء، ولم يخرج من شيء، كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها، كالبصر من العين، والسمع من الاذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتميز من القلب، وكالنار من الحجر، لابل هو الله الصمد الذي لا من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء. بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئة، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كفوا أحد)[1]

وكل هذه النصوص ترد على تلك الظاهرة التي انتشرت في ذلك الحين برعاية السلطة الأموية، وعلماء السلاطين التابعين لها،

---

1) التوحيد: ٩٠ ح ٥، تفسير نور الثقلين، الحويزي، عبد علي بن جمعة، قم، إيران، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر، ط4،ـ 1412 هـ (٥/ ٧١١ ح ٧٠ و٧١٣ ح ٧٦)، البرهان في تفسير القرآن، البحراني، هاشم بن سليمان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1427هـ/2006م (٤: ٥٢٥ ح ٩)، بحار الأنوار ٣: ٢٢٣ ح ١٤.

والذين راحوا يصفون الله سبحانه وتعالى بكل صفات المخلـوقين؛ فوقعـوا في كـل مـا وقعت فيـه الـديانات المحرفـة من التشـبيه والتجسيم.

وقد أشار إلى بعض مظاهر هـذه الظـاهرة ومصـدرها الإمـام الباقر حين قال ـ مخاطبا جابر بن يزيد الجعفي: (يا جابر ما أعظم فرية أهل الشـــام على الله عز وجل، يزعمـــون أن الله تبـــارك وتعـــالى حيث صـــعد إلى الســـماء وضع قدمه على صـــخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذه مصلى، يـا جـابر إن اللـه تبـارك وتعـالى لا نظير له ولا شـبيه، تعـالى عن صـفة الواصـفين، وجـل عن أوهـام المتوهمين، واحتجب عن أعين الناظرين، لا يزول مع الـزائلين، ولا يأفل مع الأفلين، ليس كمثله شئ وهو السميع العليم)[1]

وليس مقصود الإمام الباقر بأهل الشام المنطقـة الجغرافيـة فقط، بل المقصود منها تلك الرعاية الأموية للمشبهة والمجسـمة، والذين أتيحت لهم كل المنابر العلمية والإعلاميـة والروائيـة، حـتى صاروا مصـدرا للتفسـير والحـديث والفقـه والعقائـد وكـل العلـوم الدينية.

بناء على هذا سنحاول هنا باختصار بيان بعض مقتضيات هـذه القيمـة الإيمانيـة من خلال النصـوص الـتي أوردناهـا عن الإمـام الحسين ، وهي أربع مقتضيات كبرى:

أ ـ تنزيه الله عن الجهة والمكان:

وهو التنزيه الذي أشار إليه الإمـام الحسـين بقولـه: (هـو في الأشياء كائن لا كينونة محظور بها عليه، ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها)، وقولـه: (قربـه كرامتـه، وبعـده إهانتـه)، وقولـه: (هـو قريب غير ملتصق، وبعيد غير منتقص)، وقوله: (لا تتداوله الأمـور، ولا تجري عليه الأحـوال، ولا تـنزل عليـه الأحـداث)، وقولـه: (ليس عن الدهر قدمـه، ولا بالناحيـة أممـه)، وقولـه: (لا يحلـه (في)، ولا

1) الصدوق في التوحيد: 179، تفسير العياشي، العياشي، محمـد بن مسـعود، تحقيـق: السيد هاشم الرسولي، طهران، إيران، طبع ونشـر السـيد محمـود الكتـابجي وأولاده، د.ت (1/59)، وبحار الأنوار: 102/ 270.

توقته (إذا)، ولا تؤامره (إن)، علوه من غير توقل، ومجيئه من غـير تنقل) (1)

وقوله في تفسير الصـمد: (بـل هـو اللـه الصـمد الـذي لا من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء) (2)

وكل هذه الكلمات البليغة تعني أن اللـه تعـالى أعظم من أن يشار إليـه، أو أن تكـون لـه جهـة تحصـره، أو مكـان يحـده؛ فاللـه أعظم وأجل وأقدس من ذلك كله، ذلك أن مجرد اعتباره في جهـة حد لعظمته، وتقييد لإطلاقه، وحبس له في عـالم الحـدود والقيـود والجسمية، ومجرد اعتباره في مكان حصر لـه، بـل قـول بإمكانيـة تعدده؛ فمن حدد فقد عدد.

ولهذا نجد اهتماما كبيرا من جميع أئمة أهل بيت النبـوة بـالرد على تلك الظاهرة الـتي وفـر لهـا الأمويـون كـل صـنوف الرعايـة؛ فـراحت تـزعم للـه الجهـة والمكـان، كمـا زعمت لـه المحدوديـة والتقدير، ومن ذلك قول الإمام علي : (إنّ الله جلّ وعـزّ أيّن الأين فلا أين له، وجلّ عن أن يحويه مكان...) (3)، وقال: (كـان اللـه ولا مكان) (4)

وروي عن الإمام الصادق قوله: (ولا يوصف [عزّ وجلّ] بكيف ولا أين.. وكيف أصـفه بـأين، وهـو الـذي أيّن الأين حتّى صـار أينـاً، فعرفت الأين بما أيّنه لنا من الأين)(5)

---

1) تحف العقول: ١٧٣، بحار الأنوار: ٤ / ٣٠١.

2) التوحيد: ٩٠ ح ٥، بحار الأنوار ٣: ٢٢٣.

3) بحار الأنوار، ج 57، ص 83.

4) الإرشاد، الشيخ المفيد، قم، مؤسّسة آل الـبيت عليهم السـلام، 1413 هــ، ج 1، ص 201.

5) الكافي، ج 1، ص 103 ـ 104. التوحيد، الشيخ الصدوق: ص 111 ـ 112.

وسـئل الإمـام الكـاظم : لأيّ علّـة عـرج اللـه بنبيـه ﷺ إلى السماء، ومنها إلى سِدرَة المنتهى، ومنها إلى حجب النور، وخاطبه وناجاه هناك، والله لا يوصف بمكان؟ فقال: (إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان، ولا يجري عليـه زمـان، ولكنّـه عـزّ وجـلّ أراد أن يشرّف به ملائكته وسكّان سماواته ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه، وليس ذلـك على مـا يقـول المشبّهون، سبحان الله وتعالى عما يشركون) (1)

وكل هـذه النصـوص مقتبسـة من محكمـات القـرآن الكـريم؛ فالله تعالى ينفي الجهة عنـه؛ فيقـول: ﴿وَللـه الْمَشْـرِقُ وَالْمَغْـرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللـه إِنَّ الله وَاسِـعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقـرة: 115]، فهذه الآيـة الكريمـة كافيـة في الدلالـة على اسـتحالة الجهـة على الله، وهي تحصن الأمة من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم قبلها من التجسيم، وقد نقل الفخـر الـرازي عن بعضـهم قولـه في مناسـبة نزولها لتغيير القبلة: (.. لأن اليهود والنصارى كل واحد منهم قــال: إن الجنة له لا لغيره، فرد اللـه عليهم بهـذه الآيـة لأن اليهـود إنمـا استقبلوا بيت المقدس لأنهم اعتقدوا أن الله تعالى صـعد السـماء من الصخرة، والنصـارى اسـتقبلوا المشـرق لأن عيسـى إنمـا ولـد هناك على مـا حكى اللـه ذلـك.. فكـل واحـد من هـذين الفـريقين وصف معبوده بالحلول في الأماكن ومن كان هكذا فهـو مخلـوق لا خــالق، فكيــف تخلص لهم الجنــة وهم لا يفرقــون بين المخلــوق والخالق)(2)

والله تعالى يذكر في آيات كثيرة أن له معية وحضورا مع كـل شيء، وهو ما يكفي لنفي الجهـة والمكـان عن اللـه، ومن أمثلتهـا قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُـوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَـا كَـانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَــا عَمِلُــوا يَــوْمَ الْقِيَامَــةِ إِنَّ اللــه بِكُـلِّ شَــيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلـة: 7]، وقولـه: ﴿يَسْـتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْـتَخْفُونَ مِنَ

1) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص 170.

2) مفـاتيح الغيب (تفسـير الـرازي، التفسـير الكبـير)، الفخـر الـرازي، محمـد بن عمـر، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1401 هـ/1981م، (4/ 19)

الله وَهُوَ مَعَهُم [النساء 108]، وقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[الحديد 4]، وقوله: إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا [التوبة 40]، وقوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [ق 16]، وقوله: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَه وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ [الزخرف 84]، وقوله: وَهُوَ الله فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ [الأنعام3].

وقد كانت هذه الآيات وأمثالها من الآيات التي يستعملها المتكلمون المنزهة لإيقاع المجسمة في الحرج، لأنهم إما أن يقولوا بمقتضياتها، فينفوا الجهة عن الله، وينفوا معها الجسمية ومقتضياتها، وإما أن يصرفوها عن ظاهرها، وحينها يتخلون عن اعتبارهم التأويل تعطيلا.

يقول إمام الحرمين الجويني: (ومما يجب الاعتناء به معارضة الحشوية بآيات يوافقون على تأويلها حتى إذا سلكوا مسلك التأويل عورضوا بذلك السبيل فيما فيه التنازع. فمما يعارَضون به قوله تعالى: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ [الحديد: 4] فإن راموا إجراء ذلك على الظاهر حلوا عقدة إصرارهم في حمل الاستواء على العرش على الكون عليه، والتزموا فضائح لا يبوء بها عاقل، وإن حملوا قوله: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ على الإحاطة بالخفيات فقد تسوغوا التأويل)(1)

وهكذا نجد الأحاديث الصحيحة الموافقة للمعقول والمنقول، والتي لم تتلطخ بتشويهات المجسمة والمحرفة تنص على هذا، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال للصحابة لما رأى رفعهم لأصواتهم بالذكر: (أيها الناس! أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً قريباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)(2)

---

1) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، التحقيق: الدكتور محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي - مصر، مطبعة السعادة – مصر، 1950، ص161.

وهكذا نـرى اتفـاق العقـل والنقـل والروايـات على مـا ذكـره الإمام الحسين وجميع أئمة أهل الـبيت من تنزيـه اللـه عن الجهـة والمكان والمحـل، وكـون ذلـك من مقتضـيات الجسـمية، والتعـدد والشرك.

ولو أن السلفية الذين يزعمون لأنفسهم اتباع السنة تمسـكوا بما قاله الإمام الحسين في المسألة، وتركوا ما قاله كعب الأحبـار وغـيره، لمـا أوقعـوا أنفسـهم في ذلـك التـدنيس للـذات الإلهيـة بحصرها في المكان والجهة.

وخطـورة الموقـف السـلفي ليس فيمـا يعتقدونـه من عقائـد فقـط، وإنمـا في مـوقفهم من المخـالف لهم في هـذا المسـألة، والذي لـو طبقنـاه على مقـولات الإمـام الحسـين المرتبطـة بنفي الجهـة والمكـان، لكـانوا من أول المكفـرين لـه، ولأبيـه ولجميـع الأئمة ؛ فقد قال ابن خزيمة (ت 311 هـ) ـ والـذي يعتبرونـه إمـام أئمتهم: (من لم يقل بأن الله فوق سمواته، وأنه على عرشه، بائن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضـربت عنقـه، ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة)، وقال: (من لم يقر بأن الله على عرشه قد اسـتوى، فـوق سـبع سـمواته فهو كافر حلال الدم، وكان ماله فيئا) (1)

وقد نقل ابن تيميـة الإجمـاع على مـا قالـه ابن خزيمـة، حيث قال في (درء تعارض العقل والنقل): (وجواب هذا أن يقال القـول بأن الله تعالى فوق العالم معلوم بالاضـطرار من الكتـاب والسـنة وإجماع سلف الأمة.. ولهذا كـان السـلف مطبقين على تكفـير من أنكر ذلك، لأنه عندهم معلوم بالاضطرار من الدين)(2)

ولست أدري كيـف يـذكر هـؤلاء عن أنفسـهم أنهم يحـترمون

---

2) رواه البخاري: 13/372.

1) نقلا عن: درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبـد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م، 6/ 264.

2) المرجع السابق، (7/27)

أئمة أهل البيت ويجلونهم، ويعتبرون أنفسهم أبعد الناس عن النصب والعداوة لهم، ومع ذلك يلغونهم إلغاء تاما وفي أخطر المسائل العقدية؛ فلا يعتبرون أقوالهم، ولا يعتبرونهم من سلفهم الذين يمكنهم الرجوع إليهم، في نفس الوقت الذي يقربون فيه كل من حكموا عليه بالكذب والتحريف مثل كعب الأحبار وغيره.

ب ـ تنزيه الله عن التنقل والحركة:

وهو التنزيه الذي أشار إليه الإمام الحسين بقوله: (ليس عن الدهر قدمه، ولا بالناحية أممه)، و(لا يحله (في)، ولا توقته (إذا)، ولا تؤامره (إن)، علوه من غير توقل، ومجيئه من غير تنقل) (1)

وهو نص صريح في نفي حاجة الله تعالى وافتقاره للحركة والتنقل، لأن ذلك من دلائل العجز والافتقار، وهو من مقتضيات المحدودية والحاجة للمحل، والله تعالى ليس محدودا، ولا محتاجا إلى محل.

وما ذكره الإمام الحسين في تنزيه الله تعالى عن ذلك هو نفس ما ذكره جميع أئمة أهل البيت ، فعن الإمام علي أنه قال: (لا تجري عليه [تعالى] الحركة والسكون، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتدأه، إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزّأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه)(2)

وسئل الإمام الصادق : لم يزل الله متحرّكاً؟ فقال: (تعالى الله عن ذلك، إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل) (3)، وقال: (إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان، ولا حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً) (4)

---

1) تحف العقول: ١٧٣، بحار الأنوار: ٤ / ٣٠١.

2) التوحيد، الصدوق: ص 41 .

3) الكافي، الكليني: ج 1، ص 107.

وقال الإمام الكاظم : (كلّ متحرّك محتـاج إلى من يحرّكـه أو يتحرّك به، فمن ظنّ بالله الظنون هلك)(5)

وهذا المعنى المتفق عليه عند أئمة أهـل الـبيت من المعـاني الـتي صـرح بـذكرها القـرآن الكـريم، واعتبرهـا من عقائـد التنزيـه الأساسية، ذلك أن كل النصوص الواردة في نفي نسبة المحل إلى الله تنفي نسبة التنقل إليه، لأن التنقـل هـو انتقـال من محـل إلى محل.

وقد أشار القرآن الكريم في قصة سـليمان مـع أصـحابه إلى أن الحركة والانتقال شأن الضعفاء، أمـا القـادر فهـو الـذي يقضـي مصالحه في طرفـة عين من غـير معانـاة حركـة ولا حمـل، ولا أي شيء، قال تعالى: قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَـأْتِينِي بِعَرْشِـهَا قَبْـلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَـا آتِيـكَ بِـهِ قَبْـلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْـتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُـوَنِي أَأَشْـكُرُ أَمْ أَكْفُـرُ وَمَنْ شَـكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَـرِيمٌ (40) [النمـل: 38 ـ 40]، فـإذا كـان هـذا شـأن العبـد الـذي أوتي بعض الكتـاب.. فكيف بشأن الرب سبحانه وتعالى؟

ولهذا، فإن اللـه تعـالى يـذكر قربـه من كـل شـيء، من غـير حاجة إلى تنقل؛ فالله تعـالى أقـرب إلى خلقـه من أنفسـهم، كمـا قال تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ [الواقعـة: 85]، وقال: وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الْإِنْسَـانَ وَنَعْلَمُ مَـا تُوَسْـوِسُ بِـهِ نَفْسُـهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [ق: 16]

بل إن الله تعالى يخبر عن حضورة المطلق مع كل شيء، بل عن تصريفه لكل شيء، بل عن كونه هو الفاعل الوحيد لكل حركة أو سـكنة في الوجـود، فيقـول: أَفَـرَأَيْتُمْ مَـا تَحْرُثُـونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَـاءُ لَجَعَلْنَـاهُ حُطَامًـا فَظَلْتُمْ

---

(4) بحار الأنوار: ج 3، ص 330.

(5) الكافي، ص 125.

تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (73) ﴾ [الواقعة: 63 ـ 74]

ولهذا؛ فإن القرب والدنو ـ كما يذكر القرآن الكريم ـ لا يعني القرب الحسي، وإنما يعني قرب المعرفة والمحبة والتواصل مع الله، كما قال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: 19]، فالسجود بكل الكيان لله هو أقرب طريق للقرب الإلهي، كما قال ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده)(1)

ونفى القرآن الكريم ذلك القرب الوهمي الذي يخطر على المستغرقين في الدنيا، فقال: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: 37]

وقد عبر الإمام الحسين عن هذا المعنى بعبارة جامعة مختصر؛ فقال: (قربه كرامته، وبعده إهانته) (2)

وهي العبارة التي أعاد صياغتها بعد ذلك كل المنزهة، ومن جميع المدارس الإسلامية، حيث قال الشيخ عبد الغني النابلسي موضحا معنى القرب الإلهي: (إن قرب الكائنات منه تعالى قرب أثر من مؤثر، وقرب معلوم من عالم به لا يعزب عن علمه شيء، وبعد الكائنات منه تعالى عدم مناسبتها له وعدم مشابهتها له ولا بوجه من الوجوه)(3)

---

(1) رواه الترمذي رقم (3574)

(2) تحف العقول: ١٧٣، بحار الأنوار: ٤ / ٣٠١ ح ٢٩.

(3) شرح ديوان ابن الفارض، بدر الدين حسن البوريني، وعبد الغني بن إسماعيل النابلسي، جمعه : رشيد بن غالب اللبناني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 2003م، ج 1 ص 228 .

وقال الشيخ أحمد زروق: (قرب المسافات والنسب والمداناة: وهو قرب الأجسام، وسائر المحدثات، فلا يليق بالحق سبحانه، ولا يجوز عليه)(1)

وقال الغزالي: (القرب منه ليس بالمكان، وإنما هو باكتساب الكمال على حسب الإمكان. وأن كمال النفس بالعلم والعمل، والاطلاع على حقائق الأمور، مع حسن الأخلاق)(2)

وقال ابن عطاء الله: (ما احتجب الحق عن العباد إلا بعظيم ظهوره، ولا منع الأبصار أن تشهده إلا قهارية نوره فعظيم القرب هو الذي غيب عنك شهود القرب)(3)

وغيرها من التقريرات التي تعبر عن تنزيه الله تعالى عن الجسمية وكل مقتضياتها، وهي ناتجة عن ذلك التمسك بمحبة أئمة أهل البيت والرجوع إليهم، على اختلاف درجاتهم في ذلك الرجوع، لكن الذين والوا أعداءهم من بني أمية سقطوا في مستنقع التشبيه والتجسيم؛ فلذلك راحوا ينسبون إلى الله تعالى ما لا يليق به من الحركة والتنقل والنزول والصعود والجري والهرولة وغيرها من الأوصاف التي لا تليق بجلال الله، ولا تنسجم مع ضرورات العقل والنقل.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن القيم في تقريره لعقائد الاتجاه السلفي صاحب الهوى الأموي، والذي يعتبر تنزيه الله تعالى عن الحركة والانتقال حكما عليه بالإعدام، حيث قال: (وقد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة، وينزل لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وينزل عشية عرفة،

---

1) شرح الحكم العطائية، الشيخ أحمد زروق، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ص 319 0

2) ميزان العمل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة: الأولى، 1964 هـ، ص 293 .

3) لطائف المنن في مناقب سيدي الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشيخ أبي الحسن، أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى، المكتبة الأزهرية، ج 1 ص 44 .

وينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، وينزل إلى أهل الجنة.. وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة به، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له، وحركة الحي من لوازم ذاته، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور، فكل حي متحرك بالإرادة وله شعور فنفي الحركة عنه كنفي الشعور، وذلك يستلزم نفي الحياة) (1)

وهكذا راح ابن تيمية يستعمل القياس مع الله، ليثبت أن على الله تعالى أن يتحرك ويتنقل حتى يحصل على الكمال، وإلا كان خلقه المتحرك أكمل منه، يقول: (وهكذا يقال لهم فى أنواع الفعل القائم به كالإتيان والمجيء والنزول وجنس الحركة: إما أن يقبل ذلك وإما أن لايقبله: فإن لم يقبله كانت الأجسام التى تقبل الحركة ولم تتحرك أكمل منه، وإن قبل ذلك ولم يفعله كان ما يتحرك أكمل منه؛ فإن الحركة كمال للمتحرك، ومعلوم أن من يمكنه أن يتحرك بنفسه أكمل ممن لا يمكنه التحرك وما يقبل الحركة أكمل ممن لايقبلها)(2)

وقد استمر هذا القول إلى الآن باعتباره من العقائد الكبرى المقررة في المدارس السلفية، يقول ابن عثيمين: (النصوص في إثبات الفعل والمجيء والاستواء والنُّزول إلى السماء الدنيا إن كانت تستلزم الحركة لله؛ فالحركة له حق ثابت بمقتضى هذه النصوص ولازمها، وإن كنا لا نعقل كيفية هذه الحركة) (3)

---

1) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م، ص473.

2) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، 8/23.

3) إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار، محمد بن صالح العثيمين، دار طيبة، الرياض، 1402، (ص 32)

بل إن الغلو في التجسيم والتشبيه وصل بهم إلى حد اعتبار [الهرولة] صفة من صفات الله تعالى، وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية عنها، فأجابت: (نعم صفة الهرولة على نحو ما جاء في الحديث القدسي الشريف على ما يليق به قال تعالى: (إذا تقرب إلي العبد شبراً تقربت إليه ذراعاً وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا أتاني ماشياً أتيته هرولة) رواه: البخاري ومسلم)[1]

وقد أثبتها كل السلفية المعاصرين من أمثال عبدالرزاق عفيفي وابن عثيمين وابن غديان وابن قعود وغيره؛ فقد سئل ابن عثيمين عن عن صفة الهرولة، فأجاب بقوله: (صفة الهرولة ثابتة لله تعالى كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، فذكر الحديث وفيه: (وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)، وهذه الهرولة صفة من صفات أفعاله التي يجب علينا الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل، لأنه أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بنفسه فوجب علينا قبولها بدون تكييف)[2]

وقال محمد ناصر الدين الألباني: (لكن الهرولة، الهرولة كالمجيء والنزول صفات ليس يوجد عندنا ما ينفيها إذا خصصناها بالله عز وجل؛ لأن هذه الصفات ليست صفة نقص حتى نبادر رأساً إلى نفيها)[3]

ج ـ تنزيه الله عن التركيب والأعضاء:

وهو ما أشار إليه الإمام الحسين بقوله في تفسير سورة الإخلاص: (تعالى أن يخرج منه شيء، وأن يتولد منه شيء كثيف

---

1) فتاوى اللجنة الدائمة، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع – الرياض، (3/142).

2) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، 1413 هـ، 1/182.

3) سلسلة الهدى والنور شريط رقم (756/1).

أو لطيف، و(لم يولد): لم يتولد منه شيء، ولم يخرج من شيء، كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها، كالبصر من العين، والسمع من الاذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتميز من القلب، وكالنار من الحجر، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء)(1)

وهو ما ذكره كل أئمة أهل البيت ومنهم الإمام الصادق الذي سئل: كيف هو الله واحد؟ فأجاب بقوله: (واحد في ذاته، فلا واحد كواحد؛ لأنّ ما سواه من الواحد متجزّئ، وهو تبارك وتعالى واحد لا يتجزّئ، ولا يقع عليه العدّ)(2)

وسُئل الإمام الرضا : (الله واحد والإنسان واحد، فليس قد تشابهت الوحدانية؟)، فقال: (إنّما التشبيه في المعاني، فأمّا في الأسماء فهي واحدة، وهي دلالة على المسمّى، والإنسان نفسه ليس بواحد؛ لأنّ أعضاءه مختلفة، وألوانه مختلفة غير واحدة، وهو أجزاء مجزّأة، فالإنسان واحد في الاسم، لا واحد في المعنى، والله جلّ جلاله واحد لا واحد غيره)(3)

وقبلهم قال إمام الأئمة الإمام علي في تفسير معنى واحدية الله تعالى: (إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام؛ فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يثبتان فيه، فأمّا اللذان لا يجوزان عليه: فقول القائل: واحد، يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنّه كفّر من قال: ثالث ثلاثة.. وقول القائل: هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه؛

(1) التوحيد، ص 90.

(2) الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، النجف الأشرف: مكتبة النعمان، 1386هـ.ج 2، ص 217.

(3) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص 61..

لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالى.. وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه: فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كـذلك ربّنـا، وقول القائل: إنّه عزّ وجلّ أحديّ المعنى، يعـني بـه أنّـه لا ينقسـم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربّنا عزّ وجلّ)(1)

وهو من مقتضيات تقديس الله تعـالى عن الحـدود والمقـادير وما يلزم عنهما، ويرتبط بهما، لأن التركيب تعـدد، والتعـدد شـرك، والمركب فقير، والله غني.

فالجزء في التركيب مقدّم على الكل، وكلّ جزء من المركّب مغاير لغيره، وبذلك يكون المركّب مفتقراً إلى أجزائه، وغـنى اللـه تعالى المطلق يحيل عليه كل أنواع الافتقار.

ثم إنه لو افتقرت الـذات الإلهيـة إلى الـتركيب، فـإنّ الأجـزاء التي ستركب منها لا تخلو من أن تكون أجزاء قديمة، فيلـزم تعـدّد القـدماء، وهـذا باطـل، أو أن تكـون أجـزاء حادثـة، فيلـزم تـركيب الواجب من أجزاء غير واجبة، وهذا باطل.

وبالإضافة إلى ذلك كله، فإن المركّب بحاجـة إلى من يركّبـه، وهو منفي عن الذات الإلهية، لأنها بذلك لن تبقى ذاتا إلهية..

ثم إن الكل المركب من أجـزاء لابـد أن يكـون كـل جـزء من أجزائه عالما خاص، ويكون مختلفا عن سائر الأجزاء اختلافـا كليـا، وهـو بـذلك يكـون منعـدما عن الأجـزاء الأخـرى، ويكـون بجوانبـه الأخرى منعدما عن هذا الجانب؛ فيلزم هذا الأمر النقص في جميـع الجوانب، وبالتالي يستوجب هذا الأمر النقص والقصور في الـذات الإلهية، وهذا باطل.

ثم إنـه لـو كـان اللـه تعـالى مركّبـاً من الأجـزاء لكـان علمـه وقدرته ثابتة لكلّ واحدة من أجزائه المتغايرة، فيكون كلّ جزء من

---

1) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص 81 .

الله عالماً قادراً، فتتعدّد الآلهة، وهذا باطل[1].

هذه بعض الوجوه العقلية البديهية التي تدل على استحالة التركيب على الله، وهي ما أشار إليها قوله تعالى مخبرا عن تنزهه وغناه المطلق: ﴿وَالله الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ [محمد: 38]، وقوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله وَالله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15]

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، وقد قال الفخر الرازي في وجه دلالتها على هذا النوع من التنزيه: (احتج علماء التوحيد قديما وحديثا بهذه الآية في نفي كونه تعالى جسما مركبا من الأعضاء والأجزاء وحاصلا في المكان والجهة، وقالوا لو كان جسما لكان مثلا لسائر الأجسام، فيلزم حصول الأمثال والأشباه له، وذلك باطل بصريح قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، ويمكن إيراد هذه الحجة على وجه آخر، فيقال إما أن يكون المراد ليس كمثله شيء في ماهيات الذات، أو أن يكون المراد ليس كمثله في الصفات شيء، والثاني باطل، لأن العباد يوصفون بكونهم عالمين قادرين، كما أن الله تعالى يوصف بذلك، وكذلك يوصفون بكونهم معلومين مذكورين، مع أن الله تعالى يوصف بذلك، فثبت أن المراد بالمماثلة المساواة في حقيقة الذات، فيكون المعنى أن شيئا من الذوات لا يساوي الله تعالى في الذاتية، فلو كان الله تعالى جسما، لكان كونه جسما ذاتا لا صفة، فإذا كان سائر الأجسام مساوية له في الجسمية، أعني في كونها متحيزة طويلة عريضة عميقة، فحينئذ تكون سائر الأجسام مماثلة لذات الله تعالى في كونه ذاتا، والنص ينفي ذلك فوجب أن لا يكون جسما)[2]

ويدل عليه دلالة خاصة قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ (1)ـ ﴾ [الإخلاص: 1،ـ 2]، فاسم الله الأحد يشير إلى الوحدانية المطلقة

---

1) انظر في الردود على التركيب معظم كتب الكلام، ومنها: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، تعليق: حسن زاده الآملي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط 14، 1433 هـ: ص 405، وغيره من كتب العقائد.

2) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (27/ 582)

لله في جميع جوانبها.

بالإضافة إلى هذا، فإن الرؤية التنزيهية لله تنزه الله تعالى عن الحاجة إلى الجارحة أو أي آلة، فهو يسمع من غير حاجة إلى أذن، ويبصر من غير حاجة إلى عين، وهكذا يفعل كل شيء من غير حاجة لأي شيء، لأنه الغني بذاته عن كل شيء، فلا يحتاج إلى شيء.

لكن هذه العقيدة البديهية الواضحة التي دل عليها القرآن الكريم، ودلت عليها كل البراهين العقلية، خالفتها المدارس التي لم تعتبر أئمة أهل البيت مراجع لها، فلذلك راحت تتلقى عقائدها من أعدائهم من علماء السلطة الأموية، والذين زجوا بهم في متاهة التجسيم والتشبيه والوثنية.

ومن الأمثلة على ذلك تلك الرواية التي يستندون إليها في جواز التركيب على الله، وهي ما رووه عن عكرمة قال: (إن الله عز وجل إذا أراد أن يخوف عباده **أبدى عن بعضه** إلى الأرض فعند ذلك تزلزل، وإذا أراد أن تدمدم على قوم تجلى لها)(1)

وقد صرح ابن القيم بصحة هذه الرواية، بل اعتبر ما ورد فيها من العقائد التي أثبتها في نونيته المشهورة التي لا يزال السلفيون يحفظونها، ويحرصون عليها، فقد جاء فيها(2):

وزعمت أن الله ... للطور حتى عاد

لما تجلى يوم تكليم ... موسى الكليم

وقد استشهد ابن تيمية بهذه الرواية على صحة إطلاق القول بأن الصفة بعض الموصوف ـ وهو يريد في الحقيقة بأن العضو بعض الجسم ـ فيقول: (وأما إطلاق القول بأن الصفة بعض

---

1) الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، (1/248(961) وعزاه ابن تيمية في الفتاوى الكبرى 5/87 إلى الطبراني في كتاب السنة.

2) متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1417هـ، ص 30.

الموصوف وأنها ليست غيره، فقد قال ذلك طوائف من أئمة أهل الكلام وفرسانُهم. وإذا حُقق الأمر في كثير من هذه المنازعات لم يجد العاقل السليم العقل ما يخالف ضرورة العقل لغير غرض، بل كثير من المنازعات يكون لفظياً أو اعتبارياً، فمن قال إن الأعراض بعض الجسم أو أنها ليست غيره، ومن قال إنها غيره يعود النزاع بين محققيهم إلى لفظٍ واعتبار واختلافِ اصطلاحٍ في مسمى (بعض) و(غير) كما قد أوضحنا ذلك في بيان تلبيس الجهمية الذي وضعه أبو عبد الله الرازي في نفي الصفات الخبرية وبنى ذلك على أن ثبوتها يستلزم افتقار الرب تعالى إلى غيره وتركيبه من الأبعاض وبينا ما في ذلك من الألفاظ المشتركة المجملة.. فهذا إن كان أحد أطلق البعض على الذات وغيره من الصفات وقال إنه بعض الله وأنكر ذلك عليه لأن الصفة ليست غير الموصوف مطلقا. وإن كان الإنكار لأنه لا يقال في صفات الله لفظ البعض فهذا اللفظ قد نطق به أئمة الصحابة والتابعين وتابعيهم ذاكرين وآثرين) (1)

ثم نقل الرواية التي ذكرناها، ثم قال: (وقد جاء في الأحاديث المرفوعة في تجليه سبحانه للجبل والتي فيها أنه ما تجلى منه إلا مثل الخنصر، وفي قصة داود: قال: يدنيه حتى يمس بعضه. **وهذا متواتر عن هؤلاء**) (2)

مع العلم أن راوي هذه الرواية، أو ملفقها هو عكرمة الذي اتفق أكثر علماء الجرح والتعديل على تجريحه في عقيدته واتهامه في سلوكه؛ فقد ذكر المترجمون له أنّه كان من أشد فرق الخوارج تشددا وتكفيرا (3)، وقد روي أنه وقف على باب

---

1) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م، (5/85-92)وانظر كلام الفراء في إبطال التأويلات 2/340.

2) الفتاوى الكبرى، 5/85-92 .

3) ميزان الاعتدال 3 / 95.

المسجد، فقال: ما فيه إلاّ كافر(1) بناء على قول الخـوارج بتكفـير المسلمين.

وروى مسـلم بن الحجـاج صـاحب الصـحيح عن معن بن عبـد الرحمن، بسنده، قال: حدث عكرمـة بحـديث، فقـال: سـمعت ابن عبـاس يقــول كــذا وكــذا، قــال: فقلت يــا غلام هــات الــدواة والقرطـاس؟ فقـال: أعجبـك؟ قلت: نعم. قـال: تريـد أن تكبتـه؟ قلت: نعم. قال: إنما قلته برأيي(2).

وهكذا روي عن مالك بن أنس؛ فقد قـال إسـحاق بن عيسـى ابن الطباع: سألت مالك بن أنس، قلت: أبلغك أن ابن عُمَـر، قـال لنافع: لا تكذب علي كما كذب عكرمـة على عبـد اللـه بن عبـاس؟ قــال: لا، ولكن بلغــني أن سَــعِيد بن المُسَــيَّب قــال ذلــك لــبرد مولاه(3).

وبنـاء على تلـك الروايـات المنقولـة من عكرمـة ومقاتـل بن سليمان وكعب الأحبار، وغيرهم، راحوا يصفون اللـه تعـالى بكونـه مركبا من أعضاء لا تختلف عن الأعضاء التي يتركب منها الإنسان، وليس من فرق بينهما إلا أننا نـرى أعضـاء الإنسـان، بينمـا لا نـرى أعضاء الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

ولهــذا نــرى مــا يســمى بكتب التوحيــد والســنة والصــفات مشحونة بالتجسيم المحض، ومن الأمثلة على ذلـك مـا كتبـه أحـد أعلامهم الكبـار، وهـو القاضـي أبـو يعلى، محمـد بن الحسـين بن محمـد بن خلـف ابن الفـراء (المتـوفى: 458هــ) صـاحب كتـاب [إبطال التأويلات لأخبار الصفات]، وهـو مطبـوع ومحقـق ومنتشـر على النت بكـثرة، ومن ضـمن العنـاوين الرئيسـية الـواردة فيـه: (فصـل في إطلاق القـول بأنـه خلـق آدم على صـورته وأن الهـاء راجعة على الرحمن.. فصل في إثبات رؤيته لله سـبحانه في تلـك

---

1) المرجع السابق 3 / 95.

2) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (20/ 286)

3) المرجع السابق، (20/ 280).

الليلة.. فصل وضع الكف بين كتفيه.. فصل جواز إطلاق تسمية الصورة عليه.. فصل إثبات صفة الساق لربنا سبحانه.. فصل إثبات صفة الشخص والغيرة لربنا جل شأنه.. فصل إثبات صفة اليد واليمين والقبض لله تعالى.. فصل إثبات الرجل والقدم لربنا جل شأنه.. فصل إثبات صفة الضحك لربنا، تبارك وتعالى.. فصل صفة العلو لربنا، تبارك وتعالى.. فصل إثبات صفة الفرح لربنا جل شأنه.. فصل إثبات صفة العجب لربنا، تبارك وتعالى.. فصل إثبات صفة النزول لربنا، تبارك وتعالى.. فصل بيان أن الله تعالى حجابه النور أو النار.. فصل إثبات رؤية المؤمنين لربهم جل وعز في الآخرة.. فصل إثبات صفة الكف للرحمن جل شأنه.. فصل إثبات صفة الأصابع للرحمن سبحانه.. فصل إثبات صفة القبض والبسط لربنا تعالى.. فصل إثبات السمع والبصر لله تعالى.. فصل إثبات صفة العينين لربنا جل شأنه.. فصل إثبات صفة الحياء لربنا جل شأنه.. فصل إثبات صفة النفس لربنا جل شأنه.. فصل في المقام المحمود لنبينا ﷺ)

وحتى لا يتصور القارئ أن الفصل الأخير لا علاقة له بالتجسيم، وأنه يذكر فقط مكانة رسول الله ﷺ والمقام المحمود الذي خصه به، نذكر الروايات التي أوردها المؤلف في هذا الفصل لنعلم من خلالها أن التجسيم والوثنية السلفية دخلت في كل محل..

فمن الروايات التي أوردها ما رواه عن ابن عمر، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79] قال: (يجلسه معه على السرير)[1]

وروى عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال: (وعدني ربي القعود على العرش) [2]

وروى عن عن عبد الله بن سلام أنه قال: (إذا كان يوم القيامة جيء بنبيكم ﷺ فأقعد بين يدي الله تعالى على كرسيه)،

1) إبطال التأويلات (ص: 476)

2) المرجع السابق (ص: 476)

قال: فقلت: يـا أبـا مسـعود إذا كـان على كرسـيه أليس هـو معه؟ قال: (ويلكم هـذا أقـر حـديث في الـدنيا لعيـني)، قـال حجـاج في حديثه: (إذا كان يوم القيامة نـزل الجبـار جـل اسـمه على عرشه، وقـدماه على الكرسي، ويـؤتي بنـبيكم ﷺ، فيقعـد بين يديـه على الكرسي، فقـالوا للحسن: إذا كـان على الكرسـي هـو معه؟ قـال: نعم، ويلكم هو معه هو معه) (1)

وقد علق الشيخ أبو يعلى على هذه الروايـات وغيرهـا بقوله: (اعلم أنه غير ممتنع حمـل هـذا الخـبر على ظـاهره، وأنـه يجلسـه معه على عرشه وسريره بمعنى يدنيه من ذاته ويقربه منها)(2)

ومن خلال كـل هـذه الروايـات وغيرهـا كثـير رسـم السـلفية لإلههم صورة لا تختلف عن صورة البشر، بل إنهم يصرحون بذلك، بل يصرحون بكونه شابا أمـرد، وقـد كتب في ذلـك بعض علمـائهم المعاصرين، وهو الشيخ حمود بن عبدالله بن حمود التويجري كتابا سماه [عقيدة أهـل الإيمـان في خلـق آدم على صـورة الـرحمن]، وهو منتشر كثيرا، واعتنى بـه السـلفية المعاصـرون، بـل قـدم لـه شيخهم الكبير عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وقال في تقديمه لـه: (اطلعت على ما كتبه صـاحب الفضـيلة الشـيخ حمـود بن عبداللـه التويجري وفقه الله وبارك في أعماله فيمـا ورد من الأحـاديث في خلق آدم على صورة الرحمن.. فألفيته كتاباً قيماً كثير الفائـدة قـد ذكـر فيـه الأحـاديث الصـحيحة الـواردة في خلـق آدم على صـورة الرحمن، وفيما يتعلق بمجيء الـرحمن يـوم القيامـة على صـورته، وقد أجاد وأفاد، وأوضح مـا هـو الحـق في هـذه المسـألة، وهـو أن الضمير في الحديث الصحيح في خلـق آدم على صـورته يعـود إلى الله عز وجل، وهو موافـق لمـا جـاء في حـديث ابن عمـر أن اللـه خلق آدم على صورة الرحمن، وقد صححه الإمـام أحمـد وإسـحاق بن راهويه والآجري وشيخ الإسـلام ابن تيميـة وآخـرون من الأئمـة رحمة الله عليهم جميعاً، وقد بين كثير من الأئمة خطـأ الإمـام ابن خزيمة رحمـه اللـه في إنكـار عـود الضـمير إلى اللـه سـبحانه في

---

1) المرجع السابق (ص: 477)

2) المرجع السابق (ص: 479)

حديث ابن عمر والصواب ما قاله الأئمة المذكورون وغيرهم في عود الضمير إلى الله عز وجل بلا كيف ولا تمثيل، بل صورة الله سبحانه تليق به وتناسبه كسائر صفاته ولا يشابهه فيها شيء من خلقه سبحانه وتعالى)[1]

وقد ذكر التويجري الدوافع لتأليفه، وهي دوافع لا تختلف كثيرا عن تلك الدوافع التي كان ينطلق منها الدارمي وابن خزيمة وابن تيمية، فقال: (ولا يزال القول بمذهب الجهمية مستمرا إلى زماننا. وقد رأيت ذلك في بعض مؤلفات المعاصرين وتعليقاتهم الخاطئة. وذكر لي عن بعض المنتسبين إلى العلم أنه ألقى ذلك على الطلبة في بعض المعاهد الكبار في مدينة الرياض. ولما ذكر له بعض الطلبة قول أهل السنة أعرض عنه وأصر على قول الجهمية. عافانا الله وسائر المسلمين مما ابتلاه به)[2]

وهو يقصد بالجهمة هنا كل منزهة الأمة، لأنهم جميعا، حتى مع تصحيح الحديث لا يقولون بمقتضاه الظاهر، بل يؤولونه بمختلف صنوف التأويلات.

د ـ تنزيه الله عن الانفعالات:

وهو ما أشار إليه الإمام الحسين بقوله: (لا تتداوله الأمور، ولا تجري عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث)[3]، وقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: 3]: (لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعب منه البداوات، كالسنة والنوم، والخطرة والهم، والحزن والبهجة، والضحك والبكاء، والخوف

---

1) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1409 هـ - 1989 م، ص7.

2) المرجع السابق، ص6.

3) تحف العقول: ١٧٣، بحار الأنوار: ٤ / ٣٠١.

والرجاء والرغبة والسأمة، والجوع والشبع)(1)

وهذه المعاني التي لا تتناسب مـع جلال اللـه وعظمتـه، وقـع في أكثرها كل الذين أعرضوا عن أخذ الدين عنه وعن سائر الأئمة من أهل البيت، وراحوا إلى أعدائهم من اليهـود وغـيرهم، ليأخـذوا منهم قيمهم الإيمانية؛ فوقعوا في التشبيه المحض.

ومن الأمثلة على ذلك اعتبار السـلفية لــ [العجب والضـحك] ونحوهما صفات كمال لا يجوز أن يخلـو اللـه عنهـا، ولـذلك نـراهم يتنافسـون في إثباتهـا، مثـل مسـارعتهم في إثبـات مختلـف أنـواع الانفعـالات للـه، بـل نـراهم يصـورونها تصـويرا تشـبيهيا تجسـيميا محضا.

ومن ذلـك مـا ورد في (الرسـالة الأكمليـة) لابن تيميـة، حيث قال: (وقول القائل: إن الضحك خفة روح، ليس بصحيح، وإن كـان ذلك قد يقارنه.. ثم قول القائـل: (خفـة الـروح) إن أراد بـه وصـفًا مذمومًا فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منـه، وإلا فالضـحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمـال، وإذا قـدر حيـان؛ أحـدهما: يضْحَك مما يُضْحَك منه، والآخر: لا يضـحك قـط، كـان الأول أكمـل من الثاني)(2)

وبهـذا المنطـق حـاول ابن تيميـة أن يثبت ضـحك اللـه، بـل وجميع الانفعالات التي تجـري على الإنسـان، ومن الروايـات الـتي أوردها في ذلك: (ينظر إليكم الـرب قَنِطِين، فيظـل يضـحك، يعلم أن فَرَجَكُم قريب)، فقال له أبو رَزِين العُقَيْلِي: يـا رسـول اللـه، أو يضحك الرب؟ ! قال: نعم، قال: (لن نعـدم من رب يضـحك خـيرًا)(3)

1) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص 90.

2) الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيميـة الحـراني الحنبلي الدمشـقي، مطبعـة المـدني، المؤسسـة السـعودية، القاهرة، مصر، الطبعة: 1403هـ/1983م، ص: 55.

3) رواه ابن ماجة (181)، وأحمد (16187)

وقـد علـق ابن تيميـة على الروايـة بقولـه: (فجعـل الأعـرابي العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلاً على إحسانه وإنعامه؛ فدل على أن هـذا الوصـف مقـرون بالإحسـان المحمـود، وأنـه من صـفات الكمال، والشخص العَبُوس الذي لا يضحك قط هـو مـذموم بـذلك، وقد قيل في اليوم الشديد العـذاب إنـه ﴿يَوْمًـا عَبُوسًـا قَمْطَرِيـرًا﴾ [الإنسان: 10])[1]

ولنتصور مبلغ ذلك التشويه لرحمة اللـه تعـالى الـتي شـملت كل شيء، وكيف حولها السلفية إلى نوع من السـخرية؟ فالروايـة التي أعجب بها ابن تيميـة، تصـور اللـه، وهـو يضـحك على معانـاة خلقه واكتئابهم؟.. وهي صورة تـدل على تـأثر من صـوّرها بصـورة أولئك الملوك الجبارين الظلمة الذين ركن لهم السلفية وأحبـوهم، وباعوا كل شيء من أجلهم.

ومما أورده ابن تيمية من الأدلة على ما يسميه صفة الضحك لله تعالى قوله: (والإنسان حيوان ناطق ضاحك، وما يميز الإنسـان عن البهيمـة صـفة كمـال، فكمـا أن النطـق صـفة كمـال، فكـذلك الضحك صفة كمال، فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يضــحك أكمل ممن لا يضحك، وإذا كان الضحك فينـا مسـتلزمًا لشـىء من النقص فالله مـنزه عن ذلـك، وذلـك الأكـثر مختص لا عـام، فليس حقيقة الضـحك مطلقًـا مقرونـة بـالنقص، كمـا أن ذواتنـا وصـفاتنا مقرونة بالنقص، ووجودنا مقرون بالنقص، ولا يلزم أن يكون الرب موجدًا وألا تكون له ذات)[2]

ولـو طبقنـا هـذا المقيـاس الـذي ذكـره ابن تيميـة على اللـه، لسوينا الله بعباده، ولجعلنا كمالاتنا الوهمية كمالات له.

ومـــا ذكـــره ابن تيميـــة هـــو نفس مـــا ذكـــره المتقـــدمون والمتـأخرون من السـلفية الـذين اعتـبروا ضـحك اللـه صـفة من صفاته، يقول ابن خزيمة: (باب: ذكر إثبات ضحك ربنا عَزَّ وجلَّ: بلا صــفةٍ تصــفُ ضــحكه جــلَّ ثنــاؤه، لا ولا يشــبَّه ضَــحِكُه بضــحك

1) الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال (ص: 55)

2) المرجع السابق (ص: 56).

المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك؛ كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه جلَّ وعلا، إذ اللـه عَـزَّ وجـلَّ اسـتأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك؛ فنحن قـائلون بمـا قـال النـبي ﷺ، مصَدِّقون بذلك، بقلوبنا منصتون عمَّا لم يـبين لنـا ممـا اسـتأثر الله بعلمه)(1)

ومثله قال أبو بكر الآجري: (باب الإيمان بـأن اللـه عَـزَّ وجـلَّ يضحك: اعلموا ـ وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل ــ أنَّ أهل الحق يصفون الله عَزَّ وجلَّ بمـا وصـف بـه نفسـه عَـزَّ وجـلَّ، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم. وهذا مذهب العلماء مِمَّن اتّبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيـف؟ بـل التسليم له، والإيمان به؛ أنَّ الله عَـزَّ وجـلَّ يضـحك، كـذا روي عن النبي ﷺ وعن صحابته؛ فلا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهــل الحق)(2)

وهكذا قالوا في الصفة التي نسبوها لله [صفة العجب]، فقــد قال قوَّام السُّنَّة الأصبهاني: (وقال قوم: لا يوصف الله بأنه يَعْجَبُ: (وقال قوم: لا يوصـف اللـه بأنـه يَعْجَبُ؛ لأن العَجَب ممَّن يعلم مـا لم يكن يعلم، واحتج مثبت هـذه الصـفة بالحـديث، وبقـراءة أهـل الكوفة: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾؛ على أنه إخبار من الله عَـزَّ وجـلَّ عن نفسه)(3)

وقــال ابن أبي عــاصم: (بـاب: في تَعَجُّبِ ربنـا من بعض مـا يصنع عباده مما يتقرب به إليه.. لأن العَجَب ممَّن يعلم مــا لم يكن

1) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكـر محمـد بن إسـحاق بن خزيمـة النيسابوري، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد - السـعودية – الريـاض، الطبعة: الخامسة، 1414هـ - 1994م، (2/563)

2) الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُـرِّيُّ البغـدادي، حققـه الـدكتور عبد اللـه بن عمـر بن سـليمان الـدميجي، دار الـوطن، الريـاض، الطبعـة الثانيـة، 1420 هــ، 1999 م.، (ص 277)

3) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الملقب بقوام السنة، المحقق: محمد بن ربيـع بن هـادي عمـير المـدخلي، دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، 1419هـ - 1999م، 2/457.

يعلم، واحتج مثبت هـذه الصـفة بالحـديث، وبقـراءة أهـل الكوفـة: ﴿ بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾؛ على أنـه إخبـار من اللـه عَـزَّ وجـلَّ عن نفسه)(1)

وهكذا قالوا في الصفة التي سـموها صـفة [البشبشـة]، فقـد رووا فيها حديثا عن أبي هريرة؛ أنَّ النبي ﷺ قال: (ما توطن رجـل مسلم المساجد للصلاة والذكر؛ إلا **تبشبش** الله له كما يتبشـبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم)(2)

قال أبو يعلى الفراء عند ذكره لإثبات صفة الفرح لله تعـالى: (وكـذلك القـول في البشبشـة؛ لأن معنـاه يقـارب معـنى الفـرح، والعرب تقـول: رأيت لفلان بشاشـة وهشاشـة وفرحـاً، ويقولـون: فلان هش بش فرح، إذا كان منطلقاً، فيجوز إطلاق ذلك كمـا جـاز إطلاق الفرح)(3)

وقال الدارمي: (وبلغنا أنَّ بعض أصـحاب المريسـي قـال لـه: كيف تصنع بهـذه الأسـانيد الجيـاد الـتي يحتجـون بهـا علينـا في رد مذاهبنا مما لا يمكن التكـذيب بهـا؛ مثـل: سـفيان عن منصـور عن الزهري، والزهري عن سـالم، وأيـوب بن عـوف عن ابن سـيرين، وعمـرو بن دينـار عن جـابر عن النـبي ﷺ.. ومـا أشـبهها؟)) قـال: ((فقال المريسي: لا تـردوه تفتضـحوا، ولكن؛ غـالطوهم بالتأويـل؛ فتكونوا قد رددتموها بلطف؛ إذ لم يمكنكم ردها بعنـف؛ كمـا فعـل هذا المعارض سواء.. وسننقل بعض ما روي في هـذه الأبـواب من الحب والبغض والسخط والكراهية وما أشـبهه.. (ثم ذكـر أحـاديث في صـــفة الحب ثم البغض ثم الســخط ثم الكـــره ثم العجب ثم الفرح، ثم حديث أبي هريرة السابق في البشاشـة، ثم قـال) وفي هذه الأبـواب روايـات كثـيرة أكـثر ممـا ذكـر، لم نـأت بهـا مخافـة

---

1) المرجع السابق: 2/457.

2) رواه ابن ماجه (صحيح سنن ابن ماجه/652). وأحمـد (8332)، والحـاكم (1/213). ابن خزيمة (1503)

3) إبطال التأويلات: 1/243.

التطويل)(1)

وهكذا قالوا فيما يسمونها صفة [الفرح]، والتي رووا فيها حديثا عن أبي هريرة وغيره يرفعه إلى رسول الله ﷺ، جاء فيه: (لله أفرح بتوبة عبده)، وفي رواية: (أشد فرحاً)(2)

وقد قال ابن القيم ساخرا من الذي أولوا هذا الحديث من باب تنزيه الله تعالى عن الانفعالات الدالة على القصور والعجز: (وأيضاً فقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: (للهُ أَشدُّ فرحاً بتوبة عبده من أحدكم ضل راحلته)، قالوا: وهذا أعظم ما يكون من الفرح وأكمله، فإن صاحب هذه الراحلة كان عليها مادة حياته من الطعام والشراب، وهى مركبه الذى يقطع به مسافة سفره، فلو عدمه لانقطع فى طريقه فكيف إذا عدم مع مركبه طعامه وشرابه.. فأَى فرحة تعدل فرحة هذا؟ ولو كان فى الوجود فرح أعظم من هذا لمثل به النبى ﷺ، ومع هذا ففرح الله بتوبة عبده إذ تاب إليه أعظم من فرح هذا براحلته، وتحت هذا سر عظيم يختص الله بفهمه من يشاءُ، فإِن كنت ممن غلظ حجابه وكثفت نفسه وطباعه، فعليك بوادى الخفا، وهو وادى المحرّفين للكلم عن مواضعه، الواضعين له على غير المراد منه، فهو واد قد سلكه خلق وتفرقوا فى شعابه وطرقه ومتاهاته ولم تستقر لهم فيه قدم ولا لجؤوا منه إلى ركن وثيق، بل هم كحاطب الليل وحاطم السيل)(3)

وهكذا أصبح منزه الله ـ في معيار السلفيين ـ محرفا، وأصبح المجسم معظما ومنزها.

---

1) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، حققه وضبط نصه: أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م، ص 200.

2) رواه البخاري (6308 و6309)، ومسلم (4927- 4933)

3) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، 1394هـ، (ص: 234).

ومثله قال الشيخ محمد خليل الهرَّاس ــ وهو من كبار المعاصرين المتبنين لهذا المنهج التجسيمي ـ عند شرحه للحديث السابق، فقد قال: (وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عَزَّ وجلَّ، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات؛ أنه صفة حقيقية لله عَزَّ وجلَّ، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيحْدُث له هذا المعنى المعبَّر عنه بالفرح عندما يُحدِثُ عبدُهُ التوبةَ والإنابَةَ إليه، وهو مستلزمٌ لرضاه عن عبده التائب، وقبوله توبته، وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب وقد يكون فرح أشر وبطرٍ؛ فالله عَزَّ وجلَّ مُنَزَّه عن ذلك كله، ففرحهُ لا يشبه فرح أحد من خلقه؛ لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته؛ فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرَّضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين، وأما تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضى، وتفسير الرضى بإرادة الثواب؛ فكل ذلك نفيُ وتعطيلٌ لفرحه ورضاه سبحانه، أوجبه سوءُ ظنٍّ هؤلاء المعطِّلة بربهم، حيث توهَّموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم)(4)

هذه مجرد أمثلة عن نسبة السلفية الانفعالات لله، وهو ما لا يليق بجلال الله وقدسه، وما تدل الأدلة العقلية والنقلية على استحالته، ولكن بسبب إعراضهم عن كلمات بيت أهل النبوة وقعوا فيما وقعوا فيه.

ثانيا ـ الإمام الحسين وقيم الكمال [الجمال الإلهي]:

لا تقتصر القيم الإيمانية على قيم التنزيه، ذلك أنها ــ مع أهميتها ـ لاتفعل سوى أن تنفي عن الله ما لا يتناسب مع جلاله وعظمته، بالإضافة إلى كونها قيما يمكن للعقل المجرد إثباتها، بل إن الكثير من الفلاسفة استطاعوا أن يتوصلوا إليها من غير اعتماد على أي مصدر نقلي، ولهذا نرى المتكلمين لا يقتصرون في

4) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ، (ص 166)

البرهنة عليها على المصادر النقلية، بل يضيفون إليها المصادر العقلية أيضا.

ولهذا يدعو القرآن الكريم إلى استعمال العقل المجرد لتنزيه الله عن الشريك، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا الله لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: 22]

أما ما وقع فيه المخالفون لها من هذه الأمة أو غيرها، فهو ناتج عن عزل العقل في التأمل فيها، ولذلك راحوا يقيسون الله على أنفسهم، ويتصورون أن الكمال هو ما يتصفون به؛ فوصفوا الله بما يتصورون أنه كمال مع كونه عين النقص.

ولذلك كان الاهتمام بالتنزيه مقدمة أساسية لإثبات كمال الله وجماله وعظمته التي لا تحد، ذلك أنه لا يمكن إثبات الكمال لعقل ممتلئ بالتشبيه والتدنيس، وإلا أصبح الكمال نفسه نقصا، لاختلاطه مع التشبيه والتجسيم، وهو ما وقعت فيه المدارس التي عزلت أئمة أهل البيت ، حيث أصبح الكمال عندها مشوبا بالتجسيم والتشبيه والنقص الذي لا يليق بجلال الله وعظمته.

ومن الأمثلة على ذلك أنهم يوردون عند بيان قدرة الله المطلقة هذه الرواية التي أوردها أبو الشيخ في العظمة يرفعها إلى رسول الله ﷺ: (يطوي الله عز وجل السموات السبع بما فيهن من الخلائق والأرضين بما فيهن من الخلائق يطوي كل ذلك بيمينه فلا ُيرى من عند الإبهام شيء ولا يرى من عند الخنصر شيء فيكون ذلك كله في كفه بمنزلة خردلة)(1)

ومنها ما ذكره ابن تيمية في (الرسالة العرشية)، حيث قال: (والحديث مروي فى الصحيح والمسانيد وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضا وفى بعض ألفاظه قال: قرأ ﷺ على المنبر: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر: 67]، ثم قال: (مطوية فى كفه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة). وفى لفظ (يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده فيجعلها فى كفه ثم يقول بهما هكذا كما

______

1) العظمة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، حققه رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، 1408، 2/445(136)

تقول الصبيان بالكرة: أنا الله الواحد)، وقال ابن عباس: يقبض الله عليهما، فما ترى طرفاهما بيده)[1]

وقال: (وفي لفظ قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول: (يأخذ الجبار سمواته وأرضه، وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول: أنا الرحمن، أنا الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئا، أنا الذي أعدتها، أين المتكبرون؟ أين الجبارون؟)[2]

والعجب أنهم – بما يروونه من خرافات وأساطير – صاروا يعتقدون أن الأرض تساوي السماوات في ضخامتها، ولهذا تجدهم يصححون الروايات التي تصور أن الله يضع الأرض في يد والسموات بما فيها من نجوم وكواكب وغيرها في يد أخرى، لقد قال ابن القيم يشرح ذلك، أو يصوره: (إذا كانت السموات السبع في يده كالخردلة في يد أحدنا، والأرضون السبع في يده الأخرى كذلك فكيف يقدره حق قدره من أنكر أن يكون له يدان فضلاً عن أن يقبض بهما شيئاً، فلا يد عند المعطلة ولا قبض في الحقيقة وإنما ذلك مجاز لا حقيقة له، وللجهمية والمعطلة من هذا الذم أوفر نصيب)[3]

هذا مثال عن تصور السلفيين لقدرة الله، والتي أثر فيها التجسيم والتشبيه، وحولها إلى عجز محض، وهكذا نراهم عندما يتحدثون عن عظمة العرش، فهم لا يتحدثون عنه باعتباره آية من آيات قدرة الله، وإنما باعتباره محلا لجلوس الله تعالى، وبقدر الجالس يكون الكرسي، وبقدر الراكب يكون المركب، ولها نراهم

---

1) الرسالة العرشية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة : الأولى، 1399هـ، (ص: 18)

2) المرجع السابق، (ص: 17)

3) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1408هـ، 4/1364 .

يبالغون في وصف عظمة العرش، ويؤلفون فيه الرسائل والكتب، لا ليثبتوا قدرة الله، وإنما ليثبتوا عظمة حجم الذي يقعد عليه.

مع العلم أن تلك الأرقام التي يوردونها لا تساوي شيئا أمام ما اكتشفه العلم الحديث من عظمة الكون، بل هي لا تكاد تتجاوز المجموعة الشمسية في أحسن أحوالها، ولهذا نراهم يبغضون العلوم الحديثة، وخصوصا [علم الفلك الحديث]

وفي مقابل الاتجاه السلفي التجسيمي نرى كذلك سائر المدارس الإسلامية من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة وغيرهم، بالغوا في التنزيه على حساب قيم الكمال؛ فلذلك راحوا يقيدون صفات الكمال، ويحصرونها في عدد محدود؛ وهو وإن كان من مقتضيات التصنيف العلمي إلا أنه أحدث آثارا سلبية على قيم الكمال، بالإضافة إلى مخالفته للمنهج القرآني.

وفي هذا الإطار تظهر قيمة أطروحات أئمة أهل البيت ، والتي تبنت المنهج القرآني في الدعوة للعقيدة الإسلامية، وما يرتبط بها من قيم، والتي تجنبت أسلوب التصنيف الكلامي الممتلئ بالقصور والعجز، والذي قد يغلب العقل المجرد القاصر، وإنما تبنت التعريف بالحقائق على الطريقة القرآنية.

ولهذا نجد المعارف العظيمة لهم مضمنة في أدعيتهم؛ فهي تشمل حقائق الجلال والجمال الإلهي، وبأحسن عبارة، وأدق إشارة، وبلغة جميلة بسيطة يفهمها العامة والخاصة، كل بحسبه، بالإضافة إلى كونها معراجا يتواصل المؤمن من خلاله مع الله تعالى، ولا يكتفي بوصفه وصفا مجردا عن المشاعر.

ومن أجمل تلك الأدعية، وأكثرها اهتماما بمعارف الكمال الإلهي دعاء الإمام الحسين يوم عرفة، فهو وحده مدرسة عقدية كاملة، لو أن الأمة اهتمت بها بدل اهتمامها بتلك المتون العقدية، لبنت علاقة إيمانية مع الله، تختلف عن ذلك الجدل والتحريف الذي وقعت فيه.

ومن الأمثلة على ذلك أنه عند مطالعة المقطع الأول من الدعاء، والذي يبدأ بقول الإمام الحسين : (الحمد لله الذي ليس

لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع، ولا كصنعه صنع صانع)[1]، وينتهي بقوله: (وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، اللطيف الخبير، وهو على كل شيء قدير) نرى الكثير من المعارف المتعلقة بالكمال الإلهي، والمصاغة بطريقة لا يمكن أن نجد مثلها في المتون، ولا كتب العقائد التي صاغها المتكلمون والممتلئة بالجفاف.

فهو يذكر إرادة الله وقضاءه الذي لا يمكن لأحد أن يدفعه: (الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع)، وهو يرد بذلك على كل التيارات التي حدت من إرادة الله، أو تصورت إمكانية معارضتها.

وهو يذكر جود الله وكرمه المنبني على قدرته المطلقة: (ولا لعطائه مانع)، (وهو الجواد الواسع)

وهو يذكر قدرة الله وإبداعه في صنعه: (ولا كصنعه صنع صانع.. فطر أجناس البدائع، وأتقن بحكمته الصنائع)

وهو يذكر رقابة الله وسمعه وبصره وحضوره مع كل شيء، وعدم غياب شيء عنه: (لا يخفى عليه الطلائع)

وهو يذكر خلق الله تعالى للخلق ورحمته ورأفته بهم وهدايته لهم: (وهو للخليقة صانع، وهو المستعان على الفجائع، جازي كل صانع، ورائش كل قانع، وراحم كل ضارع، ومنزل المنافع والكتاب الجامع بالنور الساطع)

وهو يذكر أفعال الله المرتبطة بخلقه، وسماعه لأدعيتهم، ورفعه لكرباتهم، ومجازاته للمسيئين منهم: (وهو للدعوات سامع، وللدرجات رافع، وللكربات دافع، وللجبابرة قامع، وراحم عبرة كل ضارع، ودافع ضرعة كل ضارع)

وهكذا لو تأملنا هذا المقطع وحده وجدنا فيه الكثير من المعارف الإلهية المرتبطة بالأسماء الحسنى، والتي تدل على

---

1) انظر الدعاء كاملا في: البلد الامين والدرع الحصين، الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي، قدم له وعلق عليه: علاء الدين الاعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة: الاولى 1997، ص251،ـ بحار الأنوار: 95/217.

مدى حضور المنهج القرآني في عرض القيم الإيمانية في أدعية الإمام الحسين ، مثله مثل سائر أدعية الأئمة .

بناء على هذا، وبناء على صعوبة تصنيف ما ورد في الدعاء من كمالات الله من خلال مقاطعه وفقراته؛ فسنكتفي هنا بذكر بعض ما ورد فيه من معارف إلهية على سبيل الاختصار:

1 ـ حياة الله:

وهي من أول صفات كمال الله، وقد أشار إليها الإمام الحسين في دعاء عرفة بقوله: (يَا حَيّاً حينَ لا حَيّ)، وهي الصفة التي رتب عليها القرآن الكريم كل صفات الكمال، ذلك أنه لا يمكن لأي صفة كمال أن تكون بدونها، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إله إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: 65]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58]

وقد أشار إلى هذه الصفة، وأهميتها في معرفة الله تعالى كل أئمة أهل البيت ، فقد قال الإمام الباقر : (إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره.. حيّاً لا موت فيه، وكذلك هو اليوم، وكذلك لا يزال أبداً)[1]، وقال: (كان حيّاً بلا كون موصوف)[2]

وكلهم نص على أن حياة الله عين ذاته، فعن الإمام علي قال: (كان إلهاً حيّاً بلا حياة)[3]، وقال: (اللهم إنّك.. حيّ لم ترث الحياة من حي) [4]، وقال الإمام الباقر : (لم يزل حيّاً بلا حياة)[5]،

---

1) الكافي 1: 88، ح 3.

2) المرجع السابق 1: 89، ح 3.

3) المرجع السابق 8: 31، ح 5.

4) مهج الدعوات ومنهج العبادات، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني، قدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الاعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة: الاولى المصححة 1994، ص 142.

5) الكافي 1: 89، ح 3.

وقال: (كان حيّاً بلا حياة حادثة)(1)

2 ـ علم الله:

وهو من صفات الكمال الكبرى التي تترتب عليهـا الكثـير من الكمالات، وقد أشار الإمام الحسين في دعاء عرفة إلى سعة علم الله، وارتباطـه بـأدق التفاصـيل، وكأنـه يـرد بـذلك على الفلاسـفة الذين قصروا علم الله على الكليات دون التفاصيل، فقـد قـال في دعائه ــ عنـد عـده لنعم اللـه تعـالى عليـه: (وأنـا اشـهدك يـا إلهي بحقيقة إيمـاني، وعقـد عزمـات يقيـني، وخـالص صـريح توحيـدي، وبـاطن مكنـون ضـميري، وعلائـق مجـاري نـور بصـري، وأسـارير صفحة جبيني، وخرق مسـارب نفسـي، وخـذاريف مـارن عرنيـني، ومسـارب صـماخ سـمعي، ومـا ضـمت وأطبقت عليـه شـفتاي، وحركات لفظ لساني، ومغرز حنك فمي وفكي، ومنابت أضراسي، وبلوغ حبائل بـارع عنقي، ومسـاغ مطعمي ومشـربي، وحمالـة أم رأسي، وجمل حمائل حبل وتيني، وما اشتمل عليه تـامور صـدري، ونياط حجاب قلـبي، وأفلاذ حواشـي كبـدي، ومـا حوتـه شراسـيف أضـلاعي، وحقـاق مفاصـلي، وأطـراف أنـاملي، وقبض عـواملي، ودمي وشــعري، وبشــري وعصــبي، وقصــبي وعظــامي، ومخي وعروقي، وجميع جوارحي، وما انتسج على ذلك أيام رضاعي، وما أقلت الأرض مني، ونومي ويقظتي، وسكوني وحركـتي، وحركـات ركوعي وسجودي)(2)

فهذه القطعـة من الـدعاء تشـير إلى معـان كثـيرة جـدا كلهـا تترتب على علم الله الواسع والمحيط بأدق التفاصيل؛ فهي تشــير إلى قدرة الله المطلقة، وتصميمه البديع، وعنايته بعبـاده، ورحمتـه بهم، وكل هذه المعاني مترتبة على علم الله.

وكأن الإمام الحسين يرد على الفلاسفة الذين يقصــرون علم اللــه على الكليـات دون الجزئيـات، بقولـه: (إن هــذه النعم الــتي نراهـا، ونـوقن بـأن اللــه خلقهـا، لم تكن لتوجـد لـولا قـدرة اللـه

---

1) المرجع السابق 1: 89، ح 3.

2) البلد الامين ص 251، زاد المعاد ص 146 .

المرتبطة بعلمه، فعلمه بالحاجة إليها هو الذي دعا القدرة لإخراجها من العدم إلى الوجود)

والمنهج الذي استعمله الإمام الحسين في إبراز هذه الحقيقة هو نفس المنهج القرآني الذي يعتمد ذكر الأمثلة والنماذج التي يعبر عنها بالآيات، كما قال تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام: 59]، وقال: إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (فصلت:47)، وقال: يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (سبأ:2)، وقال: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (يونس:61)، وقال: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهِ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (المجادلة:7)

وغيرها من الآيات الكريمة الكثيرة التي يذكر الله تعالى فيها علمه الواسع المحيط بكل شيء، وبأدق التفاصيل، وهو نفس المنهج الذي استعمله كل أئمة أهل البيت ؛ فالإمام علي يقول في وصف الله تعالى: (لا يعزب عنه عدد قطر السماء، ولا نجومها ولا سوافي الريح في الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق، وخفي الأحداق) (1)، ويقول: (الحمد لله الذي يعلم عجيج الوحوش في الفلوات، ومعاصي العباد في الخلوات، واختلاف النينان في البحار الغامرات، وتلاطم الماء بالرياح العاصفات)(2)، ويقول: (قد علم

1) نهج البلاغة، خطبة 178.

السرائر، وخبر الضمائر، له الإحاطة بكل شيء)(1)

وقال الإمام الصادق : (إنما سمي الله تعالى عليما لأنه لا يجهل شيئا من الأشياء، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء)(2)

وقال الإمام الرضا : (إنما سمي الله عالما؛ لأنه لا يجهل شيئا)(3)

وقال الإمام الجواد : (قولك عن الله عالم، إنما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل سواه)(4)

3 ـ إرادة الله:

وهي من صفات كمال الله، والتي وقع الخلاف في كونها من الصفات الذاتية أو من صفات الأفعال، كما وقعت خلافات كثيرة في علاقتها بالعلم والقدرة، ونحن لا يعنينا هنا كل تلك الخلافات، وإنما يعنينا منهج الإمام الحسين في التعريف بها وطرحها، فقد أشار إليها في دعاء عرفة في مواضع منه، ومنها قوله في بداية الدعاء: (الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع)

وقوله عند بيانه لنعم الله على عباده: (سبحانك لا إله إلا أنت، اللهم إنك تجيب المضطر، وتكشف السوء، وتغيث المكروب، وتشفي السقيم، وتغني الفقير، وتجبر الكسير، وترحم الصغير، وتعين الكبير، وليس دونك ظهير، ولا فوقك قدير، وانت العلي الكبير)، فكل هذه الأفعال الإلهية تفتقر إلى الإرادة مثل

---

2)المرجع السابق ، خطبة 198.

1) نهج البلاغة، خطبة 86.

2) بحار الأنوار،: ج 3، ب 5، ص 194.

3) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص183.

4) المرجع السابق، ص 188.

افتقارها إلى القدرة.

وقال في دعاء القنوت: (اللهم منك البداء ولك المشيئة، ولك الحول، ولك القـوة، وأنت اللـه الـذي لا إلـه إلا أنت، جعلت قلـوب أوليائك مسكناً لمشيتك وممكناً لإرادتك، وجعلت عقـولهم مناصـب أوامرك ونواهيك. فأنت إذا شـئت مـا تشـاء حـرّكت من أسـرارهم كـوامن مـا ابطنت فيهم، وأبـدأت من إرادتـك على ألسـنتهم مـا أفهمتهم به عنك في عقودهم بعقول تدعوك، وتدعو اليك بحقــائق ما منحتهم وإنِّي لأعلم مما علمتـني من أَنّـك أنت، المشـكور على ما منه أريتني وإليه آويتني.اللهم واني مع ذلك كله عائـذ بـك، لائـذ بحولك وقوتك راض بحكمك الذي سقته إليَّ في علمك جـار بحيث اجريتني، قاصد مما اممتني غير ضنين بنفسي فيمـا يرضـيك عـني إذ به قد رضيتني ولا قاصر بجهدي عمـا إليـه نـدبتني، مسـارع لمـا عرفتني، شارع فيما أشـرعتني، مستبصـر مـا بصـرتني، مـراع مـا أرعيتــني، ولا تخلــني من رعايتــك، ولا تخرجــني من عنايتــك ولا تقعدني عن حولك، ولا تخرجني عن مقصد أنال به إرادتك، واجعل على البصــيرة مــدرجي، وعلى الهدايــة مهجــتي، وعلى الرشــاد مسـلكي، حـتى تنيلـني وتنيـل بي أمنيـتي، وتحـل بي على مـا بـه أردتني وله خلقتني وإليه أويت بي، وأعذ أولياءك من الافتتـان بي، وفتنهم برحمتك لرحمتك في نقمتـك تفـتين الاجتبـاء والاسـتخلاص بسلوك طريقتي، واتباع مهجـتي، والحقـني بالصـالحين من آبـائي، وذوي لحمتي) (1)

وهكذا قال في القطعة المنسوبة إليه في دعاء عرفـة: (إلهي قـد علمتُ بـاختلاف الآثـار، وتنقّلات الأطـوار، أنّ مـرادك منّي أن تتعرّف إليّ في كـلّ شـيء؛ حتّى لا أجهلـك في شـيء)، وهـو نص يبين أن مراد الله من عباده هو التعـرف عليـه وعبادتـه، كمـا قـال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُـدُونِ (56) مَـا أُرِيـدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: 56، 57]

وهو ما نص عليه الحديث القدسي الذي يذكر فيه الله تعـالى الهدف والغاية من خلق الموجـودات، وهي معرفتـه تعـالى، ففيـه:

1) مهج الدعوات: 48، بحار الأنوار 85 / 214.

(كنت كنزا مخفيا، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعــرف) (1)

ومن المسائل التي ثار حولها الجـدل الكثـير في عهـد الإمـام الحسين علاقـة إرادة اللـه بـإرادة الإنسـان، وهـل إرادة اللـه تلغي إرادة الإنسان، أم أن إرادة الإنسـان تلغي إرادة اللـه، وقـد أجـاب على هـذا الإشـكال الإمـام الحسـين في رسـالة أرسـل بهـا إلى الحسن البصري يجيبه فيها عن سؤال حول القدر، ومما جاء فيهـا: (فاتبع ما شرحت لك في القَدَر ممّا أُفضي إلينا أهـل الـبيت، فإنـه من لم يؤمن بالقَدَر خيره وشره فقـد كفـر، ومن حمـل المعاصـي على الله عز وجل فقـد افـترى على اللـه افـتراء عظيمـاً، إنَّ اللـه تبارك وتعالى لا يطاع بإكراه، ولا يُعصى بغَلَبة ولا يُهمِـل العبـاد في الهلكة، لكنه المالك لمـا ملكهم، والقـادر لمـا عليـه أقـدرهم. فـإن ائتمـروا بالطاعـة، لم يكن اللـه صـادّاً عنهـا مبطئـاً، وإن ائتمـروا بالمعصية فشاء ان يَمُنّ عليهم فيحـول بينهم وبين مـا ائتمـروا بـه فعل. وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها قسراً، ولا كلفهم جـبراً بـل بتمكينـه إيـاهم بعـد إعـذاره وإنـذاره لهم واحتجاجـه عليهم، طوقهم ومكنهم وجعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم، وتـرك ما عنه نهاهم جعلهم مستطيعين لأخذ ما أمرهم به من شـيء غـير آخذيه. ولترك ما نهاهم عنه من شيء غير تاركيه، الحمد لله الّـذي جعل عباده أقوياء لما أمرهم بـه ينـالون بتلـك القـوة، ومـا نهـاهم عنه. وجعل العذر لمن يجعل له السبيل حمداً متقبلاً فأنا على ذلك أذهب وبه أقول. والله وأنا وأصحابي أيضاً عليه وله الحمد)(2)

وفي هـذه الرسـالة توضـيح جلي لمسـألة القضـاء والقـدر، وعلاقتهـا بعلم اللـه وإرادتـه وقدرتـه، وعلاقتهـا كـذلك بسـلوك الإنسان، والتكليف المناط به.

وهي حل لتلك الإشـكالات الـتي وقعت فيهـا بعض المـدارس الإسلامية بسبب مواقفها من القضـاء والقـدر، نتيجـة سـوء فهمهـا

1) بحار الأنوار، 87: 199.

2) الفقه المنسوب للإمام الرضا ، المحقق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحيـاء الـتراث ــ قم، المؤتمر العالمي للامام الرضا .٤٠٨ ح ١١٨، بحار الأنوار: ٥ / ١٢٣.

لعلم الله وإرادتـه وقدرتـه، حيث نجـد فـريقين متنـازعين، كلاهمـا أخطأ الطريـق المسـتقيم بسـبب هجـره لحقـائق القـرآن الكـريم والممثلين لها.

أما **أولهما**: فغلب التوحيد على العدل، فاعتقد أن الله تعالى أجبر عباده على ما يفعلون، ثم يحاسبهم على ذلك، لأنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]، وهو المذهب الذي اعتـبره القرآن الكريم مذهب المشركين؛ فقال: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْـرَكُوا لَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَـيْءٍ كَـذَلِكَ كَـذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُـوا بَأْسَـنَا قُـلْ هَـلْ عِنْـدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُـونَ﴾ [الأنعـام: 148]، وقال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَـالُوا وَجَـدْنَا عَلَيْهَـا آبَاءَنَـا وَاللـه أَمَرَنَا بِهَا قُـلْ إِنَّ اللـه لَا يَـأْمُرُ بِالْفَحْشَـاءِ أَتَقُولُـونَ عَلَى اللـه مَـا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 28]، وقـال: ﴿ وَقَـالُوا لَـوْ شَـاءَ الـرَّحْمَنُ مَـا عَبَـدْنَاهُمْ مَـا لَهُمْ بِـذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُـونَ﴾ [الزخـرف: 20]

وأمـا **الفريق الثـاني**؛ فـذهب إلى عكس ذلـك، فتـوهم أن العباد يتصرفون خلافا لما أراد الله تعالى، وبذلك يكون اللـه عنـده مكرها وجأهلا وعاجزا، ولهذا قال الإمام الحسين : (إنَّ الله تبـارك وتعـالى لا يطـاع بـإكراه، ولا يُعصـى بغَلَبـة ولا يُهمِـل العبـاد في الهلكة)

وهذا الذي ذكـره الإمـام الحسـين وعـالج بـه أخطـر القضـايا العقدية، وأكثرها تأثيرا في الواقع هو الذي اتفق عليـه جميـع أئمـة أهل البيت ، فقـد روى الأصْـبَغ بن نُباتـة أن الإمـام علي عَـدَل من حائط مائل إلى حائط آخر؛ فقيل لـه: يـا أمـير المؤمـنين أتَفـرّ من قضاء الله؟ قال: (أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله عز وجل)[1]

وروي أنه لما انصرف من صفين أقبل شيخ فجثا بين يديه، ثم قال لـه: يـا أمـير المؤمـنين أخبرنـا عن مسـيرنا إلى أهـل الشـام، أبقضاء الله وقدره؟ فقال: أجل يـا شـيخ، مـا علـوتم من تلعـة ولا هبطتم من واد إلاَّ بقضاء من اللـه وقـدر؛ فقـال الشـيخ: عنـد اللـه

[1] التوحيد، الشيخ الصدوق، ص 369.

احتسب عنائي يا أمير المؤمنين. فقال أمير المؤمنين: مه يا شيخ! فوالله لقد عَظّم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقـامكم وأنتم مقيمـون، وفي منصـرفكم وأنتم منصـرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكـرهين ولا إليـه مضـطري؛. فقـال الشـيخ: كيـف لم نكن في شـيء من حالاتنـا مكـرهين ولا إليـه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصـرفنا؛ فقـال أمير المؤمنين: أوَ تظن أنَّه كان قضاءً حتمـاً، وقـدَراً لازمـاً؟ إنَّه لـو كان كذلك لبطل الثَّواب والعقاب، والأمر والنهي، والزَّجر من اللـه تعالى، وسقط معنى (الوعد والوعيد) ولم تكن لأئمـة للمـذنب، ولا مَحْمَدَةٌ للمحسن، ولكـان المُـذْنِب أولى بالإِحسـان من المحسـن، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المـذنب.. وتلـك مقالـة إخـوان عَبَدَةَ الأوثان، وخصماء الرحمان، وحـزب الشـيطان، وقَدَرِيّـة هـذه الأُمة ومجوسها، وإنَّ الله كلـف تخيـيراً ونهى تحـذيراً وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعصَ مغلوباً ولم يُطَعْ مكرهاً، ولم يملك مفوّضاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهمـا بـاطلاً، ولم يبعث النبـيين مبشرين ومنذرين عبثاً، ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفــروا من النار)(1)

وقال: (لا تقولوا وكلهم الله إلى أنفسهم فتوهنوه، ولا تقولـوا أجبرهم على المعاصي فتظلموه، ولكن قولوا الخـير بتوفيـق اللـه والشر بخذلان الله، وكلّ سابقٌ في علم الله)(2)

وقال الإمام الصادق : (كما أنَّ بادئ النعم من الله عـز وجـل وقد نحلكموه، كذلك الشرّ من أنفسكم وإن جرى به قدره)(3)

وقال الإمام الرضا : (لا يجور في قضـية، الخلـق إلى مـا علم منقادون، وعلى ما سطر في كتابه ماضـون، لا يعملـون خلاف مـا

1) المرجع السابق ، ص 380

2) بحار الأنوار، 15/114.

3) المرجع السابق.

علم منهم، ولا غيره يريدون)[4]

وهكذا جمعت هذه المقولات بين الإيمان بتوحيد الله وعظمته وإرادتـه المطلقـة وقدرتـه النافـذة في كـل شـيء، مـع الحريـة الإنسانية التي يقتضيها التكليف.

وهي كلهـا مسـتنبطة ومتوافقـة ومتناسـقة مـع مـا ورد في القرآن الكريم، حيث نجده يعقب على أفعال العباد المكتسبة بأنها لم تحصـل خارجـة عن مشـيئة اللـه، بـل هي في إطـار مشـيئته، ليجمـع القلب على التوحيـد بعـد تـذكيرهم بمسـؤوليتهم في عـالم الأسباب.

ومن ذلك قوله تعالى في إثبات ضرر السحر الـذي هـو فعـل المكلـف: فَيَتَعَلَّمُـونَ مِنْهُمَـا مَـا يُفَرِّقُـونَ بِـهِ بَيْنَ الْمَـرْءِ وَزَوْجِـهِ (البقرة: 102)، ثم تعقيبه بعدها بأن هذا الضرر لا يحصـل إلا بـإذن الله: وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله (البقرة: 102)

ومن ذلـك قولـه تعـالى في إثبـات كسـب المخـالفين والمعـادين لرسول اللـه ﷺ: وَكَـذَلِكَ جَعَلْنَـا لِكُـلِّ نَبِيٍّ عَـدُوّاً شَـيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْـرُفَ الْقَـوْلِ غُـرُوراً (الأنعـام: 112)، ثم قولـه بعـدها في إثبـات التوحيـد: وَلَـوْ شَـاءَ رَبُّكَ مَـا فَعَلُوهُ (الأنعام: 112)

ومن ذلك قوله تعالى في إثبـات كسـب المشـركين من قتـل أولادهم التشنيع عليهم بذلك: وَكَـذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِـيرٍ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُـوا عَلَيْهِمْ دِينَهُم (الأنعـام: 137)، ثم التعقيب على ذلك بالرد إلى التوحيد: وَلَوْ شَاءَ الله مَـا فَعَلُوهُ (الأنعام: 137) (الاَنعام 6: 137)

ومن ذلك قوله تعالى في إثبات وقوع الشرك من المشركين بنسبتهم إلى الشرك: وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْـرِكِينَ (الأنعـام: 106)، ثم قولـه بعـدها في إثبـات أن شـركهم لا يخـرج عن مشـيئة اللـه: وَلَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكُوا (الأنعام: 107)

---

4) المرجع السابق.

ومن ذلـك قولـه تعـالى في إثبـات كسـب العبـد لمشـيئة الاستقامة: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (التكوير:28)، ثم تعقيبه بعدها بما يقتضيه التوحيد من إرجاع مشيئة العبد إلى مشيئة اللـه: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير:29)

ومن ذلك قوله تعـالى في إثبـات كسـب العبـد ومشـيئته في السلوك إلى الله: ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَـبِيلاً﴾ (الانسـان:29)، ثم تعقيب ذلـك بإرجـاع المشـيئة إلى اللـه: ﴿ وَمَـا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (الانسان: 30)

ومن ذلـك قولـه تعـالى في إثبـات كسـب العبـاد في التـذكر بـالقرآن الكـريم: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَـذْكِرَةٌ (54) فَمَنْ شَـاءَ ذَكَـرَهُ (55)﴾ (المـدثر)، ثم تعقيبـه علي ذلـك بإرجـاع المشـيئة إلى اللـه إثباتـا للتوحيد: ﴿ وَمَـا يَـذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللـه هُـوَ أهـل التَّقْـوَى وَأهـل الْمَغْفِرَةِ ﴾ (المدثر:56)

وهكذا نرى مدى التوافـق بين القـرآن الكـريم وكلمـات أئمـة أهل البيت ، ذلك أنـه يسـتحيل أن يختلـف الثقلان في أي مسـألة، وكيف يختلفان، وقد أخـبر رسـول اللـه ﷺ أنهمـا لا يفترقـان حـتى يردا عليه الحوض.

4 ـ قدرة الله:

وهي التي أشار إليها الإمـام الحسـين في مواضـع كثـيرة من دعاء يـوم عرفـة، ومنهـا قولـه: (ولا كصـنعه صـنع صـانع)، وقولـه: (فطر أجنـاس البـدائع[1]، وأتقن بحكمتـه الصـنائع)، وقولـه: (وهـو على كل شيء قدير)[2]

وقولـه عنـد ذكـر بعض تفاصـيل القـدرة المرتبطـة بخلقـه: (ابتدأتني بنعمتك قبل ان أكون شيئا مذكورا، وخلقتني من التراب، ثم اسكنتني الأصلاب.. فابتدعت خلقي من منى يمـنى، وأسـكنتني

[1] أصناف المخلوقات.

[2] البلد الأمين، ص251.

في ظلمـات ثلاث، بين لحم ودم وجلـد)[1]، وغيرهـا من المقـاطع التي ذكر فيها نعم الله تعالى عليه؛ فكلها نعم دالة على قـدر اللـه تعالى.

ونلاحـظ فيهـا مثلمـا لاحظنـاه سـابقا من اسـتخدام المنهج القرآني في التعريف بقدرة اللـه، وهـو منهج يعتمـد الآيـات الدالـة على القدرة، وكونهـا تتسـع لكـل شـيء، فاللـه تعـالى يعـدد آيـات قدرته، ليبرهن بها على كون القدرة صفة من صفاته الذاتيـة، قـال تعالى: ﴿الله الَّذِي خَلَـقَ سَـبْعَ سَـمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12]

ومن الأمثلة على ذلـك قولـه عنـد بيانـه لقدرتـه على البعث: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُـرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَـةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْـرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُـوا أَشُـدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَـوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُـرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَـإِذَا أَنْزَلْنَـا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: 5]

وهو دليل واضح على أن من قدر على كل هذه الآيات البديعة قادر على غيرها؛ قال تعالى:﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَـامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُـلْ يُحْيِيهَـا الَّذِي أَنْشَـأَهَا أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَـارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: 78 ـ 82]

وهذا المنهج هو الذي اعتمده أئمة أهل البيت في الدلالة على قدرة الله، والرد على تلك المقولات والتشكيكات الـتي تحـاول أن

[1] ()المرجع السابق ، ص251.

تبحث في محدودية قدرته تعالى[1]، ومن ذلك قـول الإمـام علي : (فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميـدان أرضه)[2]، وقوله: (وأرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته)[3]، وقولـه: (فأقـام من الأشـياء أودهـا، ونهج حـدودها ولاءم بقدرته بين متضادها)[4]، وقوله: (و أقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته)[5]

وهكذا قال الإمام الصادق في جـواب بعض الملاحـدة: (كيـف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك)[6]

5 ـ عدل الله:

وهو الذي أشار إليه الإمام الحسين في قوله في دعاء عرفة: (وأنك الحكم العدل الذي لا يجور، وعدلك مهلكي، ومن كل عـدلك مهربي، فإن تعذبني فبذنوبي يا مولاي بعد حجتـك علي، وإن تعـف عني، فبحلمك وجودك وكرمك)[7]

وهذه القطعة من الـدعاء ــ بالإضـافة إلى احتوائهـا على قيم العبودية الخالصة لله والممتلئة بالأدب الرفيع والشـفافية الروحيـة العالية ـ تدل كذلك على أن من صفات كمال اللـه عدلـه المطلـق

---

1) من ذلك قول ابراهيم النَّظّام (ت 231 هـ): (إِنَّه تعـالى لا يقـدر على القـبيح)، وقـال عَبَّاد بن سـليمان الصَّـيْمُري (ت 317 هــ): (لا يقـدر على خلاف معلومـه)، وقـال أبوالقاسـم الكعبي (ت 317 هــ): (لا يقـدر على مِثْـل مقـدور عبـده)، وقـال الشـيخ أبـو علي محمـد بن عبدالوهاب (ت 303 هـ)، وابنه أبو هاشم عبد السـلام بن محمـد (ت 321 ه): (لا يقـدر على عَيْن مقدور العبد)

2) الاحتجاج للطبرسي: 1 / 199، نهج البلاغة، ص 40.

3) نهج البلاغة، ص184.

4) المرجع السابق، ص186.

5) المرجع السابق، ص360.

6) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص 91.

7() البلد الأمين، ص256.

الذي لا حدود له، وهـو من المفـاهيم الـتي وقعت فيهـا الكثـير من الأخطاء في المدارس الإسلامية، ولهذا نجد في الروايـات الـواردة عن أئمـة أهـل الـبيت تصـحيح تلـك المفـاهيم الـتي انحـرفت عن المعاني القرآنية.

وأول من أشار ذلك الإمام علي عنـدما طـرحت المسـألة في عصره؛ فسئل عن التوحيد والعدل؛ فأجـاب بعبـارة جامعـة بقولـه: (التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه)(1)، وهي عبـارة تلخص الكثير من القيم الإيمانية التي حرص أئمة أهل البيت على الـدعوة إليها.

وقد أشـار ابن أبي الحديـد إلى قيمـة تلـك العبـارة الجامعـة، ومدى تأثيرها في عقائد المعتزلـة، على عكس مـا يشـاع من تـأثر الإمامية بالمعتزلـة؛ فقـال: (هـذان الركنـان همـا ركنـا علم الكلام، وهما شعار أصحابنا المعتزلة لنفيهم المعـاني القديمـة الـتي يثبتهـا الأشعري وأصـحابه، ولتـنزيههم البـاري سـبحانه عن فعـل القـبيح، ومعنى قوله: (أنْ لا تتوهمه): أنْ لا تتوهمه جسماً أو صـورة أو في جهة مخصوصة أو مالئاً لكل الجهات، كما ذهب إليه قـوم، أو نـوراً من الأنوار، أو قوة سارِيّة في جميع العالم كمـا قالـه قـوم، أو من جنس الأعراض التي تحل الحالّ أو تحل المَحَل وليس بعَرض، كما قاله النصارى، أو تحله المعاني والأعراض فمتى تُوُهّم على شـيء من هذا فقد خولف التوحيد.. وأما الركن الثاني فهو (أنْ لا تتهمه): أي أَنْ لا تتهمه في أنَّه أجبرك على القبيح ويعاقبـك عليـه، حاشـاه من ذلك ولا تتهمه في أنَّه مكّن الكذّابين من المعجزات فأضل بهم الناس، ولا تتهمه في أَنَّه كلّفك ما لا تطيقه وغير ذلـك من مسـائل العدل التي يذكرها أصحابنا مفصـلة في كتبهم، كـالعوض عن الأَلم فإِنه لا بدّ منه، والثواب على فعل الواجب فإِنه لا بـد منـه، وصـدق وعده ووعيده فإِنه لا بد منه) (2)

ثم ذكر مدى تأثير الروايات الواردة عن أئمة أهـل الـبيت في

1) نهج البلاغة، ص892.

2) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديـد، تحقيـق محمـد أبـو الفضـل إبـراهيم، دار إحيـاء الـتراث العربي، الطبعة الثانية، 1386 هـ، بيروت، ج 20، ص 227.

مفهوم العدل وما يرتبط بـه من مفهـوم الحسـن والقبح وغيرهمـا في عقائد المعتزلة؛ فقال: (و جملة الأمـر أَنَّ مـذهب أصـحابنا في العـدل والتوحيـد مـأخوذ عن أمـير المؤمـنين وهـذا الموضـع من المواضع التي قد صـرّح فيهـا بمـذهب أصـحابنا بعينـه وفي فـرض كلامه من هذا النمط ما لا يحصى)(1)

وهكذا روي عن الإمام الصـادق الجمـع بين التوحيـد والعـدل، حيث قال: (أَمّا التّوحيدُ فَأَنْ لا تُجَوِّزَ عَلى رَبِّك ما جازَ عليـكَ، وأمّـا العَدْل فَأَنْ لا تَنْسبَ إلى خَالِقِكَ ما لاَمَكَ عَلَيْهِ)(2)

وكل هذه الروايات التي يجتمع فيها العدل مع التوحيد، نجـدها مستنبطة ومتفقة مـع القـرآن الكـريم الـذي يعتـبر اقـتران العـدل بالتوحيد اقترانـا ضـروريا لا انفصـال لأحـدهما عن الآخـر؛ فالعـدل يقتضي التوحيد، والتوحيد يقتضي العدل.

أما اقتضاء العـدل للتوحيـد، فـإن الشـخص إن كلـف تكـاليف مختلفة من جهات متعددة، ثم حوكم في محاكم مختلفة من قضاة متناقضين كان ذلك منتهى الجور، ولكن العـدل الإلهي مسـتند إلى التوحيد الإلهي، فالعبد لا يكلف إلا من رب واحد، وهو الـذي يتـولى جزاءه، فلا يخاف ظلما ولا هضما.

أما اقتضاء التوحيد للعدل، فإن من أعظم أسباب الجور فقــر الجائر لمن جار له بأي نـوع من أنـواع الافتقـار، أو بغضـه للمجـور لعلة من العلل، والله تعالى الغني عن عباده، لا يفتقر لأحــد منهم، وينزه عن العلل التي يقع بسببها الجور والظلم.

ولهذا ورد في النصوص الجمع بين التوحيد والعدل، ومن ذلك قوله تعالى حاكيا قول هود ﷺ لقومه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى الله رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَـا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُــوَ آخِــذٌ بِنَاصِــيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِــرَاطٍ مُسْـتَقِيمٍ ﴾ (هـود: 56)، فهـذه الآيــة الكريمــة تجمــع بين العــدل والتوحيد، بل تسند أحدهما للآخر:

---

1) المرجع السابق، ج 20، ص 227.

2) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص 96.

أما التوحيد الذي هو أساس التوكل كما أنه أساس العدل، فقد عبر عنه بقوله: ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ أي لا يخرج أي شيء عن قهره وسلطانه.

وأما العدل، والذي جاء مستدركا لما قد يفهم خطأ من التوحيد، فقد عبر عنه بقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي هو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه، فإنه على صراط مستقيم.

وهكذا نرى النصوص القرآنية الكثيرة التي توضح معنى العدل، وأنه امتناع الظلم عن الله، كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (آل عمران:182)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ ﴾ (غافر: 31)، وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت:46)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الله لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس:44)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الله لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء: 40)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً ﴾ (طه: 112)، والهضم أن ينقص من جزاء حسناته، والظلم أن يعاقب بذنوب غيره، وكلاهما مما يتنافى مع العدل.

وكل تلك الآيات الكريمة، ومثلها الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت تدل على أن المراد من العدل والظلم هو نفس ما نفهمه في تعابيرنا العادية من معانيهما؛ فالعدل أن توضع الأشياء في مواضعها المناسبة لها، والظلم أن توضع في غير مواضعها.

أما من حرف هذا المعنى، ففسر العدل بالممكن، واعتبر أن كل ما يمكن فعله بالعبد فهو عندهم عدل، وفسروا الظلم بأنه التصرف في ملك الغير بغير إذنه، وأحالوا بذلك ــ عقلا ــ إمكانية الظلم على الله تعالى باعتباره ممتنعا لذاته، فلا يدخل تحت القدرة، فلا يقدر الرب تعالى على ما يسمى (ظلما) حتى يقال

ترك الظلم وفعل العدل[1].

فهذا لا يتناسب مع ما يفهم من ظواهر النصوص القرآنية والنبوية والروايات الواردة عن أئمة أهل البيت ، وعلى قولهم ذلك لا يمدح الله بالعدل، ولا يحمد على ترك الظلم، لأنه لا يحمد على ترك المستحيل لذاته.

بل إن القول بهذا، وخاصة ما يشاع ترديده بأن من عدالة الله أن يدخل التقي المؤمن جهنم، ويدخل العاصي الكافر الجنة[2] نوع من أنواع الجراءة على الله والمناقضة لما ورد في النصوص، زيادة على الآثار العملية الخطيرة لهذا القول.

وفي مقابل هؤلاء من وضعوا قانونا للعدالة أرادوا فرضه على الله، واعتقدوا التعارض بين عدل الله وتوحيده، فنفوا التوحيد لأجل العدل، كما نفى من قبلهم العدل لأجل التوحيد؛ فكلا الطرفين ابتعد عن الحق بقدر ابتعاده عن النصوص المعصومة أو تغليب بعضها على بعضها، أو إعمال بعضها وإهمال الآخر.

6 ـ رحمة الله:

---

1) القائلون بذلك هم الاشاعرة، فقد عرفوا الظلم بأنه: إما أنه التصرف في ملك الغير، أو أنه مخالفة الآمر الذي تجب طاعته، ولهذا يعتقدون بأن الظلم بالنسبة لله تعالى غير ممكن الوجود، بل كل ممكن إذا قدر وجوده فإنه عدل، والظلم منه ممتنع غير مقدور، وهو محال لذاته كالجمع بين الضدين، وكون الشيء موجودا معدوما.

وبناء على هذا يقولون: لو عذب الله المطيعين ونعم العاصين لم يكن ظالما، لأن الظلم إنما هو التصرف في ملك الغير، والله تعالى مالك الملك، فأي فعل فعله ولو كان تعذيب أنبيائه وملائكته وأهل طاعته، وتكريم أعدائه من الكفار والشياطين لم يكن ظالما، لأنه لم يتصرف إلا في ملكه، وكذلك فليس هناك آمر فوقه حتى يخالفه.

وهذا قول جمهور الأشاعرة، وهو قول كثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد، كالقاضي أبي يعلى، وأتباعه، وأبي المعالي الجويني وأتباعه، وأبي الوليد الباجي وأتباعه وغيرهم، انظر: (منهاج السنة: 1/ 90، 2/ 232)

2() من الأمثلة على ذلك قول أبي عبد الله محمد بن عرَفة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٠]: (هذا من قبيل: الحائطُ لا يُبْصِر، أي: لا يقبل الإبصار؛ لأن الظلم: هو التصرُّف في ملْكِ الغير جَبْراً، والكلُّ ملْكٌ لله تعالى، فيستحيل عليه وَصْفُ الظلم. وبهذا نفهم مذهب أهل السنة في أنه يجوز في حق الله تعالى أن يثيب الكافر الشقي وينعمه، ويعذب الطائع التقي؛ لأن الكل عبيده)(انظر: درر المعرفة من تفسير الإمام ابن عرفة، ج1/ص110).

وهي التي أشار إليها الإمـام الحسـين في مواضـع كثـيرة من دعاء عرفة وغيره، ومنها قوله في دعاء عرفة: (تقدست وتعاليت، من رب عظيم كـريم رحيم، لا تحصـى آلاؤك، ولا يبلـغ ثنـاؤك، ولا تكافئ نعماؤك)[1]

وقولـه في الجمـع بين القـدرة والرحمـة الإلهيـة: (اللهم إنـك تجيب دعوة المضطر إذا دعاك، وتكشف السوء، وتغيث المكروب، وتشفي السقيم، وتغني الفقـير، وتجـبر الكسـير، وتـرحم الصـغير، وتعين الكبـير، وليس دونـك ظهـير، ولا فوقـك قـدير، وأنت العلي الكبير، يا مطلق المكبل الأسير، يا رازق الطفل الصغير، يا عصمة الخائف المستجير، يا من لا شريك له ولا وزير)[2]

وقولـه في الجمـع بين العلم والرحمـة الإلهيـة: (يـا خـير من سـئل، ويـا أرحم من اسـترحم، يـا من لا يخفى عليـه إغمـاض الجفـون، ولا لحـظ العيـون، ولا مـا اسـتقر في المكنـون، ولا مـا انطوت عليه مضمرات القلـوب، الا كـل ذلـك قـد أحصـاه علمـك، ووسعه حلمك) [3]

بـل إنـه يمكن قـراءة جميـع الـدعاء من نافـذة هـذه الصـفة العظيمة من صفات الله تعـالى، فكـل شـيء في الكـون نـابع من الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء، كما قال تعـالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَـيْءٍ ﴾ (الأعـراف:من: 156)، وقـال: ﴿ فَـإِنْ كَـذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُـرَدُّ بَأْسُـهُ عَنِ الْقَـوْمِ الْمُجْـرِمِينَ﴾ (الأنعام:147)

فالآيتـان الكريمتـان صـريحتان في سـعة الرحمـة الإلهيـة وشمولها لكل شيء، ولم يـرد في القـرآن الكـريم اقـتران السـعة بشيء من صفات الله إلا في صفتي الرحمة والعلم.

[1] () البلد الأمين، ص257.

[2] ()المرجع السابق ، ص257.

[3] ()المرجع السابق ، ص257.

7 ـ حكمة الله:

وهي التي أشار إليها الإمام الحسين في مواضع من دعاء عرفة، ومنها قوله عند تعداد بعض مظاهر الرحمة الخاصة به، والممتلئة بكل أنواع الحكمة: (لم تخرجني لرأفتك بي، ولطفك لي، وإحسانك إلي، في دولة أئمة الكفر الذين نقضوا عهدك، وكذبوا رسلك، لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى، الذي له يسرتني، وفيه أنشأتني، ومن قبل رؤفت بي بجميل صنعك، وسوابغ نعمك، فابتدعت خلقي من منى يمنى، وأسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم ودم وجلد، لم تشهدني خلقي، ولم تجعل إلي شيئا من أمري، ثم أخرجتني للذي سبق لي من الهدى إلى الدنيا تآما سويا، وحفظتني فى المهد طفلا صبيا، ورزقتني من الغذآء لبنا مريا، وعطفت على قلوب الحواضن، وكفلتني الأمهات الرواحم، وكلأتني من طوارق الجآن، وسلمتني من الزيادة والنقصان، فتعاليت يا رحيم يا رحمن، حتى إذا استهللت ناطقا بالكلام، أتممت على سوابغ الأنعام، وربيتني آيدا في كل عام) (1)

وفي هذا النص وغيره نرى الكثير من المعاني التي توضح مفهوم الحكمة الإلهية، وتصحح تلك التحريفات التي وقعت حولها؛ فالحكمة تطلق على الإتقان والإحكام في الصنعة، وهي التي وردت في القطعة التي ذكرناها كما وردت في مقاطع أخرى، منها قوله في بداية الدعاء: (فطر أجناس البدائع، واتقن بحكمته الصنائع) (2)

ومنها كون كل الأفعال الإلهية في منتهى اللطف، وأنه يستحيل عليها العبثية، وقد قال الإمام الحسين معبرا عن هذا المعنى في الدعاء: (يا مقيض الركب ليوسف في البلد القفر ومخرجه من الجب، وجاعله بعد العبودية ملكا، يا راد يوسف على يعقوب بعد أن ابيضت عيناه من الحزن، فهو كظيم، يا كاشف الضر والبلاء عن أيوب، يا ممسك يد إبراهيم عن ذبح ابنه بعد أن

(1) المرجع السابق ، ص252.

(2) المرجع السابق ، ص251.

كبر سنه وفنى عمره، يا من استجاب لزكريا فوهب لـه يحـيى ولم يدعه فردا وحيدا، يا من أخرج يونس من بطن الحوت، يا من فلق البحر لبني إسرائيل فأنجاهم وجعل فرعون وجنوده من المغرقين، يا من أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته، يا من لا يعجل على من عصاه من خلقه، يا من استنقذ السحرة من بعد طول الجحـود وقد غدوا في نعمته يأكلون رزقه ويعبدون غيره وقد حادوه ونادوه وكذبوا رسله) [1]

وأول الثمار التي يجنيها المؤمن من هذه القيمة ـ كمـا يظهـر في دعـاء الإمـام الحسـين ــ هـو ذلـك الرضـا عن اللـه في جميـع أفعاله؛ ذلك أنه يعلم أن كـل مـا في الكـون مؤسـس على حكمـة اللـه وقـائم بهـا وقـائم عليهـا، فلا ينكـر فعلا من أفعـال اللـه، بـل يستدل بأفعال الله على الله.

وبهذا يعيش المؤمن بصـحبة اللـه الحكيم الـذي يضـع الأمـور دقيقها وجليلها في موضعه الذي يليق به، فلا فطور في الكـون ولا نشاز، بل كل شيء ينطق بالحكمة، ويخبر عن دقة الصنع وإتقانه.

ولهـذا نجـد في القـرآن الكـريم اقـتران اسـم اللـه (الحكيم) بخلق الله وأمره، لينبهنا إلى أن مصدر هذا الخلق أو ذاك الأمر هو حكمة الله وتدبيره العجيب، لا العشوائية أو الصدفة:

فتصوير الإنسان في الأرحام، وتوفير كل ما يحتاجه صادر من حكمة الله، قال تعالى: هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إله إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آل عمران:6)

وإحياء الموتى كبدء الحياة كلاهمـا صـادران من حكمـة اللـه، قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْـرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْـفَ تُحْيِي الْمَـوْتَى قَـالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَـكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ (البقرة:260)

ولهذا تقترن أسماء الله المرتبطة بـالخلق بحكمـة اللـه، كمـا قال تعالى: هُوَ الله الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَـهُ الْأَسْـمَاءُ الْحُسْـنَى

---

[1] ()المرجع السابق ، ص254.

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الحشر: 24)

ولهذا أيضا يقترن اسم الله (العزيز) باسم الله (الحكيم)، فالعزة تعني كمال القدرة والتصرف، والحكمة تعني وضع ذلك في موضعه المناسب.

ولهذا كان من أدب المسيح عليه السلام قوله في ختم إجابته لربه: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (المائدة:118)، فلم يقل (فإنك أنت الغفور الرحيم) لأن المقام يقتضي عزة الرب وحكمته لا مغفرته ورحمته.

هذه نماذج عن بعض القيم الإيمانية التي يمكن استنباطها من أقوال الإمام الحسين وأدعيته، وهي وحدها كافية لصد كل تلك التحريفات التي وقعت في العقائد، بسبب الإعراض عن الإمام الحسين وغيره من أئمة أهل البيت .

الفصل الثاني

الإمام الحسين والقيم الروحية

لا يمكن لأحـد أن يفهم الإمامـة، ويعـرف سـرها وخصائصـها ووظائفها وقيمتها، دون أن يعرف القيم الروحية الـتي ترتبـط بهـا، ذلك أن قيمة الإمـام تتأسـس على علاقتـه باللـه قبـل أن تتأسـس على علاقته بالخلق، والإمام ـ كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة ـ ولي الله الأعظم، وحجته الكبرى على خلقه، ولذلك اختـاره اللـه ليكون سراج هداية، وراية حق، وسراطا مستقيما.

وقـد أشـار إلى هـذا المعـنى قولـه تعـالى: ﴿وَجَعَلْنَـاهُمْ أئمـة يَهْـدُونَ بِأَمْرِنَـا وَأَوْحَيْنَـا إِلَيْهِمْ فِعْـلَ الْخَيْـرَاتِ وَإِقَـامَ الصَّـلَاةِ وَإِيتَـاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِـدِينَ ﴾ [الأنبيـاء: 73]، وقـال: ﴿ وَجَعَلْنَـا مِنْهُمْ أئمة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]

وهذه الآيات الكريمة لا تنص فقـط على أئمـة بـني إسـرائيل، بل هي تعم كل الأمم؛ فلا يمكن أن تتم حجة الله على خلقه ما لم يكن هنـاك هـداة يتمثـل فيهم الـدين أحسـن تمثـل، ليكونـوا هـداة لأقوامهم بـأقوالهم وأفعـالهم، كمـا قـال تعـالى: ﴿إِنَّمَـا أَنْتَ مُنْـذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: 7]

وقـد ورد في الحـديث الشـريف الـذي سـبق ذكـره، والـذي اتفقت عليه الأمة ما يدل على علاقة القيم الروحية بالولايـة، فقـد قال رسول الله ﷺ: (قال اللـه عـز وجـل: من أهـان لي وليـا فقـد أرصـد لمحـاربتي، ومـا تقـرب إلي عبـد بشـيء أحب إلي ممـا افترضت عليه، وإنه ليتقرب إلي بالنافلـة حـتى أحبـه، فـإذا أحببتـه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصـر بـه، ولسـانه الـذي ينطق بـه، ويـده الـتي يبطش بهـا، إن دعـاني أجبتـه، وإن سـألني أعطيته)(1)

وهذا الحديث يرسـم بدقـة خصـائص أوليـاء اللـه، ووظـائفهم

---

1) الكافي: 2 / 352 ، المحاسن: 1 / 454، بحارالأنوار: 70 / 22، ورواه البخاري (4 / 231) قريبا من هذه الصيغة.

وقدراتهم، وهو يدل على أن هذه الإمامة ليست مجرد هبة إلهية، وإنما هي جهد وعمل وكسب، كما قال تعالى: ﴿ اللـه أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124]

بناء على هذا نحاول في هذا الفصل أن نبين بعض مظاهر القيم الروحية التي اتصف بها الإمام الحسين ، أو دعا إليها، ونرى علاقتها بالقرآن الكريم، أو بما قاله رسول الله ﷺ وسائر الأئمة ، ودورها في الحفاظ على الدين الأصيل، ومواجهة التحريفات التي لحقت به في الأزمنة المختلفة.

وقد رأينا تقسيمها بحسب ما هو متعارف إلى نوعين من القيم:

القيم المرتبطة بالشعائر التعبدية: كالصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن الكريم ونحوها، باعتبارها وسائل التربية الروحية، ودلائل التحقق بمقاماتها.

القيم المرتبطة بالسلوك الباطني: كالإخلاص والتسليم والتفويض والتوكل والحمد والشكر والأنس والمحبة وغيرها.

وسنتناول كلا القسمين في المبحثين التاليين:

أولا ـ الإمام الحسين والقيم المرتبطة بالشعائر التعبدية:

من المظاهر المشتركة عند جميع الأئمة الاهتمام بالشعائر التعبدية وتعظيمها، واعتبارها أقرب السبل للسلوك إلى اللـه تعالى، وذلك على عكس تلك المناهج الكثيرة المستحدثة التي أدخلتها بعض المدارس الصوفية إلى الإسلام، والتي استهانت بالشعائر التعبدية، واستبدلتها بالكثير من الطقوس التي تصورت أنها أكثر جدوى في التقريب من الله، وسلوك السبيل إليه.

ولهذا نجد الإمام علي يذكر أن الصراع بينه وبين الأمويين وأتباعهم وأذنابهم لم يكن صراعا سياسيا فقط، وإنما كان صراعا مرتبطا بالقيم الروحية والإيمانية، وخصوصا الصلاة، باعتبارها

المحل الذي تجتمع فيه كل القيم الدينية.

وقد روى عنه الديلمي أنه كان يوما في حرب صفين مشتغلا بالحرب والقتال، وهو مع ذلك بين الصفين يرقب الشمس، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الفعل؟ فقال الإمام علي : أنظر إلى الزوال حتى نصلي، فقال له ابن عباس: وهل هذا وقت صلاة؟! إن عندنا لشغلا بالقتال عن الصلاة، فقال الإمام علي : (على ما نقاتلهم؟! إنما نقاتلهم على الصلاة)(1)

ولهذا كان يوصي المؤمنين وأسرته ــ بمن فيهم الإمام الحسين ـ كل حين بالاهتمام بالشعائر التعبدية، امتثالا لتلك الأسوة التي ذكرها الله تعالى؛ فقال: ﴿اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أهلهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: 54، 55]

ومن الأمثلة على ذلك قوله: (تعاهدوا أمر الصّلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرّبوا بها، فإنّها ﴿كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً﴾.. ألا تسمعون إلى جواب أهل النّار حين سئلوا: ﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾.. وإنّها لتحتّ الذّنوب حتّ الورق، وتطلقها إطلاق الرّبق، وشبّهها رسول الله ﷺ بالحمّة تكون على باب الرّجل، فهو يغتسل منها في اليوم واللّيلة خمس مرّات، فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن.. وقد عرف حقّها رجال من المؤمنين، الّذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرّة عين من ولد ولا مال، يقول الله سبحانه: ﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وإِقامِ الصَّلاةِ وإِيتاءِ الزَّكاةِ﴾ [طه: 132].. وكان رسول الله ﷺ نصبا بالصّلاة بعد التّبشير له بالجنّة، لقول الله سبحانه: ﴿وأْمُرْ أهلكَ بِالصَّلاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْها﴾، فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه) (2)

ومن وصيته لأبنائه، وهو يحتضر قوله: (الله، الله في القرآن!

---

1) الخصال، الصدوق، محمد بن علي، تعليق: علي أكبر الغفاري، قم، إيران، مؤسسة النشر الاسلامي، 1403هـ، 2/505.

2) نهج البلاغة، ص505.

لا يسبقكم بالعمل به غيركم.. والله، الله في الصّلاة! فإنّها عمود دينكم.. والله، الله في بيت ربّكم! لا تخلّوه ما بقيتم؛ فإنّه إن ترك لم تناظروا) (1)

وقال في وصية أخرى: (وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك: إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص، بالغا من بدنك ما بلغ. وإذا قمت في صلاتك للناس، فلا تكونن منفرا ولا مضيعا، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة. وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال: (صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيما)(2)

وعلى هذا المنهاج سار الإمام الحسين ؛ فقد كان يهتم بالشعائر التعبدية، ويدعو إلى التزامها وحفظها وإقامتها بحسب ما أمر الله، وبحسب السنة المطهرة التي رآها بنفسه، أو رأى أباه الإمام ينفذها.

وقد روي عن الإمام الباقر أنه قال: (حدثني من رأى الحسين بن علي، وهو يصلى في ثوب واحد، وحدثه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى في ثوب واحد)(3)

وعن الإمام الصادق قال: (صلى الحسين في ثوب قد قلص عن نصف ساقه، وقارب ركبتيه، ليس على منكبه منه إلا قدر جناحي الخطاف، وكان إذا ركع سقط عن منكبيه، وكلما سجد يناله عنقه فرده على منكبيه بيده، فلم يزل ذلك دأبه ودأبه

1) المرجع السابق ، ص688.

2) المرجع السابق ، ص722.

3) بحار الأنوار 83/ 210.

مشتغلا به حتى انصرف)(1)

واتفق المؤرخون على مدى اهتمامه بممارسة جميع أنواع الشعائر التعبدية، ومن أمثلة ذلك قول ابن الأثير: (وكان الحسين رضي الله عنه فاضلاً، كثير الصوم، والصلاة، والحج، والصدقة، وأفعال الخير جميعها)(2)

وقد شهد به بذلك كل من عاصره؛ فقد روي عن عبدالله بن الزبير أنه قال: (أما والله لقد قتلوه، طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه)(3)

وهكذا يتفق المؤرخون على أنه كان كثير الحجّ، وأنه حجّ خمساً وعشرين حجّة ماشياً على قدميه، وكانت نجائبه تقاد بين يديه، وكان يمسك الركن الأسود ويناجي الله ويدعو قائلاً: (إلهي، أنعمتني فلم تجدني شاكراً، وابتليتني فلم تجدني صابراً؛ فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، ولا أدمت الشدّة بترك الصبر. إلهي ما يكون من الكريم إلاّ الكرم)(4)

وروي أنه خرج معتمراً لبيت الله، فمرض في الطريق، فبلغ ذلك أباه أمير المؤمنين وكان في يثرب، فخرج في طلبه فأدركه في (السقيا) وهو مريض، فقال له: (يا بني، ما تشتكي؟) فقال:

---

1) من لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ الصدوق، طهران: دار الكتب الإسلاميّة، 1390 هـ، 1/ـ 257، وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت، قم المقدسة، 3/ 284.

2) أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994 م، ج 2، ص 23.

3) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1997م، ج 4، ص 99. أنساب الأشراف، البلاذري، إعداد الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت، ج 5، ص 304.

4) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، 1410 ه بيروت، 3 / 193.

(أشتكي رأسـي)، فـدعا أمـير المؤمـنين () ببدنـة فنحرهـا، وحلـق رأسه وردّه إلى المدينة، فلمّا أبل من مرضه قفل راجعاً إلى مكـة واعتمر (1).

ولم يكن يكتفي بالاهتمام بأداء الشعائر التعبديـة، وإنمـا كـان يدعو إلى الاهتمام بمقاصدها، حتى لا تتحول إلى مجرد طقـوس لا دور لها في تقويم الشخصية وإصـلاح المجتمـع، ومن الأمثلـة على ذلك قوله جوابا لمن سأله عن الحكمة من تشـريع الصـوم: (ليجـد الغني مسّ الجوع فيعود بالفضل على المساكين)(2)

ولهذا كله يذكر الزائرون عند زيارتهم لمقـام الإمـام الحسـين ذلـك الاهتمـام العظيم الـذي كـان يبديـه للشـعائر التعبديـة بجميـع أصنافها، ومن أمثلتها قولهم: (أشهد أنـك قـد أقمت الصـلاة وآتيت الزكـاة، وأمـرت بـالمعروف، ونهيت عن المنكـر، وأطعت اللـه ورسوله حتى أتاك اليقين)(3)

انطلاقا من هذا سنحاول أن نـذكر هنـا بعض مظـاهر اهتمـام الإمام الحسين بالشعائر التعبدية، وآدابها الـتي تؤهلهـا لأداء دورهـا في التربية الروحية، والسلوك إلى الله تعالى.

1 ـ الإمام الحسين وإقامة الصلاة:

تعتـبر إقامـة الصـلاة من أهم الشـعائر التعبديـة الـتي اتفـق القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة، والروايات الـواردة عن أئمة أهل بيت النبـوة على تعظيمهـا واعتبارهـا من أقصـر الطـرق وأقرب الوسائل إلى الله تعالى.

ولهـذا كـان الإمـام الحسـين يوليهـا عنايتـه الكـبرى، بسـلوكه وخطاباته وتوجيهاته، بل إنها نالت حظها من اهتمامه الكبـير، وفي

---

1) دعائم الإسلام، النعمان بن محمّد التميميّ، بيروت، دار الأضواء، 1411هـ، 1 / 395.

2() بحار الأنوار، 93/339.

3) مصباح المتهجّد، محمّد بن الحسن الطوسي، بيروت: مؤسّسة فقه الشيعة، 1411ه، الطبعة الأُولى، ص : 721.

أحلك الظروف التي مر بها في كربلاء.

وكان يؤديها مرتبطة بجميع مقاصدها الشرعية من الخشــوع، وذكر الله، والحرص على أوقاتها، وكل ما ذكر في القــرآن الكــريم من كيفية إقامتها، وقد روي عنه في ذلك أنه كان يصلى، فمــر بين يديه رجل فنهاه بعض جلسائه، فلما انصرف من صلاته قال له: لم نهيت الرجل؟ فقال: يا بن رســول اللــه ﷺ خطــر فيمــا بينــك وبين المحراب، فقال: (ويحك إن الله عز وجل أقرب إلي من أن يخطر فيما بينى وبينه أحد)(1)

وكان يكثر منها كمــا يكــثر من ســائر الشــعائر التعبديــة، وقــد ذكرنا سابقا قول ابن الأثير: (وكان الحسين رضي الله عنه فاضــلاً، كثير الصوم، والصلاة، والحج، والصدقة، وأفعال الخير جميعها)(2)، ومثله قول عبدالله بن الزبير: (أما والله لقد قتلــوه، طــويلاً بالليــل قيامه، كثيراً في النهار صيامه)(3)

وقيل للإمام السجاد : ما أقل ولد أبيك؟ فقال: (العجب كيــف ولدت، كان يصلى في اليوم والليلة ألف ركعة)(4)

ومن أكبر دلائل اهتمامه بالصلاة وتعظيمه لها، ما حصــل ليلــة العاشر، فمع كونها كانت ليلة لا تقل عن تلك الليالي الــتي وصــفها الله تعالى بقولــه: ﴿إِذْ جَــاءُوكُمْ مِنْ فَــوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْــفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِالله الظُّنُونَــا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: 10، 11]

لكن الإمــام الحســين والثلــة المؤمنــة الــذين كــانوا معــه، لم يتزلزلوا، ولم يظنوا بالله ظن السوء، ولم تبلغ قلوبهم الحناجر، بل

1) وسائل الشيعة، 3/ 434.

2) أسد الغابة، ج 2، ص 23 – 24.

3) الكامل في التاريخ، ج 4، ص 99، أنساب الأشراف، ج 5، ص 304.

4) بحار الأنوار 82/311.

باتوا قائمين ساجدين راكعين، وكأن تلك المجزرة الرهيبة الـتي لم يحصل مثلها في التاريخ كانت تنتظرهم.

فقد ذكر المؤرخون أن الإمام الحسين قال لأخيه أبي الفضل العباس يوم التاسع من المحرم: (ارجـع إليهم؛ فـإن اسـتطعت أن تؤخرهم إلى غد، وتـدفعهم عنـا العشـية لعلنـا نصـلي لربنـا الليلـة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني كنت قد أحب الصلاة لــه، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار)(1)

وقد ذكر بعض الرواة الذين شهدوا تلك الليلة؛ فقـال: (وبـات الحسين وأصحابه تلك الليلة ولهم دوي كدوي النحل، مـا بين راكـع وساجد وقائم وقاعد)(2)

وروي ابن كثـير عن الإمــام علي بن الحســين قولــه: (بــات الحســين وأصــحابه طــول ليلهم يصــلون ويســتغفرون ويــدعون ويتضرعون، وخيول حرس عدوهم تــدور من ورائهم، عليهـا عـزرة بن قيس الأحمسـي، والحسـين يقـرأ: ﴿ وَلَا يَحْسَـبَنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا أَنَّمَـا نُمْلِي لَهُمْ خَيْـرٌ لِأَنْفُسِـهِمْ إِنَّمَـا نُمْلِي لَهُمْ لِيَـزْدَادُوا إِثْمًـا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178) مَا كَانَ الله لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَـا أَنْتُمْ عَلَيْـهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: 178، 179])(3)

لكن كل هذا ـ مع أهميته الكبرى ـ لم يكن يساوي شيئا أمــام ذلك الحرص على أداء صلاة الجماعة يـوم الملحمـة الكـبرى، وفي ظـل تلـك المخـاطر العظيمـة الـتي كـانت تحيـط بهم، فقـد روى المؤرخون أنه لما استشهد عدد كبير من أصحاب الإمـام الحسـين في يــوم العاشــر من محــرم، وتنــاقص عــددهم، جــاء أبــو ثمامــة

(1) المرجع السابق ، ج44، ص392.

(2) المرجع السابق: 44 / 394.

(3) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعـة: الأولى 1408، هــ - 1988 م، ج 8 ص 177.

الصيداوي(1)، وقال للإمام الحسين : (نفسي لـك الفـداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، لا والله، لا تُقتل حتى أُقتل دونك، وأحبّ أن ألقى الله وقد صليت هذه الصـلاة الـتي دنـا وقتهـا)؛ فرفـع الإمـام رأسه إلى السماء وقال: (ذكرت الصلاة جعلـك اللـه من المصـلين الذاكرين، نعم، هذا أول وقتهـا)، ثم قـال: (سـلوهم أن يكفّـوا عنّـا حتى نصلّي)(2)

لكن المجـرمين الـذين كـانوا يزعمـون الإسـلام لم يلفت انتباههم كل ذلك الاهتمام بالصـلاة، وكيـف يلتفتـون إليهـا، وهم لم يلتفتوا للإمام الحسين الذي كان يمثـل رسـول اللـه ﷺ، بـل يمثـل الإسلام والقرآن الكريم وكل القيم النبيلة، وهذا يدل على أن الذي يقصر في حق الإمامـة سيقصـر في كـل مـا عـداها كمـا روي عن الإمام الباقر قوله: (بني الإسلام على خمسة أشـياء: على الصـلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قـال زرارة: فقلت: وأي شـئ من ذلك أفضـل؟ فقـال: الولايـة أفضـل، لأنهـا مفتـاحهن والـوالي هـو الدليل عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: الصـلاة إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الصلاة عمود دينكم، قال: قلت: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة لأنـه قرنهـا بهـا وبـدأ بالصلاة قبلها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزكاة تـذهب الذنوب.أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهـاره وتصـدق بجميـع مالـه وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي اللـه فيواليـه ويكـون جميـع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان)(3)

---

1) اسمه عمر بن عبدالله، وقد كان من أنصار الإمام الحسين، ويسمّى بشـهيد الصـلاة، استشهد يوم العاشـر من محـرم. كـان من وجهـاء الكوفـة ورجلا عارفـاً وشـجاعاً، لـه اطّلاع بأنواع السلاح. عيّنه مسلم بن عقيل حين أخذ البيعة من الناس للثورة الحسينية، على استلام الأموال وشراء السلاح، سار من الكوفة والتحق بالإمام الحسين قبل شـروع القتـال. (مقتـل الحسين للمقرم:177)

2) بحار الأنوار 21:45.

3) الكافي 2/18، المحاسن 286.

ولهذا قال الناصبي الكبـير الحصـين بن نمـير[1] مجيبـا لـذلك الطلب: (إنها لا تقبل)، فقال له حبيب بن مظاهر: (لا تقبل الصـلاة زعمت من ابن رسول الله ﷺ وتقبل منك يا خمار[2])[3]

وروي أن الإمام الحسين قال حينها لزهيربن القين وسعيد بن عبد الله: تقدما أمامي حتى أصلي الظهر؛ فتقـدما أمامـه في نحـو من نصف أصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف.

وروي أن سـعيد بن عبـد اللـه الحنفي تقـدم إمـام الحسـين ، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل كلما أخذ الحسين يمينا وشـمالا، قـام بين يديه، فما زال يـرمى بـه حـتى سـقط إلى الأرض وهـو يقـول: (اللهم العنهم لعن عاد وثمود، اللهم أبلغ نبيك السلام عـني وأبلغـه ما لقيت من ألم الجراح)، فاني أردت بـذلك نصـرة ذريـة نبيـك ثم مات رضوان الله عليه، فوجد به ثلاثة عشر سهما سوى ما بـه من ضرب السيوف وطعن الرماح[4].

---

1) هو من قادة الأمويين، كان من كبار النواصـب؛ ففي معركـة صـفّين كـان إلى جـانب معاوية، وفي عهد يزيد كان قائداً على قسم من الجيش، وفي واقعة مسلم بن عقيل سـلّطه ابن زياد على دور أهل الكوفة، ليأخذ مسلم ويأتيه به، وهو الذي أخذ قيس بن مسهّر رسـول الحسين فبعث به إلى ابن زيـاد فـأمر بـه فقتـل، وهـو الـذي نصـب المنجـنيق على جبـل أبي قبيس ورمى به الكعبة لمّا تحصّن منه ابن الزبير في المسجد الحرام، وفي عهد يزيد شـارك في الهجوم الذي أمر يزيد بشنّه على المدينة المنـوّرة، مـات في عـام 68 هــ متـأثّراً بجـراح أصابه بها إبراهيم بن الأشتر في الواقعة التي جرت على ضفاف نهر الخـازر. (مـروج الـذهب 3: 71)

2() اختلف في العبارة التي ردَّ بها حبيب بن مظاهر على الحُصـين، ففي مثـير الاحـزان لابن نما الحلّي أنه قال: (لا يُقبل من آل رسول الله ﷺ وأنصارهم وتُقبـل منـك وأنت شـارب الخمر (مثير الأحزان، نجم الـدين جعفـر بن محمّـد بن نمـا الحلّي، قم، نشـر مدرسـة الإمـام المهديّ ، ص49)، وفي بحار الأنوار: (لا تُقبـل الصـلاة زعمت من ابن رسـول اللـه ﷺ وتُقبـل منك يا ختَّار) والختَّار هو الغَدار (بحـار الأنـوار: ج 45 ص 21)، وفي لـواعج الأشـجان للسـيد محسن الامين انَّه قال له: ياخمَّار (لواعج الاشجان في مقتل الحسين ، السيد محسن الامين العاملي، تحقيق: السيد حسن الأمين، دار الامـير للثقافـة والعلـوم، الطبعـة: الاولى 1996م، ص156)، وفي تاريخ الطـبري والكامـل في التـاريخ لابن الاثـير ذكـرا انَّه قـال لـه: (ياحمـار) (تاريخ الطبري، ج 4 ص 334، الكامل في التاريخ، ج 4 ص 70)

3) لواعج الاشجان في مقتل الحسين،، ص156.

4() الارشاد 2/38و39، تـاريخ الطـبري 3/279و 3/315و328، إبصـار العين في أنصـار الحسين ، محمّد بن طاهر السماوايّ، تحقيق محمّـد جعفـر الطبسـيّ، قم، مركـز الدراسـات

وكل هذه الروايات التاريخية لا تدل فقط على اهتمام الإمام الحسين بالصلاة؛ فذلك مما لا شك فيه، فمن شروط الإمام الأساسية كما ذكر القرآن الكريم الصلاة، فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئمة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 73]

وإنما تدل فوق ذلك على أن إقامة الصلاة ـ بالهيئة التي أمر الله تعالى بها ـ من قيم الدين الأساسية التي حاول الشيطان عن طريق أتباعه من المحرفين للدين أن يتلاعبوا بها، وقد روى المحدثون والمؤرخون الكثير من التصريحات من الصحابة وغيرهم على حصول ذلك، فقد وضع البخاري في صحيحه الذي يعتبر من أوثق مصادر الأحاديث في المدرسة السنية بابا بعنوان [باب تضييع الصلاة عن وقتها] روى فيه عن أنس بن مالك قوله: (ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ، قيل: الصلاة؟ !، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها)(1)

وروى فيه عن عثمان بن أبي رواد قال: سمعت الزهري يقول: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يُبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلاّ هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت)(2)

ومن الأمثلة على ذلك التضييع ما رواه عباد بن عبد الله بن الزبير قال: لما قدم علينا معاوية حاجا قدمنا مكة قال: فصلى بنا الظهر ركعتين ثم انصرف إلى دار الندوة قال: وكان عثمان حين أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعا أربعا فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج فلما صلى بنا معاوية الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان فقالا له: ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عبته به فقال لهما: ويحكما

الإسلاميّة لحرس الثورة، 1419هـ، 229و231.

(1) صحيح البخاري: 1 / 141.

(2) المرجع السابق.

وهل كان غير ما صنعت؟ قد صليتهما مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر فقالا: فإن ابن عمك قد كان أتمها وإن خلافك إياه عيب له قال: فخرج معاوية إلى العصر فصلاها بنا أربعا)(1)

وهكذا ورد في الروايات عن رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت ما يدل على كون الصلاة كانت هدفا من أهداف التحريف التي حاول الشيطان عبر أدواته أن يمارسها مع الإسلام مثلما مارسها مع سائر الأديان، فقد روي في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي ذر: (كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يميتون الصلاة عن وقتها؟) قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: (صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة)(2)

ولهذا نرى أئمة أهل البيت ينصون على أهمية الصلاة، وأنه لا يصح لأحد أن يدعي مولاتهم ولا التشيع لهم دون الاهتمام بها، فعن أبي بصير قال: دخلت على أم حميدة أعزيها بأبي عبد الله الصادق فبكت وبكيت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمد، لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجبا، فتح عينيه ثم قال: اجمعوا إلي كل من بيني وبينه قرابة، قالت: فلم نترك أحدا إلا جمعناه، قالت: فنظر إليهم ثم قال: (إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة)(3)

ونرى كذلك اهتمامهم بهيئتها وأدائها بحسب الصفة التي صلاها بها رسول الله ﷺ، فعن الإمام الصادق أنه قال: أبصر علي بن أبي طالب رجلا ينقر بصلاته فقال: منذ كم صليت بهذه الصلاة؟ فقال له الرجل: منذ كذا وكذا، فقال: مثلك عند الله

---

(1) رواه أحمد وروى الطبراني بعضه في الكبير ورجال أحمد موثقون، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان،، 1408هـ/1988م (ج 2 ص 361)

(2) رواه أحمد: 5/147 (21631)، وغيره.

(3) الأمالي، الشيخ الصدوق، ط الأُولى 1417هـ، مؤسسة البعثة، قم: 10/ـ 391، ثواب الأعمال، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (الصدوق)، قم المقدّسة: منشورات الشريف الرضي، 1364، 1/ 272.

كمثل الغراب إذا ما نقر، لو مت مت على غير ملة أبي القاسم محمد ﷺ، ثم قال: (إن أسرق الناس من سرق صلاته)(1)

وعنه قال: (الله إنه ليأتي على الرجل خمسون سنة وما قبل الله منه صلاة واحدة فأي شيء أشد من هذا؟! والله إنكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلي لبعضكم ما قبلها منه لاستخفافه بها، إن الله جل جلاله لا يقبل إلا الحسن، فكيف يقبل ما يستخف به)(2)

أما خشوعهم وخضوعهم لله أثناءها؛ فكلهم كانوا مثلما كان الإمام الحسين في صلاته بكربلاء، عندما انشغل بها عن كل تلك الجحافل التي اجتمعت لحربه، وقد روي أن الإمام علي كان إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلون، فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟!، فيقول: جاء وقت الصلاة، وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها)(3)

وعن الإمام الصادق قال: (كان علي إذا قام إلى الصلاة فقال: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض) تغير لونه حتى يعرف ذلك في وجهه)(4)

وقال الإمام زين العابدين يصف صلاة الإمام الحسن : (إن الحسن بن علي عليهما السلام كان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه جل جلاله، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله الجنة وتعوذ بالله من النار) (5)

---

1) المحاسن : 1 / 162 / 232، روضة الواعظين، الفتال النيشابوري، محمد بن أحمد، تحقيق وتقديم، السيد محمد مهدي، قم،إيران، منشورات الرضي، د.ت، 349 .

2) الكافي : 3 / 269.

3) المناقب لابن شهرآشوب : 2 / 124.

4) فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليلة، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن. محمد الطاوس، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، 101 .

وقال الإمام الباقر يصف صلاة أبيه الإمام زين العابدين: (كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شي ء إلا ما حركه الريح منه)(1)

وقـال: (كـان علي بن الحسـين عليهمـا السـلام إذا قـام في صلاته غشي لونـه لـون آخـر، وكـان قيامـه في صـلاته قيـام العبـد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله جل جلاله، وكان يصلي صلاة مودع يرى أنه لا يصلي بعدها أبدا)(2)

وقال الإمام الصـادق : (كـان علي بن الحسـين صـلوات اللـه عليهما إذا قام في الصلاة تغـير لونـه، فـإذا سـجد لم يرفـع رأسـه حتى يرفض عرقا)(3)

وهكـذا روي عن سـائر الأئمـة، وكـل ذلـك التعظيم للصـلاة، والخشوع فيها تأسيا بجدهم رسول الله ﷺ، كما روي عنه ذلك في مصادر الفريقين، فقد روت عائشة عنه قـالت: (كـان رسـول اللـه ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه)(4)

وقـال الإمـام زين العابـدين: (كـان رسـول اللـه ﷺ يقـف في الصلاة حتى يرم قدماه)(5)

---

5) عُدّة الداعي، أحمد بن فهد الحلّي (م841ق)، قم المقدّسة: مكتبة الوجداني، الطبعة الأُولى، ص 139.

1) الكافي : 3 / 300.

2) الخصال : 517 / 4.

3) الكافي : 3 / 300 / 5.

4) عدة الداعي : 139، عوالي اللآلي : 1 / 324 / 61 وزاد في آخره «شغلا بالله عن كل شي ء».

5) فتح الأبواب، السيد ابن طاووس، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث بيروت، لبنـان، ص 170.

وقال الإمام الباقر : كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله، لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: (يا عائشة، ألا أكون عبدا شكورا؟)(1)

2 ـ الإمام الحسين والقرآن الكريم:

ربما يكون أحسن وصف للعلاقة التي كانت تربط الإمام الحسين بالقرآن الكريم هو ذلك الوصف الذي وصف به رسول الله ﷺ العلاقة بين أئمة أهل البيت والقرآن الكريم، والتي عبر عنها في حديث الثقلين بقوله: (إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا بعدي ـ أحدُهما أعظمُ من الآخَر:كتاب الله، حبْلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما)(2)

وهو تعبير في منتهى البلاغة يدل على أن الإمام الحسين ـ وهو باتفاق الأمة جميعا من أوائل الذين ينطبق عليهم الحديث ـ مجتمع مع القرآن الكريم، ومتحد به، بحيث لا ينفك عنه؛ فسلوكه سلوك قرآني، وأخلاقه أخلاق قرآنية، ومعارفه مستمدة من بحار القرآن الكريم التي لا تنفذ، وهكذا ينطق كل شيء فيه بالقرآن الكريم؛ حتى استحق ذلك التعبير الذي وصف به جميع أئمة أهل البيت ، بكونهم قرآنا ناطقا، أو قرآنيا عمليا واقعيا يراه الناس بأعينهم.

وقد عبر الإمام السجاد عن هذا المعنى، وفسر به معنى عصمة الإمام؛ فقال: (الإمام منّا لا يكون إلّا معصوما، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلّا منصوصا)، فقيل له: يا ابن رسول الله، فما معنى المعصوم؟ فقال: (هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان

---

(1)) الكافي : 2 / 95 / 6، الاحتجاج : 1 / 520 ؛ وانظر: صحيح البخاري : 1 / 380 / 1078 وج 5 / 2375 / 6106، صحيح مسلم : 4 / 2172 / 81.

(2) رواه أحمد (11119) و(11147)، وأبو يَعلَى (1027)، والآجُريُّ في (الشريعة) (1702)، والطبراني في (المعجم الكبير) (3/66)، (2679)، أخرجه الترمذي (3788)، وقال: (حسن غريب)والفَسَوي في (المعرفة والتاريخ) (1/536)، والشَّجري في (ترتيب الأمالي) (738)، وغيرهم كثير.

إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9])(1)

بناء على هذا نحاول في هذا المبحث ــ باختصار ــ أن نذكر بعض مظاهر علاقة الإمام الحسين بالقرآن الكريم، ودورها في الحفاظ على القيم الأصيلة للدين، وذلك من خلال العناوين التاليين:

أ ـ الإمام الحسين وعلاقته بالقرآن الكريم:

من الصعب الحديث عن علاقة الإمام الحسين بالقرآن الكريم، ذلك أن حياته كلها يمكن أن توضع ضمن هذه العلاقة، ولهذا لا نستغرب وجود الإشارات الكثيرة إليه في القرآن الكريم، إما بصراحة ووضوح متفق عليه، أو بتلميح قريب مختلف فيه.

فمن المتفق عليه عند جميع المسلمين أنه من النفر الذين ذكروا في آية التطهير، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: 33]، وكيف لا يتفقون على ذلك، وقد ورد في الحديث الصحيح المتفق عليه عند الفريقين ما يدل على أن النبيّ ﷺ اعتبر عليّاً وحسناً وحسيناً وفاطمة، هم المصاديق الذين تنزلت فيهم تلك الآية الكريمة.

ففي الحديث عن عائشة قالت: (خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: 33])(2)

وعن شداد أبي عمار، قال: دخلت على واثلة بن الأسقع، وعنده قوم، فذكروا عليا ، فلما قاموا قال لي: ألا أخبرك بما رأيت

1) بحار الأنوار: ج 25 ص 194 .

2) صحيح مسلم (4/ 1883)

من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة رضي الله تعالى عنها أسألها عن علي، قالت: توجه إلى رسول الله ﷺ. فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين رضي الله تعالى عنهم، آخذ كل واحد منهما بيده، حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة، فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنا، وحسينا كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه ــ أو قال: كساء ـ ثم تلا هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: 33]، وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق)(1)

ومن المتفق عليه كذلك أنه من الذين تشملهم آية المودّة التي فرض الله تعالى فيها مودّة أهل البيت ، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى: 23]؛ فقد ذهب جمهور المسلمين إلى أنّ المراد بالقربى هم: علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين، وأنّ اقتراف الحسنة إنّما هي في مودّتهم ومحبّتهم.

ومن تلك الروايات ما حدث به ابن عباس قال: (لمّا نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى: 23] قالوا: يا رسول الله، مَن قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودّتهم؟ قال ﷺ: (علي وفاطمة وابناهما)(2)

ولهذا نرى احتجاج أئمة أهل البيت بهذه الآية الكريمة على الذين سلبوهم ما أعطاهم الله من مرجعية وإمامة الأمة، ومن الأمثلة على ذلك أن الإمام الحسن قال في بعض خطبه في مواجهة التحريف الأموي: (وأنا من أهل البيت الذين افترض الله

---

1) أخرجه بهذه الصيغة وما يقاربها: أحمد (28/ـ 195)، وابن أبي شيبة 12/72، وأبو يعلى (7486)، والطبراني في الكبير 22/ـ (160) والبخاري في التاريخ الكبير 8/187 مختصرا، والطبري في تفسيره 22/7.. وغيرهم كثير.

2) رواه الطبراني 11/ـ 444 (12259)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: 7/ـ 103: (رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد فيهم قزعة بن سويد وثقه ابن معين وغيره وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات)

مودّتهم على كل مسلم، فقال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى: 23]، فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت)(1)

بل نرى نصوصا كثيرة من أئمة أهل السنة تؤيد ذلك، وتعتبره، وتحتج به على فضل أهل البيت ومكانتهم، ومنها ذانك البيتان المرويان عن الشافعي وقوله (2):

يا أهل بيتِ رسولِ	فرضٌ من الله في
كفاكُمُ من عظيمِ	مَن لم يصلِّ عليكُمْ

ومن المتفق عليه كذلك أنه من الذين تشملهم آية المباهلة، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: 61]

فقد اتّفق المفسّرون أنّها نزلت في أهل البيت بمن فيهم الإمام الحسين بسبب الروايات الواردة في ذلك، والتي تعتبر (أَبْنَاءَنَا) إشارة إلى الحسَنَين (عليهما السّلام)، (وَنِسَاءَنَا) إشارة إلى فاطمة (عليها السّلام)، (وَأَنْفُسَنَا) إشارة إلى علي (3).

ومن المتفق عليه عند أكثر المفسرين أنه من الذين تشملهم آيات الأبرار، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ

---

1) بحار الأنوار: 23/232.

2) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الزندقة، ابن حجر الهيثمي، إعداد عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية، 1385 ه، القاهرة، 88.

3) وقد ذكر ذلك كل المفسرين والمحدثين، وهو محل اتفاق بينهم، ومن الأمثلة على ذلك: تفسير الرازي 2 / 699، تفسير البيضاوي / 76)، تفسير الكشاف 1 / 49، تفسير روح البيان 1 / 457، تفسير الجلالين 1 / 35، صحيح الترمذي 2 / 166، سنن البيهقي 7 / 63، صحيح مسلم ـ كتاب فضائل الصحابة، مسند أحمد بن حنبل 1 / 185، مصابيح السنّة للبغوي 2 / 201، سير أعلام النبلاء 3 / 193.

مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ الله يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10) فَوَقَاهُمُ الله شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: 5 ـ 11]

وقد ذكر هذا أكثر المفسّرين والمحدّثين(1)، فقد رووا أن سبب نزولها مرتبط بالإمام علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين (عليهما السّلام)؛ فعن عطاء عن ابن عباس أنه ذكر أن الإمام علي أجر نفسه يسقي نخلا بشيء من شعير ليلة حتى أصبح، وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئا ليأكلوه، يقال له: الخزيرة، فلما تم إنضاجه، أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآية)(2)

وهذه الآيات المتفق على نزولها في حق الإمام الحسين وأهل بيت النبوة، أما المختلف فيها، فكثيرة جدا، وهي كلها تشير إلى أن الحركة الحسينية كانت مستمدة من القرآن الكريم، وأنه أول مصاديقها، ولا يجادل في ذلك إلا من أشرب الهوى الأموي، وتأثر بتلك التحريفات التي أدخلوها، فتصور أن خروج الإمام الحسين لم يكن خروجا شرعيا.

أما غيرهم من المصدقين بتلك المناقب العظيمة التي وصف بها رسول الله ﷺ الإمام الحسين ؛ فإنه يرى أن تلك المناقب لم تعط له بالمجان، وإنما شُهد له بها بسبب تطبيقه الدقيق لما كُلف به من وظائف.

1) من الأمثلة على ذلك: تفسير الفخر الرازي 8 / 392، أسباب النزول للواحدي / 133 النيسابوري في تفسير سورة هل أتى، روح البيان 6 / 546، الدر المنثور، ينابيع المودة 1 / 93، الرياض النضرة 2 / 227، إمتاع الأسماع للمقريزي / 502.

2) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م، (ص: 448).

من الأمثلـة على الآيـات الكريمـة الـتي لا يمكن أن يجـادل مؤمن في انطباقها على الإمام الحسـين : الآيـات الـتي تـدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر، وفضـل القـائمين على ذلـك، كقولـه تعـالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَـدْعُونَ إِلَى الْخَيْـرِ وَيَـأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، فالإمام الحسين من أوائل مصاديقها.

وقد جاء التحذير بعـدها عن التفـرق والاختلاف، ليـدعو الأمـة للوقوف مع من يـدعو إلى الخـير، وفي وجـه من يخالفـه بالـدعوة للمنكر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُـوا وَاخْتَلَفُـوا مِنْ بَعْـدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: 105]

والبينات التي تشـير إليهـا الآيـة الكريمـة يمكن تطبيقهـا على تلك الوصايا النبوية في حـق الإمـام الحسـين وأئمـة أهـل الـبيت ، ذلك أنهـا من المتفـق عليـه عنـد المسـلمين جميعـا، ومن المتفـق عليه عندهم أيضـا أن رسـول اللـه ﷺ لا ينطـق عن الهـوى، وإنمـا قالها تنبيها لما سيحصل في المستقبل.

ومثل ذلك الآيات التي تـأمر بالجهـاد وتـرغّب المؤمـنين فيـه، مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَـدُوا فِي سَـبِيلِ اللـه وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَـرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُـونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِـرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74]، فالإمام الحسين قام بكل هذه الأمور أحسن قيام، ولا يجادل في ذلك أحد، فقد آمن وهـاجر وجاهـد في سـبيل الله حتى مات شهيدا، مقدما أغلى التضحيات.

ومثل ذلك الآيات التي تدعو إلى الرجوع للـه ورسـوله وأولي الأمر عند التنازع، كقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا أَطِيعُـوا اللـه وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]، وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَـهُ الَّذِينَ يَسْـتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَـوْلَا فَضْـلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83]

فهـذه الآيـات الكريمـة لـو طبقت في ذلـك الحين، وروجعت النصوص التي ذكر فيها رسول الله ﷺ الإمام الحسين ، وبين دوره في هذه الدين، وأنـه إمـام وسـيد، لمـا وقـف الكثـير مـع يزيـد، أو

اختاروا الحياد، وتركوا الإمام الحسين .

وهكذا لو طبقت في كل العصور، لما تجرأ أمثال ابن تيمية وغيره من اتهام حركة الإمام الحسين بكونها حركة لا خير فيها، وأنها شق لوحدة الأمة.

ومثل ذلك الآيات التي تدعو إلى الإصلاح والوقوف في وجه الظالمين والمستبدين، كقوله تعالى على لسان شعيب، : ﴿ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]

فهذا القول الكريم وإن كان قد قاله شعيب ، فقد قاله بعده الإمام الحسين ، فحركته كلها حركة إصلاحية مستمدة من هدي الأنبياء ، ولهذا نجد من النصوص التي تقرأ عند زيارته ما يطلق عليه [زيارة وارث](1)، حيث يوصف فيها الإمام الحسين بكونه وارث آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وعلي، وفاطمة الزهراء، وخديجة الكبرى ، لتربط حركته بحركته، وثورته بثورتهم، وأخلاقه بأخلاقهم، وروحانيته بروحانيتهم.

حيث يستعيد الزائر فيها حركات الأنبياء والأولياء وجهادهم في سبيل الله، والذي أحياه الإمام الحسين ، ومثله أحسن تمثيل، حيث يقول الزائر فيها مخاطبا الإمام الحسين : (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ، السلام عليك يا بن محمد المصطفى ﷺ، السلام عليك يا بن علي المرتضى، السلام عليك يا بن فاطمة الزهراء السلام عليك يا ابن خديجة الكبرى) (2)

---

1) مفاتيح الجنان ويليه كتاب الباقيات الصالحات، الشيخ عباس القمي، تعريب: السيد محمد رضا النوري النجفي، مكتبة الفقيه – الكويت، الطبعة: 2004، 422 ـ 430 .

2) المرجع السابق : 422.

وهكذا نرى في سائر الزيارات ربطـه بـالقرآن الكـريم، حيث يذكر الزائرون أنه شريك القرآن: (السلام عليك يا شريك القـرآن) (1)، لكونه الثقل الثاني الذي أوصى به رسول الله ﷺ.

ويـذكرون أنـه سـند القـرآن: (كنت للرسـول ولـداً، وللقـرآن سـنداً) (2)، ويقصـدون بـذلك أنـه أحيـا معانيـه، ومثلهـا على أرض الواقع لتكون نموذجا تطبيقيا لمن يريد أن يعيش المعاني القرآنيـة الأصيلة من غير تحريف ولا تبديل.

ويذكرون أنه التالي للكتاب حقّ تلاوته: (وتلـوْتَ الكتـاب حـقّ تلاوته)(3)، فحق التلاوة هو أن تفهم معانيـه على الوجـه الصـحيح، وتطبق كما أمر الله، لا كما تراه الأهواء.

ب ـ الإمام الحسين والدعوة للقرآن الكريم:

بناء على ما سبق، يمكن اعتبار حركة الإمـام الحسـين حركـة قرآنية، ودعوته ـ مثل سائر دعوات أئمة أهل البيت ـ دعوة قرآنية، الغرض منها مواجهـة التحريـف الـذي أشـار إليـه رسـول اللـه ﷺ، وأخبر أن الإمام علي سيكون لـه دور محـوري في مواجهتـه؛ ففي الحديث المتفق عليه عند المسلمين جميعا عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوسا ننتظر رسول الله ﷺ، فخرج علينا من بعض بيوت نسـائه، قـال: فقمنـا معـه، فـانقطعت نعلـه، فتخلـف عليهـا علي يخصفها، فمضـى رسـول اللـه ﷺ ومضـينا معـه، ثم قـام ينتظـره، وقمنا معه، فقال: (إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما قاتلت على تنزيله)، فاستشرفنا، وفينـا أبـو بكـر وعمـر، فقـال: لا، ولكنه خاصف النعـل. يعـني عليـا، قـال: فجئنـا نبشـره، فلم يرفـع رأسه، كأنه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ)(4)

---

1) الإرشاد ٢ : ٩١..

2) انظر : الملحمة الحسينية، الشهيد الشيخ مرتضى مطهـري، تعـريب: السـيد محمـد صادق الحسيني، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1992، ٣ / ٢١.

3) الإرشاد ٢ : 111..

وهكذا كانت حركة الإمام الحسين امتدادا لحركة أبيه وأخيه، فكلاهما راح يحذر من مخالفة القرآن الكريم، أو تأويله على غير ما أنزل، أو ترك مفسريه الحقيقيين، والذهاب لأولئك المدعين الذين مكن لهم بنو أمية في الأرض، ليملأوا القرآن الكريم بالأساطير الإسرائيلية.

وقد ورد في الرواية ما يشير إلى هذا، بل يصرح به، فقد حدث موسى بن عقبة أنه قال: لقد قيل لمعاوية: إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فإن فيه حصرا أو في لسانه كلالة، فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن، فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا، فلم يزالوا به حتى قال للحسين: يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت؛ فصعد الحسين المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، فسمع رجلا يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسين: (نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله ﷺ الأقربون، وأهل بيته الطيّبون، وأحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله ﷺ ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوَّل علينا في تفسيره، ولا يبطئنا تأويله، بل نتّبع حقائقه؛ فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]، وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83]، وأحذّركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنه لكم عدو مبين فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: ﴿ ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: 48]، فتلقون للسيوف

4) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، النسائي، أحمد بن شعيب، تحقيق: محمد هادي أميني، مكتبة نينوى الحديثة، د.ت. (ص 29)، صحيح ابن حبّان، محمّد بن حبّان التميميّ، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1414هـ، (2207)، وأحمد (3 / 33 و82)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية. (1 /ـ 67)، والحاكم (3 /122 ـ 123)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ضَرَبا (أي مضروباً)، وللرماح وَرَدا (أي ما ترد عليه الرماح) وللعُمَد حطما، وللسهام غرضا، ثم لا يقبل من نفس إيمانهـا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)(1)

وكان الإمام الحسين يذكر كل حين أتباعه بـذلك، وأن حركتـه وسلوكه ومواقفه كلها مستمدة من القرآن الكريم، وقـد كـان من حديثه لأصحابه وأهل بيته ليلـة العاشـر من المحـرّم قولـه: (اللهم إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بـالنبوّة، وعلّمتنـا القـرآن وفقهتنـا في الدين)(2)

وكـان يـدعوهم إلى تلاوتـه والاسـتماع إليـه، وتعلم علومـه، ويخبرهم عن الأجور العظيمـة الـتي أعـدها اللـه تعـالى لمن فعـل ذلك، ومن أقواله في ذلك: (من اسـتمع حرفـاً من كتـاب اللـه من غير قراءة كتب الله له حسنة، ومحا عنـه سـيّئة، ورفـع لـه درجـة، ومن قرأ نظراً من غير صلاة كتب الله له بكلّ حرف حسنة، ومحـا عنه سيّئة، ورفع له درجة، ومن تعلّم منه حرفاً ظاهرا كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سـيئات، ورفـع لـه عشـر درجـات، قال: لا أقول: بكلّ آيـة، ولكن بكـلّ حـرف بـاء أو تـاء أو شـبههما، قال: ومن قرأ حرفاً وهو جالس في صلاة كتب الله له به خمسـين حسنة، ومحا عنه خمسين سيئة، ورفع له خمسين درجة، ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة، ومحا عنه مائـة سيّئة، ورفع له مائة درجة، ومن ختمـه كـانت لـه دعـوة مسـتجابة مؤخّرة أو معجلـة) قـال الـراوي: قلت: جعلت فـداك ختمـه كلّـه؟ قال: (ختمه كلّه)(3)

وفي حديث آخر، قال: (ما من عبـد من شـيعتنا يتلـو القـرآن في صلاته قائماً إلاّ وله بكلّ حرف مائة حسنة، ولا قـرأ في صـلاته جالساً إلاّ وله بكلّ حرف خمسـون حسـنة، ولا في غـير صـلاته إلاّ

1) الاحتجاج: 299، وسائل الشيعة 18: 144 حديث 45.

2) الإرشاد للمفيد، ص 231. ومع اختلاف يسير: تاريخ الأمم والملوك للطبري، ج 6، ص 443 .

3) الكافي 2 : 448.

وله بكلّ حرف عشر حسنات)[1]، وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الشيعي الصادق في ولائه للإمام الحسين ، ولأئمة أهل الـبيت هـو ذلك المرتبط بـالقرآن الكـريم، ذلـك أنـه لا يصـح أن يأخـذ بنصـف الوصية، ويترك نصفها الثاني.

وقد روى عن رسول الله ﷺ فضل ختم القرآن الكـريم، ففي الحديث عنه: قيل: (يا رسول الله ﷺ، أيّ الرجل خير؟ قال: الحال المرتحل، قيل: (يا رسول الله، وما الحال المرتحل؟ قال: (الفـاتح الخاتم الذي يقرأ القرآن ويختمه فله عند الله دعوة مستجابة)[2]

وكـان يضـرب لهم المثـل العملي عن نفسـه؛ فقـد كـان من التالين للقرآن الكريم حق التلاوة، وقد روي أنـه في ليلـة العاشـر من المحرّم قال لأخيه العبّاس بن عليّ عليهما السلام بعد أن أتـاه بما عـرض عليـه عمـر بن سـعد: (ارجـع إليهم؛ فـإن اسـتطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشيّة، لعلّنا نصلّي لربّنـا الليلـة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد كنت أحبّ الصلاة لــه، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار)[3]

وقد روى المؤرخون كثرة استشهاداته بالقرآن الكـريم، وأنــه في كل حركاتـه كـان يستشـهد بـه، ويتمثله[4]، ومن الأمثلـة على ذلك إجابته لمروان بن الحكم عندما طلب منه أن يبايع يزيدا، ولما كشف له الإمام عن معايب يزيد، غضب مروان من كلام الحسين، ثمّ قال: (والله لا تفارقني حتّى تبايع ليزيـد صـاغراً، فـإنّكم آل أبي تراب قـد ملئتم شـحناء، وأشـربتم بغض آل بـني سـفيان، وحقيـق عليهم أن يبغضـوكم)، فقـال الحسـين: (إليـك عنّي فإنّـك رجس، وإنّي من أهل بيت الطهارة، وقد أنـزل اللـه فينـا ﴿إِنَّمَـا يُرِيـدُ اللـه

---

1) المرجع السابق 8 : 214.

2) ثواب الأعمال : 127..

3) تحف العقول: ٢٦..

4) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 35..

لِيُـذْهِبَ عَنْكُمُ الـرِّجْسَ أهـل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِـيرًا [الأحـزاب: 33]، فنكس مروان رأسه ولم ينطق)(1)

ومنها ما روي أنّه أقبل رجل من عسكر عمر بن سـعد، يقـال لـه محمـد بن الأشـعث بن قيس الكنـديّ، فقـال: يـا حسـين بن فاطمة، أيّ حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟ فتَلا الحسـين هذه الآية: إِنَّ الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًـا وَآلَ إِبْـرَاهِيمَ وَآلَ عِمْـرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللـه سَـمِيعٌ عَلِيمٌ [آل عمران: 33ـ 34]، ثمّ قـال: (واللـه إنّ محمـداً لمن آل إبـراهيم ، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمد ﷺ)(2)

وهكذا رووا أنه عندما زار قبر جده ﷺ بكى مثلمـا فعـل أبـوه الإمام علي عندما هدد بالقتل، وأخذ يتلو قوله تعالى: قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْـمِتْ بِيَ الْأَعْـدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [الأعراف: 150]

وهكذا رووا أنه عنـد خروجـه من المدينـة المنـورة قـرأ قولـه تعـالى: فَخَـرَجَ مِنْهَـا خَائِفًـا يَتَـرَقَّبُ قَـالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَـوْمِ الظَّالِمِينَ [القصص: 21]

ولمّا دخل مكّة قرأ قوله تعالى: وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَـالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ [القصص: 22]

وفي هذا كله إشـارة إلى مـا ذكرنـاه سـابقا من كـون حركـة الإمام الحسين حركة مسـتمدة من منهج الأنبيـاء ، وأنهـا اسـتمرار لهديهم، فالإمامة امتداد للنبوة، وتمثيل صادق لها.

وفي الثعلبيّة في طريقه إلى الكوفة، أتـاه رجـل، وسـأله عن قوله تعـالى: يَـوْمَ نَـدْعُو كُـلَّ أُنَـاسٍ بِإِمَـامِهِمْ [الإسـراء: 71]، فقال له الإمام الحسين : (إمام دعا إلى هدى فأجابوا إليـه، وإمـام دعا إلى ضلالة فأجابوا إليها، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ [الشورى: 7]

1) مقتل الخوارزمي: ١ : ١٨٥.

2) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص 222.

وعندما اعترضه عمرو بن سعيد أمـير الحجـاز لـيرده ويمنعـه من المسـير الى العـراق خاطبـه بقولـه تعـالى: فَقُـلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَــلُ وَأَنَــا بَــرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُــونَ [يونس: 41]

وكان إذا سمع بشهادة أحد أصحابه أو ودعه قرأ قوله تعـالى: فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَــى نَحْبَــهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِــرُ وَمَــا بَــدَّلُوا تَبْــدِيلاً [الأحزاب: 23]

فقد روى المؤرخون أنه قرأها عندما جاءه خـبر شـهادة قيس بن مســهّر الصــيداويّ، في طريقــه إلى الكوفــة، في عــذيب الجهانات، ثم قال: (اللهمّ اجعل لنا ولهم الجنّة، واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك)(1)

ولمّا وقع مسلم بن عوسجة صريعاً وكان به رمق، مشى إليه الحسين ومعه حبيب بن مظاهر، فقال له الحسـين : (رحمـك اللـه يا مسلم)، ثم تلا الآية الكريمة(2)

ولمــا انتهى إلى قصــر مقاتل(3) رأى فســطاطاً مضــروباً لعبيدالله بن الحرّ الجعفي، فـدعاه الى نصـرته لكنّـه امتنـع، فقـال الإمام الحسين : وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا [الكهف: 51]

وعندما طلب منه قيس بن الأشعث أن ينزل على حكم يزيد، قـال لـه الحسـين: (عبـاد اللـه إِنِّي عُـذْتُ بِـرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُـلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ [غافر: 27]

وعندما رأى ابنه علي الأكـبر يقاتـل، قـرأ قولـه تعـالى: إِنَّ الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْـرَانَ عَلَى الْعَـالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُـهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللـه سَـمِيعٌ عَلِيمٌ [آل عمـران: 33،

______

1) تاريخ الطبري 3: 308، الكامل في التاريخ 2: 553، البداية والنهاية 8: 188.

2) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج2، ص103..

3) قصر مقاتل : اسم أحد المنازل التي مرّ بها الإمام الحسين عليه السلام في مسـيره من مكّة إلى كربلاء..

وعندما اقــترب الجيش من معســكره، دعــا براحلتــه فركبهــا، ونادى بأعلى صوته: (أيّهــا النــاس اســمعوا قــولي ولا تعجلــوا حتّى أعظكم بمــا يحــقّ لكم عليّ وحتّى أعــذر إليكم، فــإن أعطيتمــوني النصف كنتم بــذلك أســعد، وإن لم تعطــوني النصــف من أنفســكم فَعَلَى الله تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُــرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْــرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُــوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِــرُونِ [يــونس: 71]، ثمّ قــرأ قوله تعالى: إِنَّ وَلِيِّيَ الله الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ [الأعراف: 196])[1]

وهكذا تعلم أصحابه منه الرجوع الدائم للقرآن الكريم، وكيف لا يفعلون ذلك، وهم في صحبة القرآن النــاطق، ومن الأمثلــة على ذلك أنّ حنظلة بن أسعد الشبامي قام بين يدي الإمــام الحســين ، ونادى بأعلى صوته: يا قوم إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَــادٍ وَثَمُــودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْــدِهِمْ وَمَــا اللــه يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَــافُ عَلَيْكُمْ يَــوْمَ التَّنَــادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ الله مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَمَا لَــهُ مِنْ هَــادٍ (33) [غــافر: 30 ـ 33]، يــا قــوم لا تقتلــوا حســيناً فَيُسْــحِتَكُمْ بِعَــذَابٍ وَقَــدْ خَــابَ مَنِ افْتَــرَى [طــه: 61]، فقــال الحسين: (يــا ابن أســعد رحمــك اللــه، إنّهم قــد اســتوجبوا العــذاب حيث ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحقّ)[2]

ومــا دعــا إليــه الإمــام الحســين من العــودة للقــرآن الكــريم، واعتباره المركز والمرجع والثقل الأكبر هــو الــذي دعــا إليــه جميــع أئمة أهل البيت ، وذلك في مواجهة تلك التحريفــات الــتي حصــلت في الكثــير من المــدارس الإســلامية؛ فجعلتهم يقــدمون الأخبــار والروايات، بل حتى القياس على ما صرح به القرآن الكريم.

1() انظر الخطبة بطولها في «الإرشاد» ص 253 ؛ و«نفس المهموم» ص 144 إلي ص 146 ؛ وتــاريخ الطــبريّ ج 6، ص 242، و«مثــير الاحــزان» لابن نمــا، ص 26، وغيرهــا من المراجع.

2) أُنظر : تاريخ الطـبري ٦ : ٢٤٠، اللهـوف في قتلى الطفـوف، ابن طـاووس، علي بن موسى، قم، إيران، أنوار الهدى، ط 1، 1417 هـ، ص ٦٥.

ولهـذا نجـد اتفـاق أئمـة أهـل الـبيت على ضـرورة عـرض الروايات الواردة عنهم على القرآن الكريم، ذلـك أنـه يسـتحيل أن يروى عنهم ما هو خلاف القرآن الكريم، بل إنهم يـروون ذلـك عن رسول الله ﷺ، فقد رووا عنه ﷺ أنـه خطب النـاس بمـنى، فقـال: (أيّها الناس، ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم عنّي يخالف كتاب الله فلم أقله)(1)

وقال الإمام الصادق في أحاديث متعـددة: (مـا لم يوافـق من الحديث القرآن فهو زخرف)(2)

وبنـاء على هـذا نص أئمـة الشـيعة ــ على خلاف غـيرهم من المدارس الإسلامية ـ على اعتبار القرآن الكريم معيـارا في قبـول الأحـاديث ورفضـها، وقـد قـال الشـيخ المفيـد في كتابـه [تصـحيح الاعتقـاد]: (وكتـاب اللـه تعـالى مقـدَّم على الأحـاديث والروايـات، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحقّ دون سواه)(3)

ولهذا أيضا نجد الروايات الكثيرة عنهم تخبر بمـا في القـرآن الكريم من حقـائق يمكنهـا أن تغطي جميـع الحاجـات، وتفـتي في جميــع النــوازل، بحيث لا يحتــاج المتــدبرون لــه إلى القيــاس أو الاستحسان أو غيرها من المصادر التي يختلط فيها الحق بالباطــل والشريعة بالهوى.

ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام علي : (عليكم بكتـاب اللـه فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النـافع، والـري النـاقع، والعصـمة للمتمسـك، والنجـاة للمتعلـق، لا يعـوج فيقـام، ولا يزيـغ فيستعتب)(4)

---

1) الكافي 1: 69 ح5.

2)المرجع السابق 1/ 69 ح4.

3) تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، الشيخ المفيد، تقديم السيد هبة الدين الشهرستاني، منشورات الرضي، 1363 هـ ش، قم، 44.

أما علاقتهم الروحية بالقرآن؛ فقد عـبر عنهـا الإمـام علي بن الحســين بقولــه: (لــو مــات من بين المشــرق والمغــرب لمــا استوحشت، بعد أن يكون القرآن معي)(1)

ووصف مالك بن أنس ـ مؤسس المذهب المـالكي ــ صـحبته للإمام الصادق ، فقال: (جعفر بن محمـد، اختلفت إليـه زمانـا فمـا كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصليا، وإما صائما، وإمـا يقرأ القرآن)(2)

ووصف آخر الإمام الكاظم ، فقال: (ما رأيت أحدا أشد خوفـا من الله على نفسه من موسى بن جعفر ، ولا أرجى للنـاس منـه، وكانت قراءته للقرآن حزنا، فإذا قرأ فكأنه يخاطب إنسانا)(3)

ووصف آخر الإمام الرضا ، فقال: (ما رأيت الرضـا سـئل عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كـان في الزمـان إلى وقتـه وعصره، وكـان المـأمون يمتحنـه بالسـؤال عن كـل شـيء فيجيب عنه، وكان جوابه كله وتمثله انتزاعـات من القـرآن المجيـد، وكـان يختمـه في كـل ثلاث، وكـان يقـول: (لـو أني أردت أن أختمـه في أقرب من ثلاث لختمت، ولكنني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها، وفي أي شيء انزلت وفي أي وقت، فلذلك صرت أختمـه في كـل ثلاث)(4)

هذه بعض النماذج المصدقة لما ورد في حـديث رسـول اللـه

---

4) نهج البلاغة، ص336.

1) الكافي:2/440.

2) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الفكـر، بـيروت، الطبعـة الأولى، 1404 ه، 2/104.

3) دعوات الراوندي: 3، والكافي 2/606.

4) إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي، الفضل بن الحسن، قم، إيران، تحقيق ونشـر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط 1، 1417 هـ.، 327.

ﷺ من عدم افتراق العترة عن القرآن الكريم، وكيف تفترق عنه، وهي الممثلة له، والمحافظة عليه، والداعية له، والمجاهدة في سبيله.

3 ـ الإمام الحسين والدعاء الرسالي:

من أهم الوسائل التي استعملها الإمام الحسين ـ كما استعملها جميع أئمة أهل البيت ـ لأداء دورهم الرسالي في حفظ الدين وقيمه، ومواجهة التحريفات الطارئة عليه ما يمكن تسميته [الدعاء الرسالي]، وهو ذلك الدعاء الذي يحمل كل القيم الإيمانية والروحية والتربوية والسياسية وغيرها.

وهو ناتج عن تفاعلهم التام مع القرآن الكريم الذي استخدم هذا الأسلوب في عرض الحقائق الإيمانية، وفي عرض أنواع السلوك الروحي والأخلاقي، وفي بيان مواقف المؤمنين من أعدائهم ومواليهم أثناء مسيرتهم الدعوية.

وقد روي عن الإمام الحسين في هذا المجال ـ وبنفس الأغراض والأساليب القرآنية ـ الكثير من الأدعية، والتي حاول البعض جمعها في كتاب بعنوان [الصحيفة الحسينية]، على غرار الأدعية والمناجيات التي قالها الإمام السجاد ، والتي جمعت في [الصحيفة السجادية]

وعند التأمل في تلك الأدعية نرى أنها جميعا تشتمل على ثلاثة أركان مهمة جدا في التربية الروحية، وغيرها من أنواع التربية، نحاول شرحها، وذكر بعض النماذج عنها في العناوين التالية:

أ ـ الثناء على الله:

ونجده في مقدمة الأدعية عادة، وهي تمتلئ بكل صيغ تنزيه الله، والثناء عليه بما هو أهله، وكل كلماتها ومعانيها مستمدة من بحر القرآن الكريم، وهي حقائق كاملة مجردة ليس فيها ذلك اللغو الذي وقع فيه أهل التشبيه والتجسيم، ولا ذلك التكلف الذي وقعت فيه الكثير من المدارس الكلامية.

وهي تشبه بذلك ما ورد في الأدعية القرآنية من البدء بحمد

الله والثناء عليه قبل الشروع في طلب الحاجات، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران - 191-194]

ومن الأمثلة على ذلك دعاؤه يوم الطف، وهو من الأدعية التي قالها في آخر لحظات حياته المقدسة، حيث قال في مقدمة الدعاء مثنيا على الله تعالى: (اللهم متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومدرك ما طلبت وشكور إذا شكرت، وذكور إذا ذكرت) (1)

ومن أمثلتها قوله في الدعاء عند المهمات: (اللهم إني اسألك يا مدرك الهاربين، ويا ملجأ الخائفين ويا غياث المستغيثين، اللهم إني أسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك العظيم الأعظم الكبير الاكبر الطاهر المطهر القدّوس المبارك ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: 27] يا الله (عشر مرات) يا رباه (عشر مرات) يا مولاه يا غاية رغبتاه، يا هو، يا من لا يعلم ما هو إلا هو، ولا كيف هو إلا هو، يا ذا الجلال والاكرام والإفضال والانعام، يا ذا الملك والملكوت، يا ذا العز والكبرياء والعظمة والجبروت، يا حيُّ لا يموت، يا من علا فقهر، يا من ملك فقدر، يا من عبد فشكر، يا من عُصِي فستر، يا من بطن فخبر، يا من لا يحيط به الفكر، يا رازق البشر، يا مقدِّر القدر، يا محصي قطر المطر، يا دائم الثبات، يا مخرج النبات، يا قاضي الحاجات، يا منجح الطلبات، يا

1) بحارالأنوار، ج 101، ص 843، مصباح المتهجد: 827، مقتل الحسين عليه السلام، السيّد عبد الرزّاق الموسويّ المقرّم، قم، مكتبة الشريف الرضيّ، 357.

جاعل البركات، يا محيي الأموات، يا رفيع الدرجات، يا راحم العبرات، يا مقيل العثرات، يا كاشف الكربات، يا نور السموات، يا صاحب كلِّ غريب، يا شاهداً لا يغيب، يا مؤنس كلِّ وحيد، يا ملجأ كل طريد، يا راحم الشيخ الكبير، ياعصمة الخائف المستجير، يا مغني البائس الفقير، يا فاكَّ العاني الأسير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، يا من هو بكل شيء خبير، يامن هو على كل شيء قدير، يا عالي المكان، يا شديد الأركان يا من ليس له ترجمان، يا نعم المستعان، يا قديم الاحسان، يا من هو كل يوم في شأن، يا من لا يخلو منه مكان، يا أجود الأجودين، يا أكرم الأكرمين، يا أسمع السامعين، يا أبصر الناظرين، يا أسرع الحاسبين، يا وليَّ المؤمنين، يا يد الواثقين، يا ظهر اللاجين، يا غياث المستغيثين، يا جار المستجيرين، يا رب الأرباب، يا مسبِّبَ الأسباب، يا مفتِّح الأبواب، يا معتق الرقاب، يا منشيء السحاب، يا وهاب يا تواب، يا من حيث ما دعي أجاب، يا فالق الإصباح، يا باعث الأرواح، يا من بيده كل مفتاح، يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا باريء النسم، يا جامع الأمم، يا ذا الجود والكرم، يا عماد مَن لا عماد له، يا سند من لا سند له، يا عزَّ من لا عزَّ له، يا حرز مَن لا حرز له، يا غياث من لا غياث له، يا حسن البلاء، يا جزيل العطاء، يا جميل الثناء، يا حليماً لا يعجل، يا عليماً لا يجهل، يا جواداً لا يبخل، يا قريباً لا يغفل، يا صاحبي في وحدتي، يا عدَّتي في شدتي، يا كهفي حين تعييني المذاهب وتخذلني الأقارب ويسلمني كل صاحب، يا رجائي في المضيق يا ركني الوثيق، يا إلهي بالتحقيق، يا رب البيت العتيق، يا شفيق يا رفيق، أكفني ما لا أطيق وفكني من حَلَق الضيق إلى فرجك القريب، واكفني ما أهمني وما لا يهمني من أمر دنياي وآخرتي برحمتك يا أرحم الراحمين)[1]

ومن أمثلتها دعاؤه في القنوت، والذي سبق ذكره، والذي يقول فيه: (اللهم منك البداء ولك المشيئة، ولك الحول، ولك القوة، وأنت الله الذي لا إله إلا أنت، جعلت قلوب أوليائك مسكناً لمشيتك وممكناً لإرادتك، وجعلت عقولهم مناصب أوامرك

1) الصحيفه الحسينية، الحسين بن علي بن ابي طالب ﷺ، طبعه ميرزا محمد، سنه 1958، ص 41.

ونواهيك..) (1)

من أهم المزايا التي يحفل بها هذا القسم عادة ذلك الكم الكبير من الحقائق والمعارف المرتبطة بالقضايا المختلفة، وخاصة الإيمانية منها، ولذلك كان فهم تلك الأدعية أو شرحها يقتضي معارف مختلفة، ويستدعي إلماما بعلوم كثيرة، وهو يدل على أن أهل البيت هم مصاديق ما ورد في تلك الزيارة المباركة، التي يقول فيها الزائر: (فإني اشهد في مماتي على ما أشهد عليه في حياتي أنك انت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدا عبدك ورسولك، وأن الأئمة من أهل بيته أولياؤك وأنصارك وحججك على خلقك، وخلفاؤك في عبادك، وأعلامك في بلادك، وخزان علمك، وحفظة سرك، وتراجمة وحيك)(2)

وهي ـ مثل القرآن الكريم ـ يمكن أن يفهمها العامة البسطاء بحسب معارفهم المحدودة، في نفس الوقت الذي يشعر فيه الباحثون والمتخصصون أنها عميقة جدا تستدعي بحوثا مفصلة، وتدبرا طويلا، وتأملا واعيا.

وقد ذكرنا في الفصل السابق بعض الأمثلة على ذلك، ومنها ما ذكره من المعارف المرتبطة بخلق الإنسان، وذلك عندما قال في الدعاء: (وأنا اشهدك يا إلهي بحقيقة إيماني، وعقد عزمات يقيني، وخالص صريح توحيدي، وباطن مكنون ضميري، وعلائق مجاري نور بصري، وأسارير صفحة جبيني، وخرق مسارب نفسي، وخذاريف مارن عرنيني، ومسارب صماخ سمعي، وما ضمت وأطبقت عليه شفتاي، وحركات لفظ لساني، ومغرز حنك فمي وفكي، ومنابت أضراسي، وبلوغ حبائل بارع عنقي، ومساغ مطعمي ومشربي، وحمالة أم رأسي، وجمل حمائل حبل وتيني، وما اشتمل عليه تامور صدري، ونياط حجاب قلبي، وأفلاذ حواشي كبدي، وما حوته شراسيف أضلاعي، وحقاق مفاصلي، وأطراف أناملي، وقبض عواملي، ودمي وشعري، وبشري وعصبي، وقصبي

1) مهج الدعوات: 48، بحار الأنوار 85 / 214.

2)المرجع السابق: 48، بحار الأنوار 85 / 214.

وعظامي، ومخي وعروقي، وجميع جوارحي، وما انتسج على ذلك أيام رضاعي، وما أقلت الأرض مني، ونومي ويقظتي، وسكوني وحركتي، وحركات ركوعي وسجودي)[1]

فكل كلمة من هذه الكلمات تحمل مضامين كثيرة جدا، وفي مجالات مختلفة، تتعلق بالعلوم جميعا، وإن كان هدفها الأكبر هو بيان التسليم المطلق لله، والشهادة له بالعبودية، والشكر له على النعمة.

فتلك التفاصيل تشير إلى الحقائق الإيمانية المرتبطة بعناية الله بعبادة ورحمته بهم، كما تشير إلى علم الله بتفاصيل كل شيء، وقدرته على كل شيء، وإحاطته بكل شيء.. وتبرهن على ذلك من خلال تلك التفاصيل، حيث أنه يمكننا أن نضع من خلالها المقدمات التي توصل إلى تلك النتائج العقدية.

وهي تدعو كذلك إلى البحث العلمي في كل ما ذكره الإمام الحسين ، ولماذا اختار تلك النعم دون غيره، وما سر تعبيره عنها بتلك الصور البلاغية الجميلة ذات المضامين العلمية الدقيقة؟

وهي جميعا تشير إلى ذلك التأثر بالأسلوب القرآني في عرض الحقائق، والذي تمتزج فيه حقائق عالم الغيب، بحقائق عالم الشهادة، لأن المتوجه إليه بالدعاء هو عالم الغيب والشهادة، ومالك الغيب والشهادة.

ب ـ الافتقار والاضطرار:

وهو من آداب الدعاء الكبرى، ذلك أنه بقدر ما تتمثل عبودية الداعي إلى الله، وشعوره بفقره واضطراره، يكون قربه من الله تعالى، وبقدر قربه تلبى حاجته، من الأمثلة عليه قول الإمام الحسين في دعاء الطف بعد الثناء على الله: (أدعوك محتاجا، وأرغب إليك فقيرا، وأفزع إليك خائفا، وأبكي إليك مكروبا، وأستعين بك ضعيفا، وأتوكل عليك كافيا)[2]

1() البلدالأمين، ص 253.

2() البلدالأمين ص : 187.

وهو يذكرنا بقول موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24]، فهذا المقطع القصير أثنى فيه موسى على الله تعالى، ثم رتب على ثنائه بيان فقره وحاجته، وهما كافيان في الطلب.

ومثل ذلك قول يونس : ﴿لَا إله إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 87]، والذي نـزه الله تعـالى فيـه، في نفس الوقت الذي ذكر فيه فقـره وحاجتـه واضـطراره، وقـد أخـبر اللـه تعالى أنه استجاب له، وأنه يستجيب لكل من يقول ذلك، ويتحقــق بمعناه، كما قال تعالى: ﴿ فَاسْـتَجَبْنَا لَـهُ وَنَجَّيْنَـاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَـذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88]

وسر ذلك هو أن الله تعـالى يحب عبـاده المتواضـعين الـذين يبدون فقرهم وحاجتهم، ويمـدون أيـديهم بهـا إلى اللـه، كمـا قـال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّـوءَ ﴾ [النمـل: 62]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِـكَ فَأَخَـذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَـاءِ وَالضَّـرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَـرَّعُونَ (42) فَلَـوْلَا إِذْ جَـاءَهُمْ بَأْسُـنَا تَضَـرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَــتْ قُلُــوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّــيْطَانُ مَــا كَـانُوا يَعْمَلُــونَ ﴾ [الأنعام: 42، 43]

وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام السجاد في قوله في الدعاء المشهور بدعاء أبي حمزة الثمالي: (رب إنك أمرتنا أن نعفـو عمن ظلمنا، وقد عفونا عمن ظلمنا كما أمـرت فـاعف عنـا، فانـك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نرد سائلا عن أبوابنا، وقـــد أتينـاك سـؤالا ومسـاكين وقـد أنخنـا بفنائـك وببابـك نطلب نائلـك ومعروفك وعطاءك، فامنن بذلك علينا ولا تخيبنا فانـك أولى بـذلك منا ومن المأمورين)[1]

ولهـذا نـرى في أدعيـة الإمـام الحسـين الكثـير من الشـكوى وبيان الفقر والحاجة وكل أنواع الاضطرار، مثـل قولـه في الـدعاء المشهور الذي يستجير فيه بالله تعالى من شرور أعدائه: (اللهمّ يا عدّتي عند شدّتي، ويا غوثي عند كربـتي، احرسـني بعينـك الـتي لا تنام، واكنفـني بركنـك الـذي لا يـرام، وارحمـني بقـدرتك عليّ، فلا

---

[1]() بحار الأنوار (46/ 104)

أهلك وأنت رجائي، اللهمّ إنّك أكبر وأجلّ وأقدر مما أخاف وأحـذر. اللهمّ بك أدرأ في نحره، وأستعيذ من شـرّه، إنّـك على كـل شـيء قدير)[1]

ومنها قوله في دعاء يوم الطف، بعد حمد اللـه والثنـاء عليـه: (احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخـدعونا وخـذلونا وغـدروا بنـا وقتلونا، ونحن عترة نبيك وولد حبيبـك محمـد بن عبـد اللـه، الـذى اصطفيته بالرسالة وائتمنته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجـا ومخرجا برحمتك يا أرحم الراحمين)[2]

ونلاحظ فيه أن الإمام الحسين راح يشكو إلى الله مـا حصـل له مع قومه الذين آذوه، وهو يـذكرنا بتلـك الشـكوى الأليمـة الـتي ذكرها الله تعالى عن نوح ، وكيف تعامـل معـه قومـه على الـرغم من رحمته الشديدة بهم، وحرصه العظيم عليهم.

ويذكرنا كذلك بتلك الشـكوى الـتي شـكا بهـا رسـول اللـه ﷺ قومـه عنـدما قـال: (اللهم إني أشـكو إليـك ضـعف قـوتي، وقلـة حيلـــتي، وهـــواني على النـــاس، أنت أرحم الـــراحمين، أنت رب المستضـعفين، وأنت ربي إلى من تكلـني؟ إلى بعيـد يتجهمـني، أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمـر الـدنيا والآخـرة من أن يـنزل بي غضـبك، أو يحـل علي سخطك، لكن لك العتبى حـتى ترضـى، ولا حـول ولا قـوة إلا بك)[3]

---

1) نور الأبصار: 146، وفيات الأعيان 2:ـ 294، الإرشاد: 272، بحـار الأنـوار 47:ـ 174، وقد دعا بهذا الدعاء الشريف الإمام الصادق حينما أمر الطاغيـة المنصـور بإحضـاره مخفـوراً لينكل به، فأنقذه الله من شرّه، وفرّج عنه، فسئل عن سبب ذلك، فقال: إنّه دعا بدعاء جـدّه الحسين .

2() مصباح المتهجد: 827، مقتل الحسين للمقرم: 357..

3) سبل الهـدى والرشـاد، في سـيرة خـير العبـاد، وذكـر فضـائله وأعلام نبوتـه وأفعالـه وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلميـة بـيروت – لبنـان، الطبعـة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، (2/ 439)

وهكذا نلاحظ الإمام الحسين يقر بفقره وحاجته واضطراره إلى الله بكل أدب وعبودية، حتى أنه يصور نفسه بصورة الخاطئ العاصي الذي يستمطر مغفرة الله، ويطلب عفوه، بتضرع وابتهال عظيم، يذكرنا بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون: 60، 61]

وقد ورد في تفسير الآية أن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: 60] أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال: (لا، ولكن هم الذي يصومون ويصلون ويتصدقون، ويخافون أن لا يتقبل منهم ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: 61])[1]

ومن الأمثلة على هذا النوع من التضرع والافتقار قول الإمام الحسين في دعاء يوم عرفة: (ثم أنا يا إلهى المعترف بذنوبي فاغفرها لي، أنا الذي أخطأت، أنا الذي أغفلت، أنا الذي جهلت، أنا الذي هممت، أنا الذي سهوت، أنا الذي اعتمدت، أنا الذى تعمدت، أنا الذي وعدت، أنا الذي أخلفت، أنا الذي نكثت، أنا الذي أقررت، إلهى أعترف بنعمتك عندي، وأبوء بذنوبي فاغفر لي يا من لا تضره ذنوب عباده، وهو الغني عن طاعتهم، والموفق من عمل منهم صالحا بمعونته ورحمته، فلك الحمد إلهى أمرتني فعصيتك، ونهيتني فارتكبت نهيك، فأصبحت لا ذا براءة فأعتذر، ولا ذا قوة فأنتصر، فبأي شئ أستقبلك يا مولاي، أبسمعى أم ببصري أم بلساني أم برجلي؟ أليس كلها نعمك عندي، وبكلها عصيتك يا مولاي، فلك الحجة والسبيل علي، يا من سترني من الاباء والامهات أن يزجروني، ومن العشائر والاخوان أن يعيروني، ومن السلاطين أن يعاقبوني ولو اطلعوا يا مولاي على ما اطلعت عليه مني، إذا ما أنظروني ولرفضوني وقطعوني)[2]

وقوله: (يا من قلّ له شكري فلم يحرمني، وعظمت خطيئتي

1) رواه الترمذي رقم (3174) وصححه الحاكم 2 / 394 ووافقه الذهبي.

2() البلدالأمين ص : 255.

فلم يفضحني، ورآني على المعاصي فلم يخذلني)[1]

وقوله في تلك القطعة المنسوبة إليه من دعاء عرفة: (إلهي منِّي ما يليق بلؤمي، ومنك ما يليـق بكرمـك. إلهي كلمـا أخرسـني لؤمي أنطقني كرمـك، وكلمـا آيسـتني أوصـافي اطمعتـني مننـك. إلهي مَن كـانت محاسـنه مسـاوىء فكيـف لا تكـون مسـاوئه مسـاوىء، ومن كـانت حقائقـه دعـاوى فكيـف لا تكـون دعـاواه دعاوى)[2]

وقوله في دعائه بالكعبة: (إلهي نعّمتـني فلم تجـدني شـاكراً، وأبليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سـلبت النعمـة لـترك الشـكر، ولا أدمت الشدة لترك الصبر، إلهي ما يكون من الكريم إلاّ الكرم)[3]

وهذا وغيره كثير، يشبه تلك التضرعات الكثيرة التي يسـتغفر فيها الأئمـة اللـه تعـالى، مثـل قـول الإمـام السـجاد في دعـاء أبي حمـزة: (أنـا يـا رب الـذي لم أسـتحيك في الخلاء ولم أراقبـك في الملأ أنا صاحب الدواهي العظمى أنا الـذي على سـيده اجـترا، أنـا الذي عصيت جبار السـما، أنـا الـذي أعطيت على معاصـي الـدليل الرُشى، أنا الذي حين بُشرت بهـا خـرجت إليهـا أسـعى، أنـا الـذي أمهلتــني فمــا ارعــويت وســترت عليَّ فمــا اســتحييت وعملت بالمعاصي فتعديت)[4]

وذلك لا يعني ـ كما يتصـور القاصـرون في فهم كلام الأئمـة ـ أن ذلك دال على وقوعهم في الخطايا والمعاصي؛ فذلك يسـتحيل على أهل بيت الطهارة، الـذين جعلهم اللـه قـدوة وأسـوة للنـاس،

1() المرجع السابق ص : 255.

2) بحار الأنوار، 95/227.

3() إحقاق الحقّ، السيّد نور الله التسـتريّ، قم، منشـورات مكتبـة آيـة اللـه المرعشـيّ النجفيّ، 11/ 595.

4() البلدالأمين ص : 209.

وإنما يعني شفافية أرواحهم وعظم أدبهم مع الله إلى الدرجة التي يشعرون فيها أنهم مقصرون في حقه غاية التقصير.

وهم يطبقون بذلك ما ورد في القرآن الكريم عن الأنبياء ، والذين اتفقت الأمة على عصمتهم، ومع ذلك نراهم يبتهلون إلى الله، ويتضرعون إليه أن يغفر لهم.

فقد حكى الله تعالى عن نوح قوله: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً (نوح:28)

وحكى عن إبراهيم قوله: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (ابراهيم:41)

وحكى عن رسول الله ﷺ قوله: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (البقرة:285)

بالإضافة إلى هذا المعنى الذي دل عليه القرآن الكريم هناك معان أخرى ذكرها العلماء، نلخصها فيما يلي[1]:

الأول: أن ترك المستحب وفعل المكروه قد يسمى ذنبا وعصيانا، بل ارتكاب بعض المباحات أيضا بالنسبة إلى رفعة شأنهم وجلالتهم ربما عبروا عنه بالذنب لانحطاط ذلك عن سائر أحوالهم.

الثاني: أنهم بعد انصرافهم عن بعض الطاعات التي أمروا بها من معاشرة الخلق وتكميلهم وهدايتهم ورجوعهم عنها إلى مقام القرب والوصال ومناجاة ذي الجلال ربما وجدوا أنفسهم لانحطاط تلك الأحوال عن هذه المرتبة العظمى مقصرين، فيتضرعون لذلك وإن كان بأمره تعالى، كما أن أحدا من ملوك الدنيا إذا بعث واحدا من مقربي حضرته إلى خدمة من خدماته التي يحرم بها من مجلس الحضور والوصال فهو بعد رجوعه يبكي

---

1) انظر : بحار الأنوار : 25/210، فما بعدها، وقد قدم لها بقوله: (اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلا لاعمدا ولا نسيانا) إلى أن قال: (فأما ما يوهم خلاف ذلك من الأخبار والأدعية فهي مأولة بوجوه)، ثم ذكر الوجوه التي ذكرناها.

ويتضرع وينسب نفسه إلى الجرم والتقصير لحرمانه عن هذا المقام الخطير.

الثالث: أن كمالاتهم وعلومهم وفضائلهم لما كانت من فضله تعالى، ولولا ذلك لأمكن أن يصدر منهم أنواع المعاصي، فإذا نظروا إلى أنفسهم وإلى تلك الحال أقروا بفضل ربهم وعجز أنفسهم بهذه العبارات الموهمة لصدور السيئات فمفادها أني أذنبت لولا توفيقك، وأخطأت لولا هدايتك.

الرابع: أنهم لما كانوا في مقام الترقي في الكمالات، والصعود على مدارج الترقيات في كل آن من الآنات في معرفة الرب تعالى وما يتبعها من السعادات، فإذا نظروا إلى معرفتهم السابقة وعملهم معها اعترفوا بالتقصير وتابوا منه، ويمكن أن ينزل عليه قول النبي ﷺ: (وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة)[1]، وقد ذكر هذا المعنى في دعاء الصباح الذي كان يقوله الإمام علي ، ففيه: (إلهي إن لم تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق، فمن السالك بي إليك في واضح الطريق؟ وإن أسلمتني أناتك لقائد الأمل والمنى فمن المقيل عثراتي من كبوات الهوى؟ وإن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد وكلني خذلانك إلى حيث النصب والحرمان)[2]

الخامس: أنهم لما كانوا في غاية المعرفة لمعبودهم فكل ما أتوا به من الأعمال بغاية جهدهم، ثم نظروا إلى قصورها عن أن يليق بجناب ربهم عدوا طاعاتهم من المعاصي واستغفروا منها كما يستغفر المذنب العاصي، ومن ذاق من كأس المحبة جرعة شائقة لا يأبى عن قبول تلك الوجوه الرائقة، والعارف المحب الكامل إذا نظر إلى غير محبوبه أو توجه إلى غير مطلوبه يرى نفسه من أعظم الخاطئين.

ج ـ طلب الحاجات:

1() رواه أحمد (2/90) (5635) وفي (2/111) (5899) وأبو داود (5164)

2() بحار الأنوار، (84/ 340)

وهو خاتمة الدعاء، وقد يقتصر الرواة أحيانا على ذكره، ويقدمون لذلك بكونه قال الدعاء بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله.

ونلاحظ أن كل الحاجات التي طلبها الإمام الحسين مرتبطة بالدين وبحركته الرسالية، ولا علاقة لها بأي مطلب من المطالب الدنيوية المادية، ومن الأمثلة على ذلك دعاؤه لطلب التوفيق للعمل الصالح، وقوله فيه: (اللهم إنِّي أسالك توفيق أهل الهدى، وأعمال أهل التقوى، ومناصحة أهل التوبة، وعزم أهل الصبر، وحذر أهل الخشية، وطلب أهل العلم، وزينة أهل الورع، وحذر أهل الجزع، حتى أخافك اللهم مخافة تحجزني عن معاصيك، وحتى أعمل بطاعتك عملاً استحقُّ به كرامتك، وحتى أناصحك في التوبة خوفاً لك، وحتى أخلص لك في النصيحة حباً لك، وحتى أتوكَّل عليك في الأمور حسن ظن بك، سبحان خالق النور، وسبحان الله العظيم وبحمده)(1)

ومن أمثلتها قوله في طلب الآخرة والرغبة فيما عند الله: (اللهم ارزقني الرغبة في الآخرة حتى أعرف صدق ذلك في قلبي بالزهادة مني في دنياي. اللهم ارزقني بصراً في الآخرة حتى اطلب الحسنات شوقاً، وأفرَّ من السيئات خوفاً يا رب)(2)

ومن أمثلتها قوله في دعاء عرفة: (اللهم اجعل غناي في نفسي، واليقين في قلبي، والإخلاص في عملي، والنّور في بصري، والبصيرة في ديني، ومتّعني بجوارحي، واجعل سمعي وبصري الوارثين منّي وانصرني على من ظلمني، وارزقني مآربي وثاري وأقرّ بذلك عيني، اللهمّ اكشف كربتي واستر عورتي، واغفر لي خطيئتي، وأخسئ شيطاني، وفكّ رهاني واجعل لي يا إلهي الدرجة العليا في الآخرة والأولى) (3)

---

1) مهج الدعوات، ص 195، وبحار الأنوار ج 91 ص 191.

2) كشف الغمة ج 2 ص 194 ومعالي السبطين ج 2، ص 313.

3) البلدالأمين ص : 70.

وهذه الأدعية تشابه تلك الأدعية التي وردت في القرآن الكريم عن أولي الألباب، مثل قوله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194)﴾ [آل عمران: 190 - 194]

وهكذا نلاحظ في دعائه للاستسقاء، والذي يمتزج فيه طلب الغيث المادي بطلب الغيث الروحي؛ فقد قال في الدعاء: (اللهمّ اسقنا سقياً واسعة وادعة، عامة نافعة غير ضارّة، تعمّ بها حاضرنا وبادينا، وتزيد بها في رزقنا وشكرنا. اللهمّ اجعله رزق إيمان، وعطاء إيمان؛ إنّ عطاءك لم يكن محظوراً. اللهمّ أنزل علينا في أرضنا سكنها، وأنبت فيها زيتها ومرعاها)[1]

ومثل ذلك قوله في دعاء عرفة: (أعنّي على بوائق الدهر، وصروف الأيام واللّيالي، ونجّني من أهوال الدنيا وكربات الآخرة واكفني شرّ ما يعمل الظالمون في الأرض، اللهمّ ما أخاف فاكفني، وما أحذر فقني، وفي نفسي وديني فاحرسني، وفي سفري فاحفظني، وفي أهلي ومالي وولدي فاخلفني، وفيما رزقتني فبارك لي، وفي نفسي فذلّلني، وفي أعين الناس فعظّمني، ومن شرّ الجنّ والإنس فسلّمني، وبذنوبي فلا تفضحني، وبسريرتي فلا تخزني، وبعملي فلا تبتلني، ونعمك فلا تسلبني وإلى غيرك فلا تكلني)[2]

بالإضافة إلى هذا، فإن الملاحظة التي يكتشفها أي قارئ لما وصلنا من أدعية الإمام الحسين ارتباطها بحركته الرسالية،

---

1) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2/ 278.

2() البلد الأمين ص : 254.

وشكواه من قومه، ودعوته الله أن يحكم بينهم، مثلما رأينا بعض النماذج عن ذلك سابقا.

ومن النواحي التربوية المهمة التي نكتشفها في هذا النوع من المطالب تنمية الشعور بخدمة الدين والاهتمام جميع قضاياه، ومواجهة المستكبرين الظالمين المستبدين الذين راحوا يستعملون كل الوسائل لتحريفه، وتحويله من دين إلهي مقدس إلى دين بشري مدنس.

ولتحقيق هذا المعنى نجد أدعية للإمام الحسين على أعداء الدين، والمحاربين له، وهي نابعة من تلك الآيات القرآنية التي يذكر الله تعالى فيها أدعية الأنبياء على أقوامهم بعد يأسهم منهم، كما قال تعالى عن نوح : ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 26، 27]

ومثله ما ذكره عن دعاء موسى على فرعون وملئه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88]

وعلى هذا المنهج كان للإمام الحسين أدعية على أعدائه وأعداء الدين، والتي نرى فيها الكثير من الجوانب العلمية والتربوية، فهي أدعية تعرف بهم، وتفضحهم للأجيال القادمة، وخاصة أولئك الذين راح النظام الأموي يشيد بهم، ويستعمل رجال الدين الذين التحقوا به لأداء ذلك.

بالإضافة إلى ذلك نجد لها دورا في تنمية روح البراءة من أعداء الله، ذلك أن إيمان المؤمن لا يمكن أن يتحقق ما لم يوال أولياء الله، ويحارب أعداءه، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِالله رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ

ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [الممتحنة: 1]

ولهذا ورد في الحـديث عن زيـد بن أرقم أن رسـول اللـه ﷺ قال لعلي وفاطمـة والحسـن والحسـين: (أنـا حـرب لمن حـاربتم، وسلم لمن سالمتم)(1)

وفي حديث آخر عن صـبيح قـال: كنت ببـاب النـبي ﷺ فجـاء علي، وفاطمة، والحسن، والحسين فجلسوا ناحية، فخـرج رسـول الله ﷺ إلينا، فقال: (إنكم على خير)، وعليه كساء خيـبري، فجللهم به، وقال: (أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم)(2)

وعن أبي هريـــرة قـــال: نظـــر رســـول اللـــه ﷺ إلى علي، والحسن، والحسين، وفاطمة، فقال: (أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم) (3)

وبنـاء على هـذا، فـإن كـل هـذه النصـوص تحـرم الـدفاع عن أولئك الـذين حـاربوا الإمـام الحسـين ، ذلـك أن الـدفاع عنهم هـو مواجهة لرسول الله ﷺ الذي أعلن وقوفه التام مع الإمام الحسين ، وأن أعداءه هم أعداء رسول الله ﷺ، وأعداء الله تعالى.

ومن تلك الأدعية التي دعـا بهـا الإمـام الحسـين على أعدائـه دعاؤه العام على كل من حاربه، فقد حدث مسلم بن ربـاح مـولى علي بن أبي طـالب قـال:كنت مـع الحسـين بن علي يـوم قُتـل، فرمي في وجهه بنشّابة فقال لي: (يامسلم، أدن يـديك من الـدم) فأدنيتهما فلّما امتلأتـا قـال: (أسـكبه في يـدي)، فسـكبته في يـده فنفح بهما إلي السماء وقال: (اللهمّ اطلب بدم ابن بنت نبيّك)(4)

1) رواه الترمذي ج 2 ص 319، الحاكم فى المستدرك: 3/149.

2) قال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9/ـ 169): رواه الطبراني في الأوسـط، وفيـه من لم أعرفهم.

3) قال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9/ 169): رواه أحمد والطبراني، وفيه تليد بن سليمان، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

4) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين

وقـد روى ابن عسـاكر تعقيبـا على هـذا الـدعاء عن راوي الحديث قولـه: (فمـا وقـع منـه إلى الأرض قطـرة)، ثم حـدث عن العباس بن هشام بن محمد الكوفي عن أبي عن جده، قال: (كـان رجل من بني أبان بن دارم، يقال له: زرعـة، شـهد قتـل الحسـين، فرمى الحسين بسهم فأصاب حنكه فجعـل يلتقي الـدم، ثم يقـول هكذا إلى السماء فيرمي به، وذلك أن الحسين دعاء بماء ليشرب، فلما رماه حـال بينـه وبين المـاء فقـال: اللهم ظمـه، اللهم ظمـه، قـال: فحـدثني من شـهده، وهـو يمـوت وهـو يصـيح من الحـر في بطنـه، والـبرد في ظهـره، وبين يديـه المـراوح والثلج، وخلفـه الكـافور، وهـو يقـول: اسـقوني أهلكـني العطش، فيـؤتى بـالعس العظيم فيه السـويق أو المـاء واللبن، لـو شـربه خمسـة لكفـاهم، قال: فيشـربه ثم يعـود فيقـول: اسـقوني أهلكـني العطش، قـال: فانقد بطنه كانقداد البعير)[1]

ومنها دعاؤه على أعدائه بعد شهاده ولده علي الأكبر، فقد رُوي أنّ علي بن الحسين الأكبر لمّا تقـدم واسـتأذن أبـاه بالقتـال، أذن له أبوه، ثمّ نظـر إليـه نظـر آيس منـه وأرخي عينيـه فبكي،ثمّ رفع سبّابته نحو السماء وقال: (اللهمّ اشهد علي هؤلاء القوم، فقد برزإليهم غلام أشبه الناس خَلقا وخُلقـا ومنطقـا برسـولك، كنّـا إذا إشـتقنا إلي نبيّـك نظرنـا إلي وجهـه؛ اللهمّ امنعهم بركـات الأرض، وفرّقهم تفريقا، ومزّقهم تمزيقا، واجلعهم طرائـق قـددا، ولاتـرض الولاة عنهم أبدا، فإنّهم دعونا لينصرونا، ثمّ عدوا علينا يقاتلوننا)[2]

ثم برز إلي القتال ولم يزل يقاتل حتّي قُتِل، فجـاءه الحسـين حتّى وقـف عليـه وهـو يقـول: (قتـل اللـه قومـا قتولـك يـابنّي، مـا أجـرأهم على الـرحمن وعلى انتهـاك حرمـة الرسـول ﷺ .. على

ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مـراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشـق – سـوريا، الطبعـة: الأولى، 1402 هـ - 1984م، (7/ 148)

[1] () مختصر تاريخ دمشق (7/ 148)

[2]) بحارالانوار، ج 54، ص 34-24، ومع اختلاف يسـير: تـاريخ الأمم والملـوك، ج 6، ص 381؛ إعلام الوري، ص 442.

الدنيا بعدك العفا)(1)

وجاء في رواية أخرى أنّ الإمام الحسين قال: (لعن الله قوما قتلوك ياولدي، ما أشدّ جرأتهم على الله وعلى انتهاك حرم رسول الله ﷺ)(2)

ومنها دعاؤه عليهم بعد شهادة القاسم بن الحسن، فقد ورى المؤرخون أنه لمّا خرج القاسم إلي المعركة، فقاتل حتي قُتل، جاءه الحسين كالصقر المنقض فقال: (بُعدا لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك)(3)

وجاء في رواية أخرى أنّ الامام الحسين قال: (اللهمّ أنت تعلم أنّهم دعونا لينصرونا، فخذلونا وأعانوا علينا، اللهمّ احبس عنهم قطر السماء، وأحرمهم بركاتك، اللهمّ لاترض عنهم أبدا. اللهمّ إنّك إن كنت حبست عنّا النصر في الدنيا، فاجعله لنا ذخرا في الآخرة، وانتقتم لنا من القوم الظالمين)(4)

وفي رواية أخرى: وضع الحسين صدره على صدره، ثمّ قال: (اللهمّ أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا، ولا تغفرلهم أبدا؛ صبرا يابني عمومتي، صبرا يا أهل بيتي، لارأيتم هوانا بعد هذا اليوم أبدا)(5)

---

1) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 375؛ أعيان الشيعة، الامين، محسن، حقّقه وأخرجه حسن الأمين، بيروت، دارالتعاريف للمطبوعات، 0341 هـ، 1983 م، ج 1، ص 076، الارشاد، ص 239.

2) ينابيع المودّة، سليمان بن إبراهيم القندوزيّ، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، 1411هـ، ج 2، ص 171.

3) الارشاد، ص 239؛ مقاتل الطالبين، ص 88؛ اعيان الشيعة، ج1، ص 086؛ بحارالانوار، ج 54، ص 35؛ تاريخ الامم والملوك، ج 6، ص 377؛ الكامل في التاريخ، ج4، ص 75؛ اعلام الوري، ص 342.

4) ينابيع المودة، ج 2، ص 170.

5) بحارالانوار، ج 54، ص 63.

ومنها دعاؤه عليهم بعد شهادة عبدالله بن الحسن، فقد رُوي أنّ عبدالله بن الحسن لمّا ضربه أبجر بن كعب بالسيف وقطع يده، نادى: يا امّاه! فأخذه الحسين ، فضمّه اليه، ثمّ رفع يده المعلقة وقال: (اللهمّ إن متّعتهم إلي حين، ففرّقهم فِرقا، واجعلهم طرائق قِدادا، ولا تُرض الولاة عنهم أبدا، فانّهم دعونا لينصرونا، ثمّ عدوا علينا فقتلونا)(1)

ومنها دعاؤه عليهم بعد شهادة ولده الصغير عبد الله، فقد روي أنّ الحسين جلس أمام الفسطاط فأتي بانه عبدالله بن الحسين وهو طفل فأجلسه في حجره فرماهُ رجل من بني أسد بسهم فذبحه فتلّقي الحسين من دمه ملأكفّه وصبّه علي الارض، ثم قال: (ربّ إن تكن حبست عنّا النصر من السماء عندك فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين)(2)

ومنها دعاؤه عليهم بعد شهادة عبدالله بن مسلم بن عقيل لمّا برز عبدالله بن مسلم في ساحة القتال، لم يزل يقاتل حتّي قتل من الأعداء نيفا وخمسين فارسا، ثمّ قُتل فلّما نظر الحسين اليه، قال: (اللهمّ اقتل قاتل آل عقيل)(3)

ومنها دعاؤه على بعض القتلة، فقد رُوي عن ابن عُيينة أنّه قال: أدركت من قتلة الحسين رجلين، أمّا أحدهما فإنّه طال ذكره حتّي كان يلّفه، وأمّا الآخر فإنّه كان يستقبل الرواية فيشربها إلي آخرها ولايروي، وذلك أنّه نظر إلي الحسين وقد أهوي إلي فيه بماء وهو يشرب، فرماه بسهم، فقال الحسين : (لا أرواك الله من الماء في دنياك ولا آخرتك)، فعطش الرجل حتّى ألقي نفسه في الفرات، وشرب حتّى مات(4).

---

1) الارشاد، ص 142؛ اعلام الوري، ص 442، ومع اختلاف يسير: تاريخ الامم والملوك، ج 6، 381؛ الكامل في التاريخ، ج 4، ص 77.

2) اعلام الوري، ص 342، ومع اختلاف يسير: الارشاد، ص 042؛ الكامل في التاريخ، ج 4، ص75؛ تاريخ الامم والملوك، ج 6، ص 378.

3) ينابيع المودّة، ج2، ص 861.

ومنها دعاؤه عليهم بعد أن كثرت عليه العساكر؛ فقد رُوي أنّه لما كثرت العساكر علي الحسين أيقن أنّه لا محيص له، فقال: (اللهمّ احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا، ثمّ هم يقتلوننا)(1)

ومنها دعاؤه عليهم يوم عاشوراء، فقد رُوي أنّه لمّا عبّأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الإمام الحسين ورتّبهم مراتبهم، خرج الإمام حتّى أتى الناس فاستنصتهم، فأبوا أن ينصتوا، ثمّ قال في كلام له: (اللهمّ احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف، يسقهيم كأسا مصبّرة، ولايدع فيهم أحدا إلّا قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنّهم غرّونا وكذّبونا وخذلونا، وأنت ربّنا عليك توكّلنا وإليك أَنبنا وإليك المصير)(2)

ومنها أدعيته على بعض المشاركين بسبب بعض المواقف التي قاموا بها، وقد استجاب الله لها جمعيا، ومنها دعاؤه على عبد الله بن حصين الأزدي الذي قال بأعلى صوته: ياحسين، ألا تنظر إلى الماء كأنّه كبدالسماء! والله لاتذوق منه قطرة حتى تموت عطشا، فقال الحسين: (اللهمّ اقتله عطشا، ولا تغفرله أبدا)(3)، وقد تحقق ذلك الدعاء، فقد روى المؤرخون أنه كان بعد ذلك يشرب الماء ولا يروى حتّى سقى بطنه فمات عطشا(4) .

ومن الذين دعا عليهم الإمام الحسين **عمربن سعد**؛ فقد

---

4) مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب، عني بتصحيحه والتعليق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي، قم، انتشارات علامه، ج4، ص 65؛ بحارالانوار، ج574 ص 300.

1) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، تحقيق محمدمحيي الدين عبدالحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة، 4138 هـ، ج 3، ص 70.

2) بحارالانوار، ج 54، ص 8.

3) تاريخ الطبري 3 ـ 311، الإرشاد : 228، الكامل في التاريخ 2 ـ 556، بحار الأنوار 44 : 389، العوالم 17 : 240، إحقاق الحقّ 11 : 582 .

4) تذكرة الخواص، ص 742..

قال ـ بعد أن رأى عتوه وطغيانـه: (مالـك، ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفرلك يوم حشرك)(1)

ودعـا عليـه لمّـا خـرج علي الأكـبر؛ فقـال: (مالـك، قطع الله رحمك، ولابارك الله لك في أمرك، وسلّط عليك من يذبحك بعـدي على فراشـك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابـتي من رسـول الله ﷺ)(2)

وقد استجاب الله دعاء الإمام الحسين ، فقد ورد في الأخبـار عن الفريقين ما يدل على ذلك، ومنهـا أنـه لمـا خـرج المختـار في طلب ثأر قتلة الإمام الحسين قتل عمر بن سعد وحزّ رأسه، وجـاء بـه إلى ولـده حفص بن عمـر بن سـعد، فقـال لـه: أتعـرف هـذا الرأس؟ قال: نعم، ولا خـير في العيش بعـده، فقـال لـه المختـار: (إنك لا تعيش بعده وأمر بقتله وقطع رأسه)(3)

ومن الذين دعا عليهم الإمام الحسـين **مالـك بن حـوزة**؛ فقد حدث ابن أعثم قـال: أقبـل رجـل من معسـكر عمـربن سـعد يقال له مالك بن حوزة على فـرس لـه حـتى وقـف عنـد الخنـدق، وجعل ينـادي: أبشـر ياحسـين، فقـد تلفحـك النـار في الـدنيا قبـل الآخرة! فقال لـه الإمـام الحسـين : (كـذبت ياعدّوالله، إنّي قـادم على ربّ رحيم وشفيع مطاع، وعلى جدّي رسول الله ﷺ)، ثم قال الحسين: (من هذا الرجل؟) فقـالوا: (هـذا مالـك بن حـوزة) فقـال الحسين: (اللهم حُزه إلى النار، وأذقه حرّها فى الدنيا قبل مصيره إلى الآخرة)، قال: فلم يكن بأسرع أن شبّت به الفرس فألقته فى النار، فاحترق قال: فخرّالحسين لله ساجدا مطيعـا، ثم رفع رأسه، وقال: يالها من دعوة ماكان أسرع إجابتها! قال: ثم رفـع الحسـين صوته ونادى: (اللهمّ إنّا أهل بيت نبيّك وذريته وقرابتـه، فاقصم من

---

1) أعيان الشيعة، ج 1، ص 599.

2) بحارالأنوار، ج 54، ص 34.

3) مستدرك سفينة بحار الأنوار 6:ـ 56، وانظر: كتاب جزاء قتلة سيد الشـهداء في دار الدنيا، لمؤلفه السيد هاشم الناجي الموسوي..

ظلمنا وغصبنا حقّنا، إنّك سميع مجيب)[1]

ومنها دعاؤه على جبيرة الكلبي، فقد روي أن أصـحاب الإمام الحسين حفروا حول الخيمة خندقا وملأوه نـارا حـتى تكـون الحرب من جهة واحدة، فقال رجل ملعون: عجلت يا حسـين بنـار الدنيا قبل الآخـرة، فقـال الحسـين : تعـيرني بالنـار وأبي قاسـمها وربّي غفور رحيم، ثم قال لأصحابه: أتعرفون هذا الرجل؟ فقـالوا: هو جبيرة الكلبي لعنه الله فقال الحسين : (اللهم احرقه بالنار في الـدنيا قبل نـار الآخـرة) فما اسـتتمّ كلامه حـتى تحـرك به جـواده فطرحه مكّبا على رأسه في وسط النار فـاحترق، فكّـبروا، ونـادى مناد من السماء: هنيت بالإجابة سريعا يا ابن رسول الله)[2]

ومنها دعاؤه على شـمر بن ذي الجوشن، حيث حمـل علي فسطاط الحسين فطعنه بـالرمح، ثمّ قـال: عليّ بالنـار حـتي أحرّق هذا البيت علي أهله فصاح النساء وخـرجن من الفسـطاط، وصاح به الحسـين: (يـابن ذي الجوشـن، أنت تـدعو بالنـار لتحـرّق بيتي علي أهلي، حرّقك الله بالنار!)[3]

ومنهـا دعـاؤه على تميم بن حصـين الفـزاري، فقـد رُوي أنّه بـرز من عسـكر عمـر بن سـعد رجـل يقـال لـه: تميم بن حصين الفزاري، فنادي: ياحسين ويا أصحاب الحسـين، أمـا تـرون الفرات يلوح كأنّه بطون الحيّات؟ والله لا أذقتم منـه قطـرة حـتي تذوقوا الموت جُرعا، فقال الحسين : (هـذا وأبـوه من أهـل النـار، اللهمّ اقتل هذا عطشا في هذا اليـوم) قـال فخنقتـه العطش حتّي سقط من فرسه فوطأتـه الخيـل بسـنابكها فمـات[4]، وفي روايـة قال: (اللهمّ أمته عطشا) قال: والله لقد كـان هـذا الرجـل يقـول:

---

1) بحار الأنوار (45/ 302)

2) ينابيع المودة، ج 2، ص 761-661.

3) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 763؛ الكامل في التاريخ، ج 4، ص 96.

4) روضة الواعظين، ج 1، ص 185، ومع اختلاف يسير: بحارالأنوار، ج 44، ص 317.

أسقوني ماء، فيؤتي بماء، فيشرب حتي يخرج من فيه وهو يقول: اسقوني قتلني العطش، فلم يزل كذلك حتى مات (1).

ومنها دعاؤه على محمد بن الأشعث، فقد روي أنه لمّا دعا الحسين على مالك بن حوزة، سمع كلامه محمدبن الأشعث وجري بينهما محادثات، ثمّ قال الإمام : (اللهمّ أرني فيه في هذا اليوم ذلّا عاجلاً)(2)

وفي رواية: رفع الحسين رأسه إلى السماء فقال: (اللهمّ أذلّ محمدبن الأشعث ذلّا في هذا اليوم لاتعزّه بعد هذا اليوم أبدا)، فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرّز، فسلّط الله عليه عقربا فلدغته فمات(3) .

وفي رواية: قال الحسين : (اللهمّ إن كان عبدك كاذبا فخذه إلي النار، واجلعه اليوم آية لأصحابه) فما هوإلّا أن ثني عنان فرسه، فرمي به، وثبتت رجله في الركاب فضربه حتي قطعه(4)

ومنها دعاؤه على ابن أبي جويرية المزني، فقد رُوي أنّه أقبل رجل من عسكر عمر بن سعد على فرس يقال له: ابن أبي جويرية المزني، فلما نظر إلي النار تتّقد، صفّق بيده ونادي: يا حسين ويا أصحاب الحسين، أبشروا بالنار، فقد تعجلّتموها في الدنيا، فقال الحسين : (اللهمّ أذقه عذاب النّار في الدنيا) فنفر به فرسه وألقاه في تلك النار فاحترق(5).

ومنها دعاؤه على زرعة الدارمي، فقد رُوي أنّ رجلاً

---

1) مقاتل الطالبين، ص 117؛ بحارالانوار، ج 54، ص 52-51.

2) مناقب آل أبي طالب، ج 4، ص 58؛ بحارالأنوار، ج 54، ص 302.

3) روضة الواعظين، ج 1، ص 185.

4) بحارالأنوار، ج 574 ص 31.

5)المرجع السابق ، ج 44، ص 317.

من بني أبان بن دارم، يقال له زرعة، شهد قتل الحسين ، فرمي الحسين بسهم فأصاب حفكه، وذلك أنّ الحسين دعا بماء ليشرب فرماه فحال بينه وبين الماء، فقال: (اللهمّ أظمئه) قال: فحدّثني من شهد موته وهو يصيح من الحرّ في بطنه ومن البرد في ظهره، وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكانون وهو يقول: أسقوني أهلكني العطش(1) .

ومنها دعاؤه على أبي الحتوف، فقد جاء في رواية أنّ الحسين حينما رماه أبوالحقوق الجعفي بسهم فوقع السهم في جبهته، نزعه من جبهته، فسالت الدماء علي وجهه ولحيته، فقال: (اللهمّ إنّك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة، اللهمّ أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولاتذر على وجه الأرض منهم أحدا، ولا تغفرلهم أبدا)(2)

ومنها دعاؤه على حصين بن نُمير التميمي، فقد رُوي أنّ الحسين لمّا اشتدّ عليه العطش، دنا من الفرات ليشرب، فرماه حصين بن نمير بسهم، فوقع في فمه، فجعل يتلقي الدم بيده، ورمي به إلي السماء، ثمّ حمدالله وأثني عليه، ثم قال: (اللهمّ إنّي أشكو إليك ما يُصنع بابن بنت نبيك! اللهمّ أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولاتبقِ منهم أحدا)(3)

ومنها دعاؤه على مالك بن اليسر، فقد روي أنّ رجلاً من كندة يقال له مالك بن اليسر أتي الحسين بعد ما ضعف من كثرة الجراحات فضربه علي رأسه بالسيف وعليه برنس من خز، فقال له الحسين : (لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين)، فألقى ذلك البرنس من رأسه فأخذه الكندي فأتي به أهله، فقالت له امرأته: أسَلَبَ الحسين تدخله في بيتي؟ أخرج فو

1) الإرشاد، ص 042؛ روضة الواعظين، ج 1، ص 188؛ بحارالإنوار، ج 54، ص 311؛ إعلام الوري، ص 442؛ تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 379.

2) أعيان الشيعة، ج 1، ص 86.

3) الكامل في التاريخ، ج 4، ص 67، تاريخ الأمم والملوك، ج 76 ص 379.

الله لاتدخل بيتي أبدا؛ فلم يزل فقيرا حتى هلك(1).

وفي رواية: (لا أكلت بيمنك ولاشربت بها وحشرك الله مع القوم الظالمين)، قال ابومخنف: لما أخذ الكندي عمامة الحسين قالت زوجته: ويلك قتلت الحسين وسلبت ثيابه! فوالله لا جتمعت معك في بيت واحد، فأراد أن يلطمها فأصاب مسمار يده قطعت يده من المرفق، ولم يزل فقيرا حتي هلك)(2)

وفي مقابل هذا نجد أدعيته للموالين له الصادقين في الجهاد معه، وهو ينطبق على من عاصره وغيرهم، وأولهم أهل بيته، ومنها **دعاؤه لولده علي بن الحسين**، عندما قال له: يا أبت إذن لانبالي أن نموت محقيّن فقال له الحسين : (جزاك الله من والد خير ماجزي ولدا عن والده)(3)

ومنها **دعاؤه لأخيه العبّاس بن علي** لمّا وقع العبّاس على الأرض وهو يقول يا أبا عبدالله، عليك منّي السلام، قال الإمام: واعبّاساه! وامهجة قلباه! وحمل عليهم وكشفهم عنه، وحمله علي جواده فأدخله الخيمة، وبكي بكاء شديدا وقال: (جزاك الله عنّي خيرالجزاء، فلقد جاهدت حق الجهاد)(4)

وهكذا دعا لكل من حضر معه، ومنهم أم وهب، فقد روي أنّ أم وهب زوجة عبد الله بن عمير الكلبي بعد ماخرج زوجها إلي ساحة المعركة، أخذت عمودا، ثمّ أقبلت نحوه وهي تقول له: فداك أبي وأمّي! قاتل دون الطيّبين ذريّة محمد ﷺ، فأقبل عبدالله إليها يردّها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه، ثم

1) مناقب آل أبي طالب، ج4، ص 57؛ تاريخ الأمم والملوك، ج6، ص 377؛ الكامل في التاريخ، ج4، ص 75.

2) ينابيع المودة، ج 2 ص 173، روضة الواعظين، ج2، ص 188؛ إعلام الوري، ص 442.

3) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 333؛ الكامل في التاريخ، ج 4، ص 51، مقاتل الطالبين، ص 111.

4) ينابيع المودة، ج 2، ص 661.

قالت: إنّي لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها الحسين: (جُزيتم من أهـل الـبيت خـيرا، ارجعي رحمـك اللـه إلى النسـاء فاجلسـي معهن، فإنّه ليس على النساء قتال)، فانصرفت اليهن(1).

وفي رواية أنه قال لهـا: (إرجعي يـا أمّ وهب، أنت وابنـك مـع رسول اللـه ﷺ، فـإنّ الجهـاد مرفـوع عن النسـاء)، فـرجعت وهي تقول: (إلهي لا تقطع رجائي)، فقال لها الحسـين : (لا يقطـع اللـه رجاك يا أم وهب)(2)

ومنها دعاؤه للحرّبن يزيد الرياحي، حيث أنه لمّـا لحـق بالحسـين راكبـا، قـال:إنّي قـدجئتك تائبـا ممّـا كـان منّي إلي ربّي ومواسيا لك بنفسي حتّي أموت بين يديك، أفـتري ذلـك لي توبـة؟ قال الإمام: (نعم، يتوب الله عليك)، فأنزل قال: أنا لك فارسا خير منّي راجلاً، أقاتلهم لك على فرسـي سـاعة وإلى الـنزول مايصـير آخر أمري، فقال له الحسين : (فاصنع يرحمك الله ما بدا لك)(3)

ومنها دعاؤه لأبي ثمامة الصائدي، حيث قـال أبوثمامـة للحسين: يـا أبـا عبداللـه، نفسـي لـك الفـداء! إنّي أري هـؤلاء قـد اقتربوا منك، والله لا تُقتل حتّي أُقتل دونك إن شـاءالله، وأحبّ أن ألقي ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنـا وقتهـا، فرفـع الحسـين رأسه، ثمّ قال: (ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذاكرين)(4)

ومنها دعاؤه لحبيب بن مظاهر، فقد روي أنـه لمّـا بـرز حبيب في ساحة القتال، لم يزل يقاتل حتّي قتل منهم خلقا كثـيرا، ثمّ قال الحسين : (يرحمك الله يـا حـبيب، لقـد كنت تختم القـرآن

---

1) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 358، الكامل في التاريخ، ج4، ص 66-56.

2) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 358، الكامل في التاريخ، ج4، ص 66-56.

3) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 635؛ الإرشاد، ص 235، إعلام الوري، ص 239.

4) تاريخ الأمم والملوك، ج76 ص 763؛ الكامل في التـاريخ، ج 4، ص 70، بحـارالأنوار، ج 54، ص 21..

في ليلة واحدة وأنت فاضل) (1)

ومنهـا دعـاؤه لزهـيربن القين، حيث روي أن زهـير بن القين خرج مرتجزا، وقاتل قتالاً شـديدا، فشـدّ عليـه كثـير بن عبـد اللـه الشـعبي ومهـاجر بن أوس التميمي فقتلاه، فقـال الحسـين حسين صرع زهير: (لايبعدك الله يا زهير! ولعن قاتلـك لعن الـذين مسخوا قردة وخنازير)(2)

ومنها دعاؤه للأخوين الغفاريين، فقد روي أنـه لمّاجـاء عبد اللـه وعبـد الـرحمن الغفاريـان إلى الحسـين وقـالا لـه:يـا أبـا عبدالله، السلام عليك، جئنا لنقتل بين يـديك، ونـدفع عنـك، فقـال: (جزاكما اللـه يـا ابـني أخي بوجـدكما من ذلـك ومواسـاتكما إيّـاي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين)(3)

ومنها دعاؤه للفتيين الجابريين؛ فقد روي أنّ سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع، وهمـا ابنـا عمّ وأخـوان لأمّ، أتيا حسينا وهما يبكيان، فقال لهما: مايبكيكما؟ إنّي لأرجوا أن تكونا عن ساعة قريري عين، فقـالا: واللـه مـا على أنفسـنا نبكي، ولكن نبكي عليك، نراك قدأُ حيط بـك ولانقـدر أن نمنعـك! فقـال: (جزاكما الله جزاء المتقين)(4)

ومنها دعاؤه لحنظلة بن أسعد الشبامي، فقد رُوي أنّ ابن أسعد جاء، فوقف بين يدي الحسين وجعل ينادي: ﴿ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَـوْمِ الْأَحْـزَابِ (30) مِثْـلَ دَأْبِ قَـوْمِ نُـوحٍ وَعَـادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًـا لِلْعِبَـادِ (31) وَيَـاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَـوْمَ تُوَلُّونَ مُـدْبِرِينَ مَـا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِـمٍ وَمَنْ يُضْـلِلِ اللَّهُ فَمَـا لَـهُ مِنْ هَـادٍ﴾ [غـافر: 30 -

1) ينابيع المودّة، ج 2، ص 761.

2) بحارالأنوار، ج 54، ص 62-25.

3) بحارالأنوار، ج 54، ص 29، تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 371.

4) الكامل في التاريخ، ج 4، ص 72.

33]، يا قوم لا تقتلوا الحسين فَيُسْحِتَكُمْ بِعَـذَابٍ وَقَـدْ خَـابَ مَنِ افْتَرَى [طه: 61]، فقال له الحسين : (يا ابن أسعد، رحمك اللـه، إنّهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا ما دعوتهم إليه من الحق)(1)

ومنها دعاؤه للضّحاك بن عبدالله المشرقي حينما بدأ المشرقي القتال راجلاً مع الأعداء وقتل بين يـدي الحسـين رجلين وقطع يدآخر، قال له الحسين يومئذ مرارا: (لاتشلل، لا يقطع اللـه يدك،جزاك الله خيرا عن أهل بيت نبيّك ﷺ)(2)

ومنها دعاؤه لجون مولى أبي ذرالغفـاري، فقـد روي أنه لمّا تقدّم جون وكان عبدا أسود، واطّلع على ما جري بينه وبين مولاه، برز إلى القتال مرتجـزا، ثمّ قاتـل حتّى قتـل، فوقـف عليـه الحسـين وقـال: (اللهمّ بيّض وجهـه، وطيّب ريحـه، واحشـره مـع الأبرار، وعرّف بينه وبين محمد ﷺ وآل محمد)(3)

ومنهـا دعـاؤه لأبي الشـعثاء الكنـدي، فقـد روي أن أباالشعثاء الكندي جثا على ركبتيه بين يدي الحسين ، فرمي بمائـة سهم ما سـقط منهـا إلّا خمسـة أسـهم، وكـان راميـا، وكلّمـا رمي يقول له الحسين : (اللهمّ سدّد درميته واجعل ثوابه الجنّة)(4)

ومنها دعـاؤه لعـروة الغفـاري، فقـد روي أنـه لمّـا بـرز عروة الغفاري وكان شيخا كبيرا شهد بدرا وحنين وصفين، قال لـه الحسين : (شكر الله لك أفعالك ياشيخ)(5)

وغيرها من الأدعية الرسالية الكثيرة التي حفظت لنـا أحـداث

---

1) الكامل في التاريخ، ج 4، ص 72؛ تاريخ الأمم والملوك، ج 76 ص 372-371.

2) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 637.

3) بحارالأنوار، ج 54،ص 54؛ أعيان الشيعة، ج 1، ص 056..

4) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 437؛ الكامل في التاريخ، ج 4، ص 73.

5) ينابيع المودة، ج 2،ص 170.

عاشوراء، وربطتها بالله، وبفضله العظيم، وبكل القيم الإنسانية النبيلة.

ثانيا ـ الإمام الحسين والقيم المرتبطة بالسلوك الباطني:

من خلال ما سبق ذكره من اهتمام الإمام الحسين بالشعائر التعبدية، وتعظيمه الله فيها، وأدائها بذلك الشوق والتعظيم، نستدل على ما في باطنه وروحه وقلبه من معان سامية؛ لأن الظاهر مرآة الباطن، وكل إناء بما فيه يرشح، وقد وصف الله تعالى المعظمين لشعائر الله بأن ذلك من علامات تقوى قلوبهم، فقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]

ومن خلال مطالعة سيرته ومواقفه وأدعيته وغيرها نكتشف الكثير من المعاني الروحية السامية التي تمثل ــ في واقع الحياة الإنسانية ـ كل ما ذكره القرآن الكريم عن عباد الرحمن والمخبتين والمتبتلين والأبرار والمقربين، وكل الأوصاف التي أشاد الله فيها بالمؤمنين.

وهو بذلك يستحق ذلك اللقب العظيم الذي وصفه به رسول الله ﷺ، وهو وصف السيادة، والإمامة، لأنه يمثل الشخصية الإسلامية المتكاملة والمتوازنة في جميع جوانبها، ذلك أن بعض من اهتم بالجوانب الروحية الباطنية قصر في الكثير من شعائر الدين الظاهرية، وبعض من اهتم بالشعائر الظاهرية قصر في السلوك الباطني، أو قصر في واجباته الرسالية، وقد كان الإمام الحسين هو النموذج الأمثل الذي اجتمعت له كل تلك الكمالات التي تفرقت في غيره.

وسنحاول هنا ـ باختصار ــ أن نذكر أمهات القيم المرتبطة بالسلوك الباطني، ومدى تحققها في الإمام الحسين ، ومدى أهميتها في تشكيل شخصية المسلم على حسب دين الله الأصيل، لا الدين الذي اجتهد أعداء أهل البيت في نشره، واستبدال دين الله به.

1 ـ الإخلاص والتسليم:

وهي أول الصــفات الــتي يهتم بهــا عــادة علمــاء الســلوك والعرفان والتصـوف، ويـذكرون أنهـا الصـفة الـتي تجعـل صـاحبها متجردا لله متوجها إليـه، لا يطلب منـه غـيره؛ فاللـه هـو مقصـوده الأعلى، وغايته الأسمى، فلا يعبد الله إلا لله.

وقد اعتـبر القـرآن الكـريم هـذه الصـفة من صـفات الرسـل والأئمة وعباد الله المخلصين، كما قال تعالى: ﴿قُـلْ أَتُحَاجُّونَنَـا فِي اللــه وَهُــوَ رَبُّنَــا وَرَبُّكُمْ وَلَنَــا أَعْمَالُنَــا وَلَكُمْ أَعْمَــالُكُمْ وَنَحْنُ لَــهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: 139]، وقال: ﴿قُـلْ إِنِّي أُمِـرْتُ أَنْ أَعْبُـدَ اللـه مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر: 11،ـ 12]، وقال: ﴿مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَـهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الـدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِـرَةِ لَمِنَ الصَّـالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِـرَبِّ الْعَـالَمِينَ﴾ [البقـرة: 130، 131]

وقد أشار الإمام الحسـين إلى هـذا المعـنى، كمـا أشـار إليـه سائر الأئمة ؛ فقال ـ عند حديثـه عن أنـواع العبـادة ــ : (إنّ قومـاً عبدوا الله رغبة فتلـك عبـادة التجّـار، وإنّ قومـاً عبـدوا اللـه رهبـة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة)(1)

وقد اعتبر العابد الحقيقي ذلك العابد المتجـرد عن الأغـراض، وأخبر أنه سينال ـ بسبب ذلك التجرد ـ مـا لا يمكن أن يخطـر على البال، ومـا هـو فـوق جميـع الأغـراض، فقـال: (مَن عَبَـد اللـه حـقّ عبادته أتاه الله فوق أمانيه وكفايته)(2)

وهو نفس مـا ذكـره جميـع الأئمـة ؛ فقـد روي عن أبيـه أمـير المؤمنين أنه قـال: (طـوبى لمن أخلص للـه العبـادة والـدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم

(1) تحف العقول: 175، بحار الأنوار 78: 117، أعيان الشيعة 1: 620.

(2) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: 327 حديث 179، بحار الأنوار 71:ـ 184 ذيـل حديث 44.

يحزن صدره بما أعطي غيره) (1)، وقـال: (إن للـه عبـادا عـاملوه بخـالص من سـره، فشـكر لهم بخـالص من شـكره، فأولئـك تمـر صحفهم يوم القيامة فرغا، فإذا وقفوا بين يديه ملأها لهم من سـر ما أسروا إليه)(2)، وقـال: (ليسـت الصـلاة قيامـك وقعـودك، إنمـا الصلاة إخلاصك، وأن تريد بها الله وحده)(3)

وقال ابنه الإمام السجاد في مناجاتـه: (واجعـل جهادنـا فيـك، وهمنا في طاعتك، وأخلص نياتنا في معاملتك)(4)

وقال حفيده الإمام الصادق : (إن للـه عبـادا عـاملوه بخـالص من سره، فعاملهم بخالص من بـره، فهم الـذين تم صـحفهم يـوم القيامة فرغا، فإذا وقفوا بين يديه ملأهـا من سـر مـا أسـروا إليـه، فقلت: يا مولاي ولم ذلك؟ فقال: أجلهم أن تطلع الحفظة على ما بينه وبينهم)(5)

وهكــذا نص جميــع الأئمــة على أن الإخلاص شــرط لقبــول الأعمال، وحصول البركة فيها، وأن الله لا يقبل من الأعمال إلا مـا كان خالصا لوجهه، كما عبر عن ذلك الإمام الصـادق بقولـه: (قـال الله تعالى: أنا خير شريك، من أشرك بي في عمله لن أقبله إلا ما كان لي خالصا)(6)

1) الكافي: 2 / 16 / 3

2) بحار الأنوار: 78 / 64 / 156.

3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1 / 325.

4) بحار الأنوار: 94 / 147 / 21

5) المرجع السابق، 87/ 157.

6) مستدرك الوسائل: 1 / 100 / 87.

وقد روي مرفوعا إلى رسول الله ﷺ، فقد قال ﷺ: (قال الله، عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك)[1]

وبناء على هذا كانت حركة الإمام الحسين حركة متجردة لله، لا تريد أي غرض؛ ولذلك لم يحسب أي حساب للتضحيات التي سيقدمها، لأنه كان يعلم أنه يقوم بواجبه الشرعي، كما عبر عن ذلك بقوله في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن على بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، جاء، بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشرا، ولابطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي على بن أبي طالب عليهما السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد على هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين)[2]

وقال بعد أن انتهى إليه نبأ قتل رسوله وسفيره مسلم بن عقيل، مخاطبا الجيش الذي مع الحر: (أيها الناس، ان رسول الله ﷺ قال: (من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، لسنة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخل مدخله)، ألا وان هولاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفئ، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلال الله، وأنا أحق من غير، وقد أتتني كتبكم، وقدمت علي رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن على، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم،

1() رواه أحمد 2/301 (7986) وفي (6987).

2) بحار الأنوار 44: 329، المناقب لابن شهر آشوب 4: 89.

فلكم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ! والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فانما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)(1)

فهذه النصوص المضمخة بعطر الإخلاص والتجرد والتسليم لله، والسعي لأداء ما يتطلبه التكليف الشرعي هي التي تشرح بدقة الرسالة التي انتهض الإمام الحسين لأدائها، مهما كانت الظروف، لكن الذين لا يعرفون هذا، أو لا يقرؤون هذه النصوص، أو يشكون فيها، يسيئون فهم هذه الحركة، لأنهم لا ينظرون إليها من مفاتيح أسبابها الشرعية، وإنما من زاوية الأهواء والمصالح المحدودة.

وكان في إمكانهم لو قرؤوا القرآن الكريم، وعرفوا أن الإمام الحسين والقرآن لا يفترقان، لوجدوا أن الإخلاص والتسليم لله، يجعل صاحبه يقدم على كل تضحية، مادام فيها رضى الله، ولا يهمه النتائج التي تحصل بعد ذلك.

وقد ضرب الله مثلا لذلك بإبراهيم ، الذي راح ينفذ كل الأوامر الإلهية من دون أن يجادل أو يحسب أي حساب للمصالح والمفاسد، ولهذا ذكر الله تعالى أنه هو الذي اختار اسم الإسلام، فقال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الحج: 78]

بل ذكر الله تعالى أنه هو الذي عرّف هذا الاسم تعريفا فعليا واقعيا واضحا، وذلك عندما أمر بذبح ابنه في رؤيا منامية.. حينها كان يمكن ـ لو كان إبراهيم يفكر بتلك الطريقة التي يفكر بها من انتقدوا الحركة الحسينية ـ أن يصيح بملء فيه: (يستحيل أن يصدر هذا الأمر من الله الرحمن الرحيم).. ثم يستعيذ من تلك الرؤيا، ويعتبرها وساوس شيطانية أنشأها شياطين الدجل في عقله الباطن.

---

1) تاريخ الطبري 3ـ 306، الكامل في التاريخ 2ـ 552، احقاق الحق 11ـ 609، وقعة الطف: 172..

أو ربما يتنازل، فيعتبرها رؤيا ملكوتية، لكنه يؤولها بمـا يفعلـه الكثـير من المتلاعـبين بالأحكـام الشـرعية؛ فيفسـر الـذبح بـذبح التخلف والفقر والسلبية ونحوهـا.. أو يفسـرها بـذبح كـل تحكم أو توجيه لابنه ليتركه يعيش حياته الطبيعية، وكأنه من غير أب، وكـأن الأب من غير ابن..

لكن إبـراهيم ، والـذي يعلم أنـه عبـد اللـه، ومتجـرد من كـل أهوائه، وأنه لا يملك من أمره شيئا لم يفهم من تلك الرؤيا إلا أنهـا أمر إلهي بذبح ابنه.. فهم ذلك مـع علمـه اليقيـني القـاطع برحمـة اللـه ورأفتـه بعبـاده، ولكنـه يعلم في نفس الـوقت أن اللـه حكيم ولطيف، وأنه لحكمته ولطفه يدبر من التدابير لعباده ما تتحقق بـه الرحمة والرأفة في أجلى مراتبها، وإن لم يعلم بادئ الـرأي ذلـك، كما قـال تعـالى حاكيـا عن يوسـف ، وكيـف استشـعر لطـف ربـه العظيم بعد كل الامتحانات التي مر بها: ﴿ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيـلُ رُؤْيَـايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100]

ولذلك، فإن إبراهيم كان يعلم أن الذي أوحى إليه بذلك الأمر إله عظيم خلق هذا الكون جميعا، وقدراته لا حد لها، وعلمه لا حـد له.. فلـذلك راح يلغي العقـل المحـدود، والـذوق القاصـر، ويسـلم نفسه تسليما مطلقا لصاحب العلم المطلق، والرحمة الواسعة.

وهذا هو الإسلام.. فالإسلام هو أن نسـلم وجوهنـا إلى اللـه.. ولا ندبر معه.. ولا نقترح عليه.. بل نعلم أن أمره لا يكون إلا لخـير أو مصلحة حتى لو جهلناها نحن، ولم تتناسـب مـع مزاجنـا، كمـا لا يتناسب الذبح مع مـزاج أي أب في الـدنيا.. فـالمزاج يتنـاقض مـع التسليم.

وهذا ما فهمه إسماعيل أيضـا، وهـو الشـاب اليـافع الـذي لم يتردد ولم يحتـل على أمـر اللـه، بـل بمجـرد أن طـرح عليـه أبـوه القضـية راح يـرد عليـه من غـير تفكـير ولا تلكـؤ، ولا طلب إقنـاع، فيكفي أن يكون الله هو الآمر حتى يكون ذلك مبررا لقناعتنا، لقـد قال له بكل هدوء: ﴿يَاأَبَتِ افْعَلْ مَـا تُـؤْمَرُ سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللـه مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102]

ولهذا عقب الله تعالى على تصرف الأب وابنه تجاه أمره بكونه إسلاما، فقال: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: 103]

وقد نجح إبراهيم في الاختبار، لكونه لم يعمل عقله القاصر، ولا مزاجه المحدود، ولا رأيه الضعيف، ولا بيئته الجاهلة، ولا أي شيء آخر، بل أعمل فقط ما أمره به ربه حتى لو كان ذلك الوحي رؤيا منامية.

وهذا المعنى هو الذي دعا الإمام الحسين وغيره من الأئمة إلى فهمه، وتعريف الإسلام من خلاله؛ فالإسلام هو دين الله المعبر عن مرضاته، والله خالق كل شيء، وهو ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]؛ فلذلك كان الأدب مع الله هو التسليم المطلق له، مثلما نسلم أنفسنا للطبيب الجراح ثقة منا فيه وفي علمه المحدود وقدراته القاصرة.

وكل هذا حصل للإمام الحسين الذي قدم كل ما يملك في سبيل الله، متجردا عن كل شيء، ولذلك جعل الله صوته وحركته وكل مواقفه ثروة كبيرة تستمد منها كل الأجيال، وتنتفض بها كل الشعوب، وما كان ذلك ليحصل لو أنه راح يتخلى عن رسالته ومهمته التي وكلت إليه، والتي لم يفهمها من لم يقدروا الإمامة حق قدرها.

2 ـ التفويض والتوكل:

وهي من الصفات العظيمة التي وصف الله بها أنبياءه ورسله وأتباعهم من ورثتهم، ليستعينوا بها على مواجهة الملأ والمستبدين والمستكبرين الذين استعملوا كل وسائل العنف، ليجبروهم على ترك دينهم.

فالله تعالى يخبر أن موسى قال لقومه ناصحا: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِالله فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84) فَقَالُوا عَلَى الله تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [يونس: 84 - 86]

وأخبر عن شعيب أنه أجاب قومه الذين قالوا له: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾

[الأعراف: 88] بقولـه: ﴿ أَوَلَـوْ كُنَّا كَـارِهِينَ (88) قَـدِ افْتَرَيْنَـا عَلَى الله كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا الله مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًـا عَلَى اللـه تَوَكَّلْنَـا رَبَّنَـا افْتَحْ بَيْنَنَـا وَبَيْنَ قَوْمِنَـا بِـالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْـرُ الْفَـاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: 88، 89]

وأخـبر عن نـوح أنـه أجـاب قومـه الـذين بـالغوا في إيذائـه ومحاربته بقوله: ﴿يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللـه فَعَلَى اللـه تَـوَكَّلْتُ فَـأَجْمِعُوا أَمْـرَكُمْ وَشُـرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْـرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُـوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِـرُونِ (71) فَـإِنْ تَـوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللـه وَأُمِـرْتُ أَنْ أَكُـونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 71، 72]

وكل هذه الكلمات الممتلئة بالتوكل على الله وتفـويض الأمـر إليه، نجدها متحققة بصورة جلية واقعية في حياة الإمام الحسين ، فقد كان قرآنها الناطق، وكان وارث جميع الرسل فيها، بـل أتيحت له من الفرص لتجلي التوكل فيه ما لم يتح لغيره؛ فقد خـرج بكـل ما يملك مهاجرا في سبيل الله، ومواجها لجميع الظلمة، ولم يرجع بشيء، بل بقي على أرض الطرف صريعا مذبوحا مداسـا بالخيـل، وكل ذلك من غير أن يضجر أو يجزع، بل اعتبر ذلك كله قربانا للـه تعالى، ولذلك راح يردد ذلك الشعار العظيم: (هـون علي مـا نـزل بي أنه بعين الله)[1]

وقد عـبر الإمـام الحسـين عن توكلـه على اللـه تعـالى بصيغ كثيرة نقتصر منها على الصيغتين التاليتين:

أ ـ أدعية الإمام الحسين والتوكل:

عند تأمل الأدعية الواردة عن الإمـام الحسـين ، والـتي تعتـبر مفتاح شخصيته، ومرآة حقيقته، نجدها ممتلئة بالكثير من المعـاني الروحية العميقة المتعلقة بالتوكل على الله، وتفـويض الأمـر إليـه، واعتباره الملجأ والمنجا.

ومن ذلـك قولـه في دعـاء القنـوت: (اللهم منـك البـدء ولـك

[1]() بحار الانوار 45: 46، العوالم 17: 288، اللهوف: 116.

المشية، ولك الحول ولـك القـوة، وأنت اللـه الـذي لا إلـه إلا أنت، جعلت قلوب أوليائـك مسـكنا لمشـيتك، ومكمنـا لارادتـك، وجعلت عقولهم مناصب أوامرك ونواهيك، فأنت إذا شئت ما تشاء حـركت من أسـرارهم كـوامن مـا أبطنت فيهم، وأبـدأت من إرادتـك على ألسنتهم ما أفهمتهم به عنك في عقـودهم بعقـول تـدعوك وتـدعو إليـك بحقـائق مـا منحتهم بـه، وإنى لأعلم ممـا علمتـني ممـا أنت المشكور على ما منه أريتـني، وإليـه آويتـنى. اللهم وإني مـع ذلـك كله عائذ بك، لائذ بحولك وقوتـك، راض بحكمـك الـذى سـقته إلى في علمـك، جـار بحيث أجريتـني، قاصـد مـا أممتـني، غـير ضـنين بنفسي فيما يرضيك عنى إذبه قد رضيتني، ولاقاصـر بجهـدي عمـا إليه ندبتنى، مسارع لما عرفتني، شارع فيما أشـرعتني، مستبصـر في مـا بصـرتني، مـراع مـا أرعيتـني، فلا تخلـني من رعايتـك، ولا تخرجــني من عنايتــك، ولا تقعــدني عن حولــك، ولا تخرجــني عن مقصـد أنـال بـه إرادتـك، واجعـل على البصـيرة مـدرجتي، وعلى الهدايـة محجـتي، وعلى الرشـاد مسـلكي، حـتى تنيلـني وتنيـل بي امنيتي، وتحل بي على ما به أردتني، ولـه خلقتـني، وإليـه آويتـني، وأعذ أولياءك من الإفتتان بي، وفتنهم برحمتك لرحمتك في نعمتك تفـتين الاجتبـاء، والاسـتخلاص بسـلوك طريقـتي، واتبـاع منهجي، وألحقني بالصالحين من آبائي وذوى رحمي)[1]

وكل كلمات هذا الـدعاء ممتلئـة بالتوكـل على اللـه وتفـويض الأمر إليه، والشعور بأن الحاجات كلهـا لديـه، وأن من وجـده فقـد وجد كل شيء، ومن فقده فقد كل شيء، كمـا عـبر عن ذلـك في القطعة المنسوبة إليه في دعاء عرفة.

ونجد نفس هذه المعاني في دعاء القنوت الآخر المأثور عنـه، والذي يقول فيه: (اللهم من أوى إلى مأوى فانت مأواي، ومن لجأ إلى ملجأ فأنت ملجأى، اللهم صل على محمد وآل محمد، واسـمع ندائي، وأجب دعائي، واجعل مآبي عندك ومثـواي، واحرسـني في بلـواي من إفتنـان الامتحـان، ولمـة الشـيطان، بعظمتـك الـتى لا يشوبها ولع نفس بتفتين، ولاوارد طيـف بتظـنين، ولا يلم بهـا فـرج حتى تقلبـني إليـك بارادتـك غـير ظـنين ولا مظنـون، ولامـراب ولا

---

1) مهج الدعوات: 48، بحار الأنوار 85: 214.

مرتاب، إنك أنت أرحم الراحمين)[1]

ونجد نفس هذه المعاني السامية في قوله في دعـاء الصـباح والمساء المأثور عنه، والذي يقول فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله، ومن الله والى الله، وفي سـبيل اللـه وعلى ملـة رسـول اللـه، وتـوكلت على اللـه، ولاحـول ولاقـوة الا باللـه العلى العظيم. اللهم انى اسـلمت نفسـي اليـك، ووجهت وجهي اليـك، وفوضت امري اليك، اياك اسأل العافيـة من كـل سـوء في الـدنيا والاخـرة. اللهم انـك تكفيـني من كـل احـد ولا يكفيـنى احـد منـك، فاكفني من كل احد ما اخاف واحـذر واجعـل لي من امـري فرجـا ومخرجا، انك تعلم ولا اعلم، وتقدر ولا اقدر، وانت على كـل شـئ قدير، برحمتك يا ارحم الراحمين)[2]

وهكذا نجد كل أدعيته ممتلئة بالتجرد والإخلاص للـه، وإشـعار قارئها أنه لا حول له ولا قوة إلا باللـه، وليس ذلـك غريبـا على من علمه أبوه ذلك الدعاء العظيم المسـمى بــ [دعـاء العشـرات][3]، بعد أن ذكر له فضله، وما أعد الله لأهله من الأجر، وقـال لـه: (يـا بني إنه لابـد أن يمضـى اللـه عزوجـل مقـاديره وأحكامـه على مـا أحب وقضى، وسينفذ الله قضاءه وقدره وحكمه فيك)[4]

ومما ورد في الدعاء مما له علاقـة بالتوكـل على اللـه تعـالى قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الله والحمـد للـه ولا إلـه إلا الله والله أكبر، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سـبحان اللـه آنـاء الليـل وأطـراف النهـار، سـبحان اللـه بالغـدو والاصـال، سبحان اللـه بالعشـي والابكـار، سـبحان اللـه حين تمسـون وحين تصــبحون، ولــه الحمــد في الســموات والارض وعشــيا وحين

---

1) مهج الدعوات: 49، بحار الأنوار 85: 214.

2) مهج الدعوات: 157، بحار الأنوار 86: 313.

3) وهذا الدعاء مروى بطريق آخر عن الامام الحسن انظر: مهج الدعوات 145..

4() مهج الدعوات: 149.

تظهرون، يخـرج الحي من الميت ويخـرج الميت من الحي ويحـيي الارض بعد موتهـا وكـذلك تخرجـون سـبحان ربـك رب العـزة عمـا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. سبحان ذي الملك والملكوت، سـبحان ذي العـزة والجـبروت، سـبحان ذي الكبرياء والعظمة، الملك الحق المبين المهيمن القـدوس، سـبحان اللــه الملــك الحي الــذي لا يمــوت، ســبحان اللــه الملــك الحي القدوس، سبحان القائم الدائم، سبحان الدائم القائم سـبحان ربي العظيم، سبحان ربي الاعلى، سبحان الحي القيوم، سـبحان العلي الاعلى، سبحانه وتعالى، سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والـروح. سـبحان الـدائم غـير الغافـل، سـبحان العـالم بغـير تعليم، سـبحان خالق ما يرى وما لا يرى، سـبحان الـذي يـدرك الابصـار ولا تدركـه الابصار، وهو اللطيـف الخبـير. اللهم إني أصـبحت منـك في نعمـة وخير وبركـة وعافيـة فصـل على محمـد وآلـه، وأتمم علي نعمتـك وخــيرك وبركاتــك وعافيتــك بنجــاة من النــار، وارزقــني شــكرك وعافيتك وفضلك وكرامتك أبدا ما أبقيتـني، اللهم بنـورك اهتـديت، وبفضلك استغنيت، وبنعمتك أصبحت وأمسيت. اللهم إني اشــهدك وكفى بك شهيدا، واشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وحملة عرشـك وسكان سمواتك وأرضك وجميـع خلقـك، بأنـك أنت اللـه لا إلـه إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمـدا عبـدك ورسـولك، وأنـك على كل شئ قدير، تحيي وتميت وتميت وتحيي، وأشهد أن الجنة حــق، والنــار حــق، والســاعة آتيــة لا ريب فيهــا وأن اللــه يبعث من في القبور) [1]

فكل هذه الحقائق الواردة في الدعاء، تثمر التوكل على الله، والتفويض إليه، ذلك أنها تسبح الله وتنزهه عن كل ما لا يليــق بــه، وفي نفس الوقت تثبت له كل أنـواع الكمـال، وذلـك وحـده كـاف لغرس الثقة في تدبير الله، وهو ما ينبني عليه التوكل.

ب ـ مواقف كربلاء والتوكل على الله:

يتساءل الكثير من الذين لم يفهمـوا سـر كـربلاء، ومـا حـدث فيها من المآسي عن سبب عدم استخدام الإمام الحسين لما آتـاه اللـه من ولايـة تكوينيـة، تجعـل دعـاءه مسـتجابا، وطلبـه محققـا،

[1] () مهج الدعوات: 149.

وهمته نافذة، وسر ذلك هو عدم فهمهم للدور الرسالي لتلك الحركة، والممتد لجميع التاريخ.

فلو أن الإمام الحسين استعمل تلك الصلاحيات التي أتاحها الله له كما أتاحها لأوليائه وأنبيائه؛ فراح يوفر عن نفسه وأهل بيته العناء، ويسأل الله ألا يحدث ما حدث، لكان للتاريخ حركة أخرى غير الحركة التي نعرفها، ونعيشها.

وقد كان أسوته في ذلك الرسل الذين آتاهم الله تلك الولاية التكوينية، وأتاح لهم بها تحقق المعجزات، ومع ذلك لم يستخدموا تلك الصلاحيات، بل مارسوا أدوارهم الرسالية بجهودهم البشرية، ولم يدخلوا أي قوة غيبية فيها، حتى يكونوا أسوة لغيرهم.

فرسول الله ﷺ الذي أسرى الله به إلى بيت المقدس في لحظات معدودات، وعرج به إلى السموات العلا في ليلة واحدة، لم يستعمل البراق، ولا أي وسيلة غيبية عندما هاجر إلى المدينة المنورة، بل هاجر إليها كسائر الناس، وتلقى من العناء ما تلقى حتى يكون أسوة لغيره من الدعاة.

وهكذا كان يقاوم هجمات أعدائه بما أتيح له من سلاح، ومن عدد قليل، وعدة قليلة، ولم يستعمل الوسائل الغيبية المتاحة له، إلا إذا أراد الله ذلك، ولذلك حصل نوع من الهزيمة يوم أحد، واستشهد عمه حمزة، وكان في الإمكان ألا يحصل ذلك كله لو أن رسول الله ﷺ استخدم ما أتيح له من ولاية تكوينية، ومن دعاء مستجاب، لكنه لم يفعل، لأن الله تعالى جعله أسوة للأمة، بل للبشر جميعا.

وقد ورد في الرواية أن بعضهم أنكر على الإمام السجاد حاجته وفاقته، وعدم قدرته على تسديد بعض حاجات المسلمين المادية، وقال: (عجبا لهؤلاء يدّعون مرّة أنّ السماء والأرض وكلّ شيء يطيعهم، وأنّ الله لا يردّهم عن شيء من طلباتهم، ثمّ يعترفون أخرى بالعجز عن إصلاح حال خواصّ إخوانهم)، فرد عليه الإمام السجاد بقوله: (هكذا قالت قريش للنبي ﷺ: كيف يمضي إلى بيت المقدس ويشاهد ما فيه من آثار الأنبياء من مكّة ويرجع إليها في ليلة واحدة من لا يقدر أن يبلغ من مكة إلى المدينة إلّا

في اثني عشر يوما؟! وذلك حين هاجر منها.. جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه، إنّ المراتب الرفيعة لا تنال إلّا بالتسليم لله جلّ ثناؤه، وترك الاقتراح عليه، والرضا بما يدبرهم به، إنّ أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبرا لم يساوهم فيه غيرهم، فجازاهم الله عزّ وجلّ عن ذلك بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم، لكنّهم مع ذلك لا يريدون منه إلّا ما يريده لهم)(1)

ولذلك امتلأت كربلاء بمواقف التوكل وتفويض الأمر لله، والتي لا زالت إلى الآن نبراسا يشجع الرساليين على القيام بأدوارهم الإصلاحية، اقتداء بأبي الثوار، وسيد الشهداء .

ومن الأمثلة على ذلك ما روي عنه من مواقف قبيل شهادته، وبعد أن رأى بعينه ما رأى من مآس، فقد حدث أبو مخنف قال: بقي الحسين ثلاث ساعات من النهار ملطّخا بدمه رامقا بطرفه إلي السماء وينادني: (ياإلهي، صبرا علي قضائك، ولامعبود سواك، ياغياث المستغيثين)(2)

وفي تلك اللحظات الشديدة، دعا بابنه عبد الله، وهو صغير، فأجلسه في حجره، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه، فتلقي الحسين دمه حتّى امتلأت كفّه، ثمّ رمي به إلي السماء، وقال: (إلهي إن كنت حبست عنّا النصر، فاجعله لما هو خيرمنه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حلّ بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل)، وقد ذكر الإمام الباقر أنه (لم يسقط من ذلك الدم قطرة واحدة إلى الأرض)(3)

وقبل ذلك، وفي المدينة المنورة، وقبل مسيره إلى كربلاء، لتنفيذ الأمر الإلهي، زاره قبر قبر جدّه ﷺ، وراح يودعه، ويشكو

1) (2) أمالي الصدوق: 367، بحار الأنوار ج 46/ 20 .

2) ينابيع المودة، ج 2، ص 417.

3) بحارالأنوار، ج 54، ص 74-46، وقد رُوي هذا الدعاء بعبارات أخرى منها: (ربّ أن تك حبست عنّا النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين)، ومنها: (إلهي تري ماحلّ بنا في العاجل، فاجعل ذلك ذخيرة لنافي الآجل)، ومنها: (اللهمّ إن كنت حبست عنّا النصر، فاجعل ذلك لما هو خيرلنا)

إليه قائلاً: (السلام عليك يا رسول الله ! أنـا الحسـين بن فاطمـة، أنـا فرخـك وابن فرختـك، وسـبطك في الخلـف الـذي خلفت على أمتك، فاشهد عليهم يا نبى الله. أنهم قد خذلوني وضـيعوني وأنهم لم يحفظـوني، وهـذا شـكواي إليـك حـتى ألقـاك)، ثم وثب قائمـا وصف قدميه، ولم يزل راكعا وساجدا(1).

فلما كانت الليلة الثانية خرج الى القبر أيضا فصـلى ركعـتين، فلمل فرغ من صلاته جعل يقول: (اللهم إن هذا قـبر نبيـك محمـد وأنا ابن بنت محمـد وقـد حضـرني من الأمـر مـا قـد علمت، اللهم وإني احب المعـروف وأكـره المنكـر، وانـا أسـألك يـا ذا الجلال والاكرام بحق هذا القبر ومن فيه ما اخترت من أمري هـذا مـا هـو لك رضى) (2)

وقد روي أنه غلبه النـوم حينهـا؛ فـرأى جـدّه الرسـول ﷺ قـد أقبلَ في كتيبة مِن الملائكة، فضمّه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه، وهو يقول له: (يا بُني، كأنّي عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بـأرض كـربٍ وبلاء، بين عصـابة مِنْ أُمّـتي، وأنت مـع ذلـك عطشـان لا تُسقى، وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شـفاعتي، مـالهم لا أنالهم اللـه شـفاعتي يـوم القيامـة؛ فمـا لهم عنـد اللـه من خلاق، حبيبي يا حسين إن أباك وأمـك وأخـاك قـد قـدموا علي وهم إليـك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة)(3)

وهذا النص مع نصـوص كثـيرة يـدل على أن الإمـام الحسـين كان يعلم مصيره بدقة، لكنه مع ذلك أقدم عليه، متوكلا على اللـه، مفوضا الأمر إليه، لأنه يعلم أن المأساة الـتي سـتتحقق على تلـك الأرض، ستصبح بعد ذلك معولا يهدم الباطل، ومشعلا ينصر الحق.

وقد روي أنه لمّا وصـل قـرب كـربلاء، دمعت عينـاه ثمّ قـال:

---

1) الفتوح 5: 19، مقتل الحسين للخوارزمي 1: 186، وفيه بدل في الخلف (والثقل)، العوالم 17: 177.

2) المراجع السابقة.

3) الفتوح 5: 20، مقتل الحسين للخوارزمي 1: 186، بحار الأنوار 44: 328.

(اللهم إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء)(1)

وفي رواية أخـرى أن زهـير بن القين قـال للإمـام الحسـين : سربنا إلى هذه القرية حتى ننزلها فإنّها حصـينة وهي علي شـاطئ الفرات؛ فإن منعونا قاتلنـاهم؛ فقتـالهم أهـون علينـا من قتـال من يجيء بعدهم؛ فقال الحسين: ماهي؟ قال: العقر، قال: (اللهمّ إنّي أعوذ بك من العقر)(2)

وليلة عاشوراء قال الإمـام السـجاد : جمـع الحسـين أصـحابه عند قرب المساء فـدنوت منـه لأسـمع مـا يقـول لهم وأنـا إذا ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: (أثني علي الله أحسن الثناء، وأحمده علي السرّاء والضرّاء، اللهمّ إنّي أحمـدك علي أن أكرمتنـا بالنبوّة، وعلمتنا القـرآن، وفقّهتنـا في الـدين، وجعلت لنـا أسـماعا وأبصارا وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين) (3)

و عن الإمام السجاد أنّه قال: لمّا أصـبحت الخيـل تقبـل علي الحسين، رفع يديه وقـال: (اللهمّ أنت ثقـتي في كـلّ كـرب، وأنت رجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحليلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدّو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة منّي إليك عمّن سـواك، ففّرجتـه وكشـفته، فـأنت وليّ كـلّ نعمـة، وصـاحب كـلّ حسنة، ومنتهي كلّ رغبة)(4)

هذه بعض المشاهد من ذلك اليوم العظيم في كربلاء، والـتي تدل على مدى توكـل الإمـام الحسـين على اللـه، وتفويضـه الأمـر

---

1) بحار الأنوار، ج 44، ص 381..

2) الكامل في التاريخ، ج 4، ص 52.

3) الإرشـاد للمفيـد، ص 231، تـاريخ الأمم والملـوك للطـبري، ج 6، ص 443 تحـف العقول: ٢٦.

4) تاريخ الأمم والملوك، ج 6، ص 350، الإرشـاد، ص 233؛ الكامـل في التـاريخ، ج 4، ص 06-16.

إليه، وأنه لا يختلف في سلوكه ذلك عن سلوك إبراهيم ، عندما قدم ولده قربانا لله، من دون أن يجزع أو يضجر.

3 ـ الحمد والشكر:

وهي من الصفات العظيمة التي وصف الله بها عباده المقربين، وأخبر أنه لم يتحقق بها إلا القلة القليلة، كما قال تعالى: اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ [سبأ: 13]، وقال: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ [المؤمنون: 78]

وقد وصفهم الله الإمام علي ، فقال في بعض مواعظه: (فما أقل من قبلها، وحملها حق حملها، أولئك الأقلون عددا، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول: وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ [سبأ: 13])[1]

وقال الإمام الصادق مبينا سر قلة الشاكرين: (لو كان عند الله عبادة يتعبد بها عباده المخلصون أفضل من الشكر على كل حال لأطلق لفظه فيهم من جميع الخلق بها، فلما لم يكن أفضل منها خصها من بين العبادات وخص أربابها، فقال تعالى: وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ [سبأ: 13])[2]

وبما أن الركن الأول من أركان هذه الصفة هو التعرف على نعم الله وإحصائها، ثم شكر الله عليها جميعا، كما هو المنهج القرآني في تعداد النعم، والدعوة إلى حمد الله عليها؛ نرى أدعية الإمام الحسين ممتلئة بذكر النعم وإحصاء الدقيق منها والجليل، ثم الثناء على الله بها، والاستغفار من تقصيره في حق شكرها.

ومن الأمثلة على ذلك قوله في دعاء عرفة: (اللهمّ لك الحمد كما خلقتني فجعلتني سميعا بصيرا، ولك الحمد كما خلقتني فجعلتني حيّا سويّا، رحمة بي وكنت عن خلقي غنيّا. ربّ بما برأتني فعدّلت فطرتي، ربّ بما أنشأتني فأحسنت صورتي، يا ربّ

---

1) نهج البلاغة، ص444.

2) مصباح الشريعة، منسوب للإمام الصادق ، مؤسسة الأعلمي، ص 55.

بما أحسنت بي وفي نفسي عافيتني، ربّ بما كلأتني ووفقتني، ربّ بما أنعمت عليّ فهديتني، ربّ بما آويتني ومن كلّ خير آتيتني وأعطيتني، ربّ بما أطعمتني وسقيتني، ربّ بما أغنيتني وأقنيتني، ربّ بما أعنتني وأعززتني، ربّ بما ألبستني من ذكرك الصافي، ويسّرت لي من صنعك الكافي، فلك الحمد يا من أقال عثرتي، ونفّس كربتي، وأجاب دعوتي، وستر عورتي وذنوبي، وبلّغني طلبتي، ونصرني على عدوّي، وإن اعدّ نعمك ومننك وكرائم منحك لا أحصيها يا مولاي)(1)

وقوله في نفس الدعاء: (أنت الذي أنعمت، أنت الذي أحسنت، أنت الذي أجملت، أنت الذي أفضلت أنت الذي مننت، أنت الذي أكملت، أنت الذي رزقت، أنت الذي أعطيت، أنت الذي أغنيت، أنت الذي أقنيت، أنت الذي أويت، أنت الذي كفيت، أنت الذي هديت، أنت الذي عصمت، أنت الذي سترت، أنت الذي غفرت، أنت الذي أقلت، أنت الذي مكّنت، أنت الذي أعززت، أنت الذي أعنت، أنت الذي عضدت، أنت الذي أيّدت، أنت الذي نصرت، أنت الذي شفيت، أنت الذي عافيت، أنت الذي أكرمت، تباركت ربي وتعاليت، فلك الحمد دائما، ولك الشكر واصبا)(2)

وهكذا نرى جميع أدعيته مضمخة بعطر الشكر لله على الرغم من كل المحن التي عاشها في حياته جميعا ابتداء من مشاهدته لما حصل لأمه الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ من مآس إلى ما حصل لأبيه وأخيه وجميع أهله من تنكر لمكانتهم، وحرب لهم.

4 ـ الأنس والمحبة:

وهي من المقامات العالية، بل من أعلى من مقامات المؤمنين الصادقين المخلصين، وقد وصف الله تعالى أهلها، فقال﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ الله أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله ﴾ [البقرة: 165]

---

1) البلد الامين ص 251، زاد المعاد، العلامة المجلسي، نشر سعدي، طهران، ص 146.

2() المرجع السابق.

وعندما ذكر البديل للذين يقصرون في طاعة رسول الله ﷺ اعتبر محبة الله أول صفاتهم، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: 54]، وفي ذلك إشارة إلى أن الارتداد ونقض العهود وعدم الالتزام بها ناشئ من التقصير في محبة الله، ولهذا عقب الله الآية الكريمة بأوصاف الذين يحبون الله، فذكر أنهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: 54]

فهذه الصفات ـ كما ينص القرآن الكريم ـ علامة على محبة المؤمن لله تعالى، وكلها تنطبق على الإمام الحسين ، وحركته العظيمة؛ ذلك أنه لا يمكن أن يصبر على أداء تلك التكاليف الشرعية، فرائضها ونوافلها من لم يمتلئ قلبه بحب الله، كما عبر الإمام علي عن ذلك بقوله: (من أحبّ أن يعلم كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده فإنّ كلّ من خيّر له أمران؛ أمر الدنيا وأمر الآخرة فاختار أمر الآخرة على الدنيا فذلك الذي يحبّ الله ومن اختار أمر الدنيا فذلك الذي لا منزلة لله عنده)[1]

بل روي عن رسول الله ﷺ أنه سأل الله تعالى، فقال: (يا ربّ، وددت أن أعلم من تحبّ من عبادك فأحبّه؟)؛ فأجابه الله تعالى بقوله: (إذا رأيت عبدي يكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك، وأنا أحبّه وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته وأنا أبغضته.[2]

ولهذا، فإن الذي لا يفهم هذا البعد في شخصية الإمام الحسين لا يمكن أن يفهم سر حركته وثورته؛ ذلك أنها حركة وثورة لم تنطلق فقط من دافع أداء التكليف الشرعي في مواجهة الظلمة والمستبدين والمفسدين في الأرض، وإنما انطلقت محبة لله وتعظيما له، ولذلك لاحظنا فيها تلك المعاني السامية الرفيعة، ولم تكن لتوجد تلك المعاني لولا توفر محبة الله.

---

1) جامع الأخبار ص 178.

2) بحار الأنوار ج 93 ص 160 .

ولهذا نلاحظ في أدعية الإمام الحسين تلك الأشواق العظيمة لله، فهو يخاطبه ويكرر اسمه كل حين، وقد ورد في القطعة المنسوبة إليه من دعاء عرفة قوله: (أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحّدوك، وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبّوا سواك، ولم يلجؤوا إلى غيرك أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم ما ذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلا، ولقد خسر من بغى عنك متحوّلا، كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان، وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدّلت عادة الإمتنان، يا من أذاق احبّاءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملّقين، ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بين يديه مستغفرين، أنت الذاكر قبل الذاكرين، وأنت البادي بالإحسان قبل توجّه العابدين وأنت الجواد بالعطاء قبل طلب الطالبين، وأنت الوهاب ثم لما وهبتنا من المستقرضين إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنّك حتى أقبل إليك، إلهي إنّ رجائي لا ينقطع عنك، وإن عصيتك، كما أنّ خوفي لا يزايلني وإن أطعتك فقد دفعتني العوالم إليك وقد أوقعني علمي بكرمك عليك، إلهي كيف أخيب وأنت أملي)[1]

وهكذا نرى سائر أدعية أئمة أهل البيت ممتلئة بكل معاني الشوق والمحبة لله تعالى، بل إن الإمام السجاد خص المحبة لله تعالى بمناجاة خاصة، هي المناجاة التاسعة المسماة [مناجاة المحبين]، والتي يبدؤها بقوله: (إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك، فرام منك بدلا؟ ومن ذا الذي أنس بقربك، فابتغى عنك حولا؟ إلهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك، وأخلصته لودك ومحبتك، وشوقته إلى لقآئك، ورضيته بقضآئك، ومنحته بالنظر إلى وجهك، وحبوته برضاك، وأعدته من هجرك وقلاك، وبوأته مقعد الصدق في جوارك، وخصصته بمعرفتك، وأهلته لعبادتك، وهيمت قلبه لارادتك، واجتبيته لمشاهدتك، وأخليت وجهه لك، وفرغت فؤاده لحبك، ورغبته فيما عندك، وألهمته ذكرك، وأوزعته شكرك، وشغلته بطاعتك، وصيرته من صالحي بريتك، واخترته لمناجاتك،

---

1) إقبال الأعمال: 349.

وقطعت عنه كل شيء يقطعه عنك)[1]

وفيها يقول: (اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليـك والحـنين، ودهـرهم الزفـرة والانين، جبـاههم سـاجدة لعظمتـك، وعيـونهم ساهرة في خدمتك، ودموعهم سآئلة من خشيتك، وقلوبهم متعلقة بمحبتك، وأفئدتهم منخلعة من مهابتك، يـامن أنـوار قدسـه لابصـار محبيه رآئقة، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شآئقة، يا منى قلـوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين أسـألك حبـك وحب من يحبـك، وحب كـل عمـل يوصـلني إلى قربـك، وأن تجعلـك أحب إلي ممـا سواك وأن تجعل حبي)[2]

وقال في دعاء آخر قوله: (إلهي لو قرنتني بالأصفاد، ومنعتني سـيبك من بين الأشـهاد مـاقطعت رجـائي منـك ولاصـرفت وجـه تأميلي للعفو عنك ولا خرج حبك من قلبي)[3]

وهكذا روي عن الإمام الصادق قوله في الـدعاء: (سـيدي أنـا من حبك جائع لا أشبع، أنا من حبك ظمـآن لا أروى، واشـوقاه إلى من يراني ولا أراه)[4]

وهذه المعاني السامية هي التي أعطت للدين بعـده الحقيقي الممتلئ بالقيم النبيلـة، ذلـك أن الإسـلام ــ عنـد جميـع أئمـة أهـل الـبيت ــ هـو دين المحبـة، ولا يتحقـق بـه إلا من امتلأت قلـوبهم بالمحبـة، وقـد روي عن الإمـام الصـادق قولـه: (لا يمحّض رجـل الإيمان بالله حتّى يكون الله أحبّ إليه من نفسه وأبيه وأمّه وولده

---

1) الصحيفة السـجادية الكاملـة، الامـام زين العابـدين علي بن الحسـين عليـه السـلام، تحقيـق وتنسـيق: علي انصـاريان، المستشـارية الثقافيـة للجمهوريـة الاسـلامية الايرانيـة في دمشق، ص 294.

2) الصحيفة السجادية: 294..

3) إقبال الأعمال: 72.

4)المرجع السابق: 56.

وأهله وماله ومن الناس كلّهم)(1)

ومن أكبر ثمار المحبة الأنس بالله، والذي يجعل صاحبه لا يبالي بغيره هل رضوا عنه أو لم يرضوا، لأنه لا ينظر إلا لرضا الله تعالى كما قال الإمام علي : (ما ضرّك إن أحببت الله ورسوله وأحبّك الله ورسوله، من أبغضك، فإنّه ليس أحد من أولياء الله يبغض أحبّاء الله ولا أحد من غيره يحبّك فينفعك حبّه، ثمّ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يستوحش من كان الله أنيسه، ولا يذلّ من كان الله أعزّه، ولا يفتقر من كان بالله غناؤه، فمن استأنس بالله آنسه الله بغير أنيس، ومن اعتزّ بالله أعزّه الله بغير عدد ولا عشيرة، ومن يستغني بالله أغناه الله بغير دنياه)(2)

وقد كانت حركة الإمام الحسين تعبر عن هذا الواقع أحسن تعبير، فهو الذي هجره الجميع، حتى الكثير ممن جاهد مع أبيه، ولم يبق معه إلا أصحاب معدودون، ومع ذلك لم يستوحش، بل كان يقول: (هوَّنَ ما نزل بي أنّه بعين الله) (3)

وقد كان في ذلك كله مصداقا لقول الإمام الصادق : (إذا تخلّى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حبّ الله، وكان عند أهل الدنيا كأنّه قد خولط، وإنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله، فلم يشتغلوا بغيره)(4)

وكان مصداقا لقول الإمام الباقر : (واعلم رحمك الله، أنّه لا تنال محبّة الله إلّا ببغض كثير من الناس، ولا ولايته إلّا بمعاداتهم، وفوت ذلك قليل يسير لدرك ذلك من الله لقوم يعلمون)(5)

---

1) بحار الأنوار ج 70 ص 24 .

2) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الطبرسي، علي بن حسن، تحقيق: مهدي هوشمند، قم، دار الحديث، ط 1، د.ت، ص 125.

3() بحار الانوار 45: 46، العوالم 17: 288، اللهوف: 116.

4) الكافي ج 2 ص 105 باب ذمّ الدنيا والزهد فيها ح 10

5) الكافي ج 8 ص 56 ح 17

ولهـذا نـرى الخطبـاء في المجـالس الحسـينية يحـاولون أن يصوروا حالته، وارتباطها بمحبة اللـه تعـالى والأنس بـه؛ فيـذكرون على لسـانه تلـك الأبيـات المنسـوبة لرابعـة أو إبـراهيم بن أدهم، والتي يقول فيها (1):

تركتُ الخلقَ طَرّاَ   وأيتمتُ العيالَ
ولو قطَّعتني في   لَما مالَ الفؤادُ

وروي أنه سّاير أنس بن مالـك فـأتى قـبر خديجـة فبكى، ثمّ قال: اذهب عنّي، قال أنس: فاسـتخفيت عنـه، فلمّـا طـال وقوفـه في الصلاة سمعته قائلا(2):

يا ربّ يا ربّ أنت   فارحم عبيدا إليك
يا ذا المعالي عليك   طوبى لمن كنت
طوبى لمن كان   يشكو إلى ذي
و ما به علّة ولا   أكثر من حبّه
إذا اشتكى بثّه   أجابه الله ثمّ لبّاه

---

1) وهي من الأبيات التي ينسبها الكثير من الخطباء للإمام الحسين مع أنهـا في الحقيقـة ليست له، ولكن معناها صحيح النسبة إليه، بل هو أولى الناس بهـا، ولـذلك لا حـرج على من ينسبها إليه، يقول الشيخ كاظم العبادي الناصري تعليقا على نسبة السيّد محمّـد الصـدر تلـك الأبيات للإمام الحسني: (شـاع على ألسـنة الخطبـاء الحسـينيّين هـذه الأبيـات، وأنّهـا لرابعـة العدويّة وقد قالها الحسين عند مصرعه، ولا أعلم على أيّ مصدرٍ قد اعتمد هؤلاء الخطبـاء أو مِن أين أتى هذا الشياع؟! فقد تتبّعتُ أغلب المصادر المعتمَـدة الّـتي تـذكر مقتـل الحسـين ، فلم أجد أحداً يذكر أنّ الحسين قـال هـذه الأبيـات، أو حتّى أنّهـا نُسـبَت إليـه، ونفس الشـيء بالنسبة إلى رابعة العدويّة، فأغلب المصادر التاريخيّـة الّـتي ذكرتهـا لم تـذكر هـذه الأبيـات أو تنسبها لها)

ثم ذكر أن ابن رجب الحنبلي في كتابه (كشف الكربة في وصف حال أهـل الغربـة: 27)، نسبها إلى إبراهيم بن أدهم، ثم قـال: (وأغلب الظنّ أنّ الخطبـاء اسـتعملوها مجـازاً كلسـان حالٍ عن الحسـين.. وقـد راجعتُ سـماحة المؤلّـف في هـذه الأبيـات، فقـال لي أنّـه سـمعها شخصيّاً من أحد الخطباء الكبار، ولم يقرأها في كتاب، ولذلك لم يُسنِدها، وإنّمـا عبّـر عنهـا بـ (قيل)، (انظر: أضواء على ثورة الحسين ، السيد الشهيد محمد الصدر، محقق : الشيخ كاظم العبادي الناصري، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر(قدس) النجف الأشرف، ص102 و103.

2) مناقب ابن شهرآشوب 4/ 69.

إذا ابتلا بالظلام   أكرمه الله ثمّ

فنودي:

لبّيك لبيك أنت في   و كلما قلت قد

صوتك تشتاقه   فحسبك الصوت قد

دعاك عندي يجول   فحسبك الستر قد

لو هبّت الريح من   خرّ صريعا لما

سلني بلا رغبة ولا   ولا حساب إنّي أنا

وقد روي في المصادر المعتمدة أن الإمام الحسين كان ينشد أو يتمثّل يوم الطف بأبياتٍ يقول فيها (1):

سأمضي وما بالموت   إذا ما نوى حقّاً

وواسى الرجالَ   وفارق مثبوراً

فإن عشتُ لم أندم،   كفى بكَ موتاً أن

وهذه الأبيات تشير إلى قيمة المحبة والأنس بالله، ذلك أن كل الأعمال الصالحة دليل على محبة صاحبها لله تعالى؛ فالاتباع والخضوع والتسليم لله دليل على استقرار محبة الله في قلب صاحبها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]

وقد عبر الإمام الصادق عن بعض مظاهر ذلك، فقال: (وطلبت حبّ الله عزّ وجلّ، فوجدته في بغض أهل المعاصي)(2)، وما كانت حركة الإمام الحسين إلا بغضا لأهل المعاصي، وما يقومون به من تشويهات للدين الأصيل.

وفي مقابل ذلك؛ كانت محبة الصالحين وموالاتهم ونصرتهم من أكبر علامات محبة الله، وفي ذلك يقول الإمام الصادق

1) كامل الزيارات: 194 ح 274، روضة الواعظين: 180، بحار الأنوار: 44 / 378.

2) المستدرك ج 12 ص 173 .

مخاطبا حفص بن غياث: (إنّي لأرجو النجاة لمن عرف حقّنا من هذه الأمّة، إلّا لأحد ثلاثة صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المعلن، ثمّ تلا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، ثمّ قال: (يا حفص، الحبّ أفضل من الخوف)، ثمّ قال: (والله ما أحبّ الله من أحبّ الدنيا ووالى غيرنا، ومن عرف حقّنا وأحبّنا فقد أحبّ الله تبارك وتعالى)(1)

وقال الإمام الباقر : (إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرا فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير، والله يحبّك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خير، والله يبغضك، والمرء مع من أحبّ)(2).

وقال في حديث آخر: (لو أنّ رجلا أحبّ رجلا لله، لأثابه الله على حبّه إيّاه، وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أنّ رجلا يبغض لله لأثابه الله على بغضه إيّاه، وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنّة)(3)

ولهذا ورد في الأحاديث ربط محبة الإمام الحسين بمحبة الله؛ فلا يمكن أن يجتمع بغضه مع محبة الله، كما قال رسول الله ﷺ: (حسين مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط)(4)

ويروى أنّ رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين عليهما

---

1) الكافي ج 8 ص 128 .

2) المرجع السابق 2: 126/ 11.

3) المرجع السابق 2: 127/ 12.

4) رواه البخارى فى الأدب (1/133، رقم 364)، والترمذى (5/658، رقم 3775) وقال : حسن . وابن ماجه (1/51، رقم 144)، والطبرانى (22/274، رقم 702)، والحاكم (3/194، رقم 4820) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضًا : أحمد (4/172، رقم 17597)، وابن أبى شيبة (6/380، رقم 32196)، وانظر: بحار الأنوار: 43 / 261 / 1 وص 264 / 16.

السلام، وقال: (من أحبّني وأحبّ هذين، وأباهما، وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة)(1)

وروي عن الإمام علي أنه قال: دخل عليّ رسول الله ﷺ، وأنا نائم على المنامة، فاستسقى الحسـن والحسـين عليهمـا السـلام، قال: فقام النـبيّ ﷺ إلى شـاة لنـا بكيء(2) فحلبهـا، فـدرّت فجـاء الحسن فسقاه النبيّ ﷺ فقالت فاطمـة عليهـا السـلام: يـا رسـول الله كأنّه أحبّهما إليك؟، قال: لا، ولكنّه استسقى قبله، ثمّ قـال ﷺ: (إنّي وإيّاك وابنيك، وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة)(3)

وقد نظم هذا المعنى بعضهم، فقال:

أخذ النبيّ يد   يوما وقال وصحبه
من ودّني يا قوم أو   أبويهما فالخلد

هذه نماذج عن بعض القيم الروحية الكبرى التي مثلها الإمام الحسين خير تمثيل، ودعـا إليهـا أعظم دعـوة، وهي كافيـة وحـدها لتشكيل شخصية المسـلم الروحيـة، بعيـدا عن كـل القيم الدخيلـة التي التصقت بالجانب الروحي في الإسلام، وأبعدته عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهدي العترة الطاهرة .

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 1/ـ 77 ورواه أيضا في فضائل الصحابة، أبـو عبـد اللـه أحمـد بن محمـد بن حنبـل، المحقـق: د. وصـي اللـه محمـد عبـاس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1403 – 1983، 2/ 693 .

(2) بكأت الناقة بكئا وبكاءة فهي بكيء وبكيئة: قلّ لبنها.

(3) مسند أحمد 1/ 101، فضائل الصحابة: 2/ 692، وأخرجه في« بحار الأنوار» 37/ 72.

الفصل الثالث

الإمام الحسين والقيم الأخلاقية

تعتـبر القيم الأخلاقيـة نتيجـة حتميـة لتغلغـل القيم الإيمانيـة والروحيـة في النفس، ذلـك أنـه بقـدر تعـرف المـؤمن على اللـه معرفـة صحيحة، وبقـدر تعلقـه بـه، وتنفيـذه لأوامـره وتشـريعاته، وتضحيته في سبيله تكون أخلاقه، فالدين ـ كمـا ورد في الأحـاديث والروايات الكثيرة ـ عبارة عن أخلاق عالية رفيعة، تبـدأ ممارسـتها مع الله بالأدب معه وتعظيمه، وتنتهي بالتعامل مع خلقه، وإنـزالهم المنازل التي أمر الله أن ينزلوا فيها.

ولهذا كـان التحقـق بالفضـائل الأخلاقيـة علامـة على الكمـال الإنساني، كمـا قـال اللـه تعـالى مثنيـا على نبيـه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4)

ولهذا وردت النصوص الكثيرة تخبر بأن أرفع المؤمـنين إيمانـا أحسنهم خلقا، قال ﷺ:(خياركم أحاسنكم أخلاقا)[1]، وقال:(إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم)[2]

بـل ورد مـا هـو أعظم من ذلـك، وهـو أن درجـة القـرب من رسـول اللـه ﷺ بقـدر حسـن الخلـق، قـال ﷺ:(إن من أحبكم إلي وأقــربكم مــني مجلسـا يــوم القيامــة أحاسـنكم أخلاقـا وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مـني يـوم القيامـة الثرثـارون والمتشـدقون والمتفيقهـون) قــالوا:(يــا رســول اللــه قــد علمنــا الثرثــارون والمتشدقون فما المتفيهقون) قال:(المتكبرون)[3]

وهكـذا أخـبر رسـول اللـه ﷺ أن الـدرجات العليـا والأجـور

1) رواه البخاري 10 / 378 في الأدب، ومسلم رقم (2321) (8/ 21)

2) رواه أحمد (6/47) وفي (6/99)، الترمذي، وقال: حديث صحيح (2612)

3) رواه الترمذي (2018)

العظيمة لا يحوزها إلا من حسن خلقه، فقال ﷺ:(ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء)(1)، وقال ﷺ:(أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)(2)، فجعل البيت العلوي جزاء لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق والأوسط لأوسطها وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها وهو ترك المماراة وإن كان معه حق ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله.

وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال:(تقوى الله وحسن الخلق)، وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: (الفم والفرج)(3)

بل أخبر ﷺ أن (المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)(4)

وبناء على هذا كانت القيم الأخلاقية من أهم القيم التي دعا إليها جميع أئمة أهل البيت ، ومثلوها في حياتهم أحسن تمثيل، وبإقرار الأمة جميعا، فقد كانوا يدعون إلى نفس ما كان يدعو إليه رسول الله ﷺ كل حين؛ ففي الحديث عن الإمام الباقر أنه قال: (إنّ أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)(5)

وعن الإمام الصادق أنه قال: (ما يقدم المؤمن على الله عزّ

1) رواه الترمذي رقم (2003) و (2004)، وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود رقم (4799)

2) رواه أبو داود (4800)

3) رواه الترمذي (2004)، وقال: حديث صحيح.

4) رواه أحمد (6/64)، أبو داود (4798)

5) الكافي ج 2 ص 81 .

وجلّ بعمل بعد الفرائض أحبّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه)(1)، وقال: (إنّ الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد) (2)

وبناء على هذا يمكن اعتبار حياة الإمام الحسين جميعا نموذجا جميلا وكاملا للأخلاق العالية الرفيعة، وكيف لا يكون كذلك، وقد رُبي في حجر الطهر والمثل العالية، وقد ورد في الروايات كيف كان رسول الله ﷺ والإمام علي يشرفان على تربيته، وتنمية الأخلاق العالية فيه.

ومن تلك الروايات ما روي أنه قيل له: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: (أتى رسول الله ﷺ بتمر من الصدقة، فأخذت منه تمرة فجعلت ألوكها، فأخذها مني بلعابها حتى ألقاها في التمر) وقال: إن آل محمد لا تحل لهم الصدقة)(3)

فرسول الله ﷺ في هذا الحديث يدرب حفيده على الورع، والذي يعتبر أصلا من أصول الأخلاق، يحمي صاحبه من كل الرذائل، ويلزمه بكل الفضائل.

وكان الإمام الحسين لا يكتفي بتلك التوجيهات، وإنما كان يسأل كل حين والده عن الفضائل التي كان يتحلى بها رسول الله ﷺ، ومن الأحاديث المشهورة له في ذلك ما روي عنه أنه قال: (سألت أبي عن مدخل رسول الله ﷺ، فقال: (كان دخول رسول الله ﷺ لنفسه مأذونا له في ذلك، فإذا آوى إلى منزله جزّء دخوله ثلاثة أجزاء: جزء الله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزّء جزأه بينه وبين الناس، فيردّ ذلك بالخاصة على العامة، ولا يدّخر عنهم منه شيئا)(4)

---

1) الكافي ج 2 ص 82 .

2) المرجع السابق ج 2 ص 82 ح 7- وبمضمونه ح 9

3) مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٠١، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٨٦ ح ٢٧٤١، مجمع الزوائد ٣: ٩٠، الذرية الطاهرة 113.

ثم راح أبوه الإمام علي يفصل لـه كيـف كـان ﷺ يتعامـل مـع الناس، فقـال: (و كـان من سـيرته ﷺ في جـزء الأمـة: إيثـار أهـل الفضـل بإذنـه، وقسـمه على قـدر فضـلهم في الـدين، فمنهم ذو الحاجـة، ومنهم ذو الحـاجتين، ومنهم ذو الحـوائج، فيتشـاغل بهم ويشـغلهم في مـا أصـلحهم وأصـلح الأمّـة، من مسـألته عنهم، وإخبارهم بالـذي ينبغي لهم، ويقـول: ليبلّـغ الشـاهد منكم الغـائب، ويقول: أبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فإنـه من أبلـغ سـلطانا حاجـة من لا يقـدر على إبلاغهـا، ثبّت اللـه قدميـه يـوم القيامة. ولا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبـل من أحـد غـيره. يـدخلون روّادا- ولا يفترقون إلا عن ذواق- ويخرجون أدلّة فقهاء)

ثم سأله الإمام الحسين عن مخرجه ﷺ وكيف كان يصنع فيه، فأجابه الإمام علي بقوله: (كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعنيه، ويـؤلّفهم ولا يفـرّقهم، وكـان يكـرم كـريم كـل قـوم ويولّيـه عليهم. وكان يحذّر الناس، ويحـترس منهم من غـير أن يطـوي عن أحـد بشـره ولا خلقـه، ويتفقـد أصـحابه، ويسـأل النـاس عمـا في الناس، ويحسّن الحسن ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويهوّنه. معتدل الأمر غير مختلف. لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا. وكـان لكـل حـال عنده عتاد. وكان لا يقصر عن الحق ولا يجوزه. وكان الـذين يلونـه من الناس خيارهم. وكان أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة لهم)

ثم سأله عن مجلسه ﷺ، فأجابه بقوله: (كان رسـول اللـه ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله جل اسمه، ولا يـوطن الأمـاكن وينهى عن إيطانهـــا، وإذا انتهى إلى قـــوم جلس حيث ينتهي بـــه المجلس ويـأمر بـذلك، ويعطي كـل جلسـائه نصـيبه منـه، حـتى لا يحسب من جالسه أن أحدا أكرم عليه منـه. من جالسـه أو قاومـه في حاجة صابره، حتى يكون هو المنصرف عنـه. من سـأله حاجـة لم يرجع إلا بها، أو بميسور من القول. قد وسع النـاس منـه خلقـه وصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق سواء. مجلســه مجلس حلم وحياء، وصدق وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا يوهن فيـه الحـرم، ولا تنثى فلتاته، ترى جلساءه متعـادلين، متواصـلين فيـه بـالتقوى،

4) معاني الاخبار: 79، مجمع الزوائد 8: 274، مكارم الاخلاق: 8.

متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب)

ثم سأله عن سيرته في جلسائه ﷺ، فأجابه بقوله: (كان دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب ولا فحّاش، ولا عيّاب ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه راجيه، ولا يخيّب فيه مؤمّليه. قد ترك نفسه من ثلاث: من المراء، والإكثار، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا ولا يعيّره، ولا يطلب عثراته ولا عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطّير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه. ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه، حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، وكان يقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه، وكان لا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز، فيقطعه بنهي أو قيام)

ثم سأله عن سكوته ﷺ، فأجابه بقوله: (كان سكوت رسول الله ﷺ على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر. فأما التقدير ففي تسوية النظر، والاستماع بين الناس. وأما تفكره ففيما يبقى أو يفنى. وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه. وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به. وتركه القبيح لينتهى عنه. واجتهاده الرأي في صلاح أمته. والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة) (1)

فهذا الحديث العظيم الذي حفظه لنا الإمام الحسين موسوعة كاملة في الأخلاق وشمائل النبوة، وهو كاف وحده ليؤسس للقيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام، ومثلها رسول الله ﷺ وأهل بيته خير تمثيل.

بناء على هذا نحاول في هذا الفصل التعرف على أمهات الأخلاق الحسنة التي تمثلت في شخصية الإمام الحسين ، وكان

---

1) معاني الاخبار: 79، مجمع الزوائد 8: 274، مكارم الاخلاق: 8.

دائم الدعوة إليها، وكلها مما له علاقة بحركته التصحيحية الكبرى التي حفظت أصالة الدين من أن تحرف.

وقد قسمناها من خلال تلك التصنيفات التي وضعها الإمام علي للأخلاق الحسنة، والتي عبر عنها بقوله: (إنّا لنحبّ من كان عاقلا فهما فقيها حليما مداريا صبورا صدوقا وفيا، إنّ الله خصّ الأنبياء بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك، ومن لم تكن فيه فليتضرّع إلى الله وليسأله إيّاها)، قيل: وما هنّ؟ قال: (هنّ الورع، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، والحياء، والسخاء، والشجاعة، والغيرة والبرّ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة)(1)

وقال في موضع آخر: (المكارم عشر، فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن، فإنّها تكون في الرجل ولا تكون في ولده، وتكون في الولد ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحرّ)، قيل: وما هنّ؟ قال: (صدق البأس(2)، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وإقراء الضيف، وإطعام السائل، والمكافاة على الصنائع والتذمّم للجار، والتذمّم للصاحب، ورأسهنّ الحياء)(3)

وذكر الصفات الأساسية للإمام، فقال: (وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلّهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الخائف للدول فيتّخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطّل للسنّة فيهلك الامّة)(4)

---

1) الكافي 2: 56/ 3.

2) البأس: الشجاعة الحسنة الصادقة في الجهاد في سبيل الله وإظهار الحق والنهي عن المنكر، وفي الكافي: « اليأس».

3) الكافي 2: 55/ 1.

4) نهج البلاغة ص 407 في خ 131- صبحي ص 189

وذكرها الإمام الرضا ، فقال: (للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس.. ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وامّهاتهم، ويكون أشدّ الناس تواضعا لله عزّ وجلّ)(1)

بناء على هذا رأينا أن هذه الصفات وغيرها يمكن اجتماعها في الأصناف السبعة التالية:

أولا ـ الصبر والرضى:

وهي أول القيم الأخلاقية وأساسها، وقد أخبر الله تعالى أنها من الصفات الأساسية التي لا يمكن للإمامة أن تتم من دونها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئمة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: 24]

ذلك أن من سنة الله تعالى في أوليائه، والهداة إليه أن يبتليهم بأصناف البلاء، ليثبتوا عبر اختيارهم وسلوكهم مدى استحقاقهم للإمامة، كما قال تعالى عن إبراهيم : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124]

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة على حسب دينه)(2)

وقد ذكر الإمام السجاد للذين تصوروا أن الإمام بحكم مكانته من الله تعالى لن يحتاج إلى البلاء، وأنه في حصوله له يمكنه أن يتخلص منه بما آتاه الله من ولاية تكوينية؛ فقال: (جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه، إنّ المراتب الرفيعة لا تنال إلّا بالتسليم لله جلّ ثناؤه، وترك الاقتراح عليه، والرضا بما يدبرهم به، إنّ أولياء

1) الخصال ج 2 ص 527 .

2) الترمذي (2398) وصححه، وابن ماجة (4023)

الله صبروا على المحن والمكاره صـبرا لم يسـاوهم فيـه غـيرهم، فجـازاهم اللــه عــزّ وجــلّ عن ذلــك بــأن أوجب لهم نجح جميــع طلباتهم، لكنّهم مع ذلك لا يريدون منه إلّا ما يريده لهم)(1)

ولذلك تعـرض الإمـام الحسـين ــ بحكم إمامتـه الدينيـة الـتي شهد له بها رسول الله ﷺ ـ للكثـير من أنـواع البلاء، ومنـذ صـغره الباكر إلى شهادته؛ وقد اسـتطاع اجتيازهـا جميعـا بنجـاح، وأعطى بذلك أعظم الأمثلة في الصبر والرضى، ولـذلك كـان حقيقـا بـذلك الوصـف الـذي وُصـف بـه في زيـارة وارث من كونـه وارثـا لأولي العزم من الرسل، الذين أمر الله تعالى بالاهتـداء بصـبرهم؛ فقـال مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَـبَرَ أُولُـو الْعَـزْمِ مِنَ الرُّسُـلِ ﴾ [الأحقاف: 35]

وقد ورد في الزيارة المعروفة بـ [الناحية المقدسة](2) الكثير من مظاهر صبره؛ حيث يقول الزائر فيهـا: (السـلام على المرمـل بالدماء، السلام على المهتـوك الخبـاء، السـلام على خـامس أهـل الكساء، السلام على غريب الغرباء، السلام على شـهيد الشـهداء، السلام على قتيل الأدعياء، السلام على ساكن كربلا، السـلام على من بكته ملائكة السماء، السلام على من ذريته الأزكياء)(3)

وفيهـا يقـول معـددا بعض أنـواع البلاء الـتي حصـلت للإمـام الحسين : (السـلام على من نكثت ذمتـه، السـلام على من هتكت حرمته، السلام على من أريق بالظلم دمه، السـلام على المغسـل

(1) أمالي الصدوق: 367، وبحار الأنوار ج 46/ 20، روضة الواعظين: 196.

(2) هي إحدى الزيارات المشهورة للإمام الحسـين ، وهي من الزيـارات المُطلَقـة. وهي منسوبة للنّاحية المقدّسة ـ أي الإمام المهدي ـ مع خلاف في ذلك، وقد تناول الإمام فيهـا مـا جرى على جده وأصحابه في كربلاء، وهي تبدأ بالسّـلام على أنبيـاء اللـه وأوليـاء دينـه الأئمّـة الأطهار ﷺ، ثمّ بالسّلام على الإمام الحسين وأنصاره، ثمّ تعـرّج على صـفات الإمـام الحسـين وسيرته..

(3) المزار الكبير، أبـو عبداللـه محمـد بن جعفـر بن المشـهدي، تحقيـق: جـواد القيـومي الاصفهاني، مؤسسة النشـر الإسـلامي، الطبعـة: الاولى 1419هــ، ص 496، مصـباح الزائـر، السيد علي بن موسى ابن طاووس، تحقيق. مؤسسة آل الـبيت ﷺ لإحيـاء الـتراث، مؤسسـة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، 1411 هـ، قم، ص 221.

بدم الجراح، السلام على المجـرع بكأسـات الرمـاح، السـلام على المضام المستباح، السلام على المهجور في الـورى، السـلام على من تولى دفنه أهل القرى، السلام على المقطوع الـوتين، السـلام على المحـامي بلا معين. السـلام على الشـيب الخضـيب، السـلام على الخد التريب السلام على البدن السـليب، السـلام على الثغـر المقـروع بالقضـيب، السـلام على الـودج المقطـوع، السـلام على الرأس المرفوع)[1]

وفيها يقول معددا الآلام التي أصابت الأمة والدين بعد فقـده: (لقد قتلوا بقتلك الإسلام، وعطلوا الصلاة والصيام، ونقضوا السنن والأحكام، وهدموا قواعد الإيمان، وحرفوا آيـات القـران، وهملجـوا في البغي والعدوان. لقد اصبح رسول الله ﷺ موتورا، وعـاد كتـاب الله عز وجل مهجورا، وغودر الحق إذ قهرت مقهورا، وفقد بفقدك التكبير والتهليـل، والتحـريم والتحليـل، والتنزيـل والتأويـل، وظهـر بعـدك التغيـير والتبـديل، والإلحـاد والتعطيـل، والأهـواء والأضـاليل والفتن) [2]

وقد كان الإمام الحسين يقابل كل ذلك البلاء بما آتاه الله من يقين، وفي يوم عاشوراء، وأمام تلك المواقف الصعبة، كان يردد ـ مخاطبا الله تعالى ـ بقوله: (صبرا على قضائك يا رب لاإله سواك، يا غياث المستغيثين، مالي رب سواك ولا معبود غيرك، صبرا على حكمك يـا غيـاث من لا غيـاث لـه، يـا دائمـا لا نفـاد لـه، يـا محـيى المـوتى، يـا قائمـا على كـل نفس بمـا كسـبت احكم بيـنى وبينهم وأنت خير الحاكمين)[3]

وقـد ذكـر الإمـام السـجاد حـديث الإمـام الحسـين على مـا سيصيبه من أنواع البلاء في كربلاء؛ فقال: (لمـا كـان اليـوم الـذي استشهد فيه أبي، جمع أهله وأصـحابه في ليلـة ذلـك اليـوم فقـال

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3) مقتل الحسين للمقرم: 357، ينابيع المودة: 418 .

لهم: (يـا أهلي وشـيعتي اتخـذوا هـذا الليـل جملا لكم، وانجـوا بأنفسكم، فليس المطلـوب غـيري، ولـو قتلـوني مـا فكـروا فيكم، فانجوا رحمكم الله وأنتم في حل وسعة من بيعـتي وعهـدي الـذي عاهدتموني)، فقال إخوته وأهله وأنصـاره بلسـان واحـد: واللـه يـا سيدنا يا أبا عبد الله لا خـذلناك أبـدا، واللـه لا قـال النـاس: تركـوا إمامهم وكبيرهم وسيدهم وحده حـتى قتـل ونبلـوا بيننـا وبين اللـه عذرا ولا نخليك أو نقتل دونك. فقال لهم: (يـا قـوم اني غـدا أقتـل وتقتلون كلكم معي ولا يبقى منكم واحد)، فقالوا: الحمدللـه الـذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك، أولا ترضى أن نكون معك في درجتك يابن رسول اللـه؟ فقـال : (جـزاكم اللـه خـيرا)، ودعـا لهم بخير، فقال له القاسم بن الحسن : وأنا فيمن يقتل؟ فأشفق عليه فقـال لـه (يـا بـني كيـف المـوت عنـدك). قـال: يـا عم أحلى من العسـل، فقـال : (أي واللـه فـداك عمـك إنـك لأحـد من يقتـل من الرجال معي بعد أن تبلوا ببلاء عظيم وابـني عبـد اللـه). فقـال: يـا عم ويصلون إلى النساء حتى يقتل عبد اللـه وهـو رضـيع؟ فقـال : (فداك عمك يقتـل عبـد اللـه إذ جفت روحي عطشـا، وصـرت إلى خيمنا؛ فطلبت ماء ولبنا فلا أجد قط فأقول: ناولوني ابني لاشـرب من فيه، فيـأتوني بـه فيضـعونه على يـدي فأحملـه لادنيـه من في فيرميه فاسق بسـهم فينحـره وهـو ينـاغي فيفيض دمـه في كفي، فأرفعه الى السماء وأقول: اللهم صبرا واحتسـابا فيـك، فتعجلـني الأسنة فيهم والنار تسعر في الخندق الـذي في ظهـر الخيم، فـأكر عليهم في أمر أوقات في الدنيا، فيكون ما يريد الله)[1]

والتأمـل هـذه الروايـة وغيرهـا من الروايـات الـتي تحكي مـا حصل للإمام الحسين وأهل بيته في كربلاء وغيرها، نرى أنه تخلـق بما هو أكبر من الصبر، وهو الرضى، ذلك أن الرضـى مرتبـة أعلى من الصبر؛ فالصبر فيه بعض المعاناة، ذلـك أن الصـابر يحـاول أن يحبس نفسـه، ويكفهـا عن السـخط مـع وجـود الألم الـذي يتمـنى زواله، بخلاف الرضا الـذي يوافـق الصـبر في حبس النفس، لكنـه يزيد عليه بعدم تمني زوال الألم، لأن الراضي يختار ما اختـار اللـه

1) مدينة معاجز الائمة الاثني عشـر ودلائـل الحجج على البشـر، العلامـة السـيد هاشـم البحـراني، مؤسسـة المعـارف الإسـلامية، 4/ـ 214، نفس المهمـوم، الشـيخ عبّـاس القمّي، ترجمة كمره اى، قم، انتشارات مسجد مقدّس صاحب الزمان، 1370ش، 230.

له؛ فلذلك ينشرح صدره بما حصل له من دون ألم.

وقد ورد في الرواية عن الإمام الباقر ما يعبر عن هذه المرتبة الروحانية العظيمة، فقد روي عنه أنه قال: (مرضت مرضا شديدا فقال لي أبي : ما تشتهي؟ فقلت: أشتهي أن أكون ممن لا اقترح على الله ربي سوى ما يدبره لي، فقال لي: أحسنت، ضاهيت إبراهيم الخليل صلوات الله عليه حيث قال له جبرائيل : هل من حاجة؟ فقال: لا أقترح على ربي، بل حسبي الله ونعم الوكيل) [1]

ولهذا نرى الإمام الحسين ـ كما في الرواية السابقة ــ يعلم بدقة ما سيحصل له، ومع ذلك يقدم عليه، ويتجرع كأس البلاء بتلك السعادة التي عبر عنها بقوله في دعاء عرفة: (إلى من تكلني إلى القريب يقطعني، أم إلى البعيد يتجهمني، أم إلى المستضعفين لي، وأنت ربّي ومليك أمري، أشكو إليك غربتي وبعد داري وهواني على من ملّكته أمري، اللهم فلا تحلل بي غضبك، فإن لم تكن غضبت عليّ فلا أبالي سواك غير أنّ عافيتك أوسع لي، فأسألك بنور وجهك الذي أشرقت له الأرض والسماوات وانكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن لا تميتني على غضبك ولا تنزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى قبل ذلك لا إله إلّا أنت)[2]

وقد تحقق له بذلك ما نص عليه قوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله وَالله رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: 207]، وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ الله وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: 8]

فالإمام الحسين باع نفسه لله، وهاجر في سبيله، وقدم كل ما يملك من أهل ومال وعافية قربانا لله تعالى، وطلبا لرضوانه، ومصدر ذلك كله هو يقينه في الله تعالى، فاليقين بالله، وبما عند

---

1) دعوات الراوندي 168، والمستدرك 1/ 95، وبحار الأنوار 81/ 208.

2() بحار الأنوار: 95 / 219.

الله هو الذي يجعل صاحبه راضيا مطمئنا مهما حصل له من أنـواع البلاء، ولهذا جمع الله تعالى بين الصبر واليقين عند ذكره للإمامـة؛ فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئمة يَهْـدُونَ بِأَمْرِنَـا لَمَّا صَـبَرُوا وَكَـانُوا بِآيَاتِنَـا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]

وقد ذكر أبو حامد الغزالي علاقة الرضا باليقين، وذلـك جوابـا لمن تصور أن الرضا خاص بالنعمة، وليس له علاقة بالبلاء، فقـال: (اعلم أنّ من قال: ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلّا الصـبر فأمّا الرّضا فلا يتصوّر فإنّمـا أتى من ناحيـة إنكـار المحبّـة فأمّـا إذا ثبت تصوّر الحبّ لله تعالى واستغراق الهمّ بــه فلا يخفى أنّ الحبّ يورث الرّضا بأفعال الحبيب) (1)

ثم استدل لذلك بوجهين: **أولهما** (أن يبطل الإحساس بالألم حتّى يجري عليه المؤلم ولا يحسّ به وتصيبه جراحة وهـو لا يـدرك ألمها، ومثاله الرّجل المحارب فإنّه في حال غضـبه أو حـال خوفـه قد تصيبه جراحة وهو لا يحسّ بها فـإذا رأى الـدّم اسـتدلّ بـه على الجراحة بل الّذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحسّ بألمه لشغل قلبه بل الّذي يحجم أو يحلق رأسه بحديــدة كآلة يتألّم بـه فـإن كـان مشـغول القلب بمهمّ من مهمّاتـه فيفـرغ المزيّن أو الحجّام وهو لا يشعر بـه وكـلّ ذلـك لأنّ القلب إذا صـار مستغرقا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك مـا عـداه، فكـذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه، قد يصيبه مــا كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمـه وألمـه لفـرط استيلاء الحب على قلبه، هذا إذا أصـابه من غـير حبيبـه فكيـف إذا أصابه من حبيبه) (2)

وأما الثاني، فهو (الرضا بـه، لا لحـظ وراءه، بـل لكونـه مـراد المحبوب ورضا له؛ فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مـراد المحبـوب، فيكـون ألـذ الأشـياء عنـده سـرور قلب محبوبـه ورضاه ونفوذ إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل: (فمـا لجـرح إذا

---

1) إحياء علـوم الـدين، أبـو حامـد محمـد بن محمـد الغـزالي الطوسـي، دار المعرفـة – بيروت، (4/ 347)

2) المرجع السابق، (4/ 347)

أرضاكم ألم)، وهذا ممكن مع الإحساس بالألم، وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم، فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده، فلا ينبغي أن ينكره من فقده من نفسه لأنه إنما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه، ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه، فللمحبين عجائب أعظم مما وصفناه) [1]

وكل هذه الأوصاف التي ذكرها الغزالي تنطبق تماما على الإمام الحسين ، بل هو من أكبر مصاديقها، ذلك أنه كان قد سمع منذ صغره الباكر بتلك الروايات التي أخبر رسول الله ﷺ فيها أنه سيقتل، وأنه سيتعرض لبلاء عظيم، ومع ذلك لم يجزع ولم يبدو منه إلا محبة الله، والرضا بما كتب له، بل السرور به، لأنه موافق لمرضاة الله.

أما ما تذكره بعض الروايات من ألمه وحزنه؛ فهو ليس لأجل نفسه، وإنما لأجل الأمة التي راحت تهجره وتستبدله بغيره مع كونه وصي رسول الله ﷺ، ووراثه، وهو يشبه بذلك الحزن الذي كان يصيب جده رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ [الأنعام: 33]

بل ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن حزن رسول الله ﷺ على قومه كاد يُهلكه، حتى نهاه الله تعالى عن ذلك بقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ [فاطر: 8]، وقال: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [الشعراء: 3]، وقال: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا [الكهف: 7]

وهكذا يقال في خروجه من مكة والمدينة وكل البلاد التي يتسلط عليها بنو أمية، والذي بُرر في بعض الروايات بالخشية من الاغتيال، وهو مقصد شرعي، وخوف الإمام الحسين فيه، ليس لأجل نفسه، وإنما لأجل الأمة؛ فهو يريد من موته أن يكون رسالة ممتدة لأجيال الأمة، وليس موتا عاديا، أو قتلة عادية لا تتأثر لها الأجيال، ولا تستفيد منها، ولا تستدل بها على ذلك الظلم الذي

---

1) المرجع السابق، (4/ 350)

وقع للإسلام من المحرفين له، والبغاة على نبيه وأهل بيته.

وقد كان خروجه فوق ذلك امتثالا لأمر الله تعالى للمستضعفين المظلومين بالهرب إلى بلاد الله الواسعة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 97]

ثانيا ـ الصدق والثبات:

وهي من أعظم القيم التي وصف الله بها عباده المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: 23]

وكلاهما مقترنان؛ فالصدق في الإيمان والإرادة والعزم، يؤدي إلى ثبات صاحبه في المواقف وعدم تزحزحه أو فراره، أو ارتداده، والثبات دليل على تغلغل شجرة الإيمان في القلب، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: 24]

وهذه الآية الكريمة تصف الإمام الحسين أصدق وصف، فهو متغلغل الجذور في الصدق والثبات، ذلك أنه كان في عهد رسول الله ﷺ مع جده، ومع أهل الكساء في خيمة الطهارة والعصمة والنبل، وعندما توفي رسول الله ﷺ، وحصل النقض والنكث والمروق من الذين خانوا العهود، ولم يفوا بها، كان مع أبيه الإمام مواليا له، ومحافظا على ذلك العهد الذي عاهده عليه، وظل يناصره إلى أن كتب الله له الشهادة، وعندما توفي أبوه، حافظ على ولائه لأخيه ، وظل يناصره إلى أن سار في الطريقة الشهادة الذي سار عليه أبوه من قبل.

وعندما جاءت نوبته، وهو يعلم البلاء الخاص الذي ابتلي به من دون سائر المؤمنين، لم يتزحزع عن مواقفه، بل ظل ثابتا، وراح يواجه التحريفات بنفسه، وأتباعه القليلين إلى أن رزقه الله الشهادة الخاصة التي لم يرزق أحد مثلها، ولذلك استحق من جده

لقب السيادة؛ فالسيد هو الثابت على الحق، غير الناقض للعهود، ولذلك يستحق أن يكون علما للهداية، وسراطا مستقيما للحق.

وقد ورد في الروايات الكثيرة التي اتفق عليها مؤرخو الفريقين من المدرسة السنية والشيعية أن كثيرا ممن يعتبرون من فضلاء أقوامهم حاولوا أن يثنوا الإمام الحسين عن مسيرته وحركته، ويحذروه من الأخطار التي تنتظره، لكنه ـ مع علمه بكل ذلك ــ لم ينصع لتحذيراتهم، لأنه لا يتلقى تعليماته منهم، وإنما يتلقاها من مصدر الهداية، الذي أعلمه بالرسالة التي كلف بها.

ولذلك قابل كل تحذيراتهم بالسكوت أو بالأسف، لأن موقف المحذرين كان يستدعي التبيعة للإمام، والقيام بالتكليف الشرعي في نصرته، لكنهم استبدلوا موقف التبعية بموقف الأستاذية، وتصوروا أنهم أئمة لإمامهم.

وفي مقابل تلك المواقف الممتلئة بالوهن والعجز والتثبيط نجد موقف أصحاب الإمام الحسين وأهل بيته الذين وقفوا معه على الرغم من إخباره لهم بالمصير الذي سيصيرون إليه، فقد جمعهم قبل المعركة؛ فقال: (إني لا أعلم أصحابا أصح منكم ولا أعدل ولا أفضل أهل بيت، فجزاكم الله عني خيرا، فهذا الليل قد أقبل فقوموا واتخذوا جملا، وليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه أو رجل من إخوتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم)[1]

حينها قام أخوه العباس وغيره من أقاربه ليعبروا عن ذلك الصدق والثبات الذي نتج عن ولائهم لأهل بيت النبوة، فقالوا: (لم نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدا)، فقال لهم الإمام الحسين : (يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم بن عقيل فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم)، فقالوا: (سبحان الله.. ما نقول للناس؟ نقول: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الاعمام، ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم

---

1) الفتوح 5: 105، تاريخ الطبري 3: 315، الكامل في التاريخ 2: 559، اعيان الشيعة 1: 600، وقعة الطف: 197.

بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله ما نفعل ذلك، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك)[1]

ثم قام مسلم بن عوسجة، فقال: (أنحن نخلي عنك، بما نعتذر إلى الله في أداء حقك ؟ لا والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، لا والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك، أما والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا)[2]

وقام زهير بن القين، وقال: (والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت، حتى أقتل هكذا ألف مرة، وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك)[3]

وهكذا برهن أصحاب الإمام الحسين عن صدق ولائهم لله ولرسوله ﷺ ولأهل بيت رسوله ، وأحيوا بذلك تلك السنة التي يمثلها الصادقون من أتباع الرسل، كما أخبر الله تعالى عنهم، فقال: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 23] في مقابل أولئك القاعدين الناكثين للعهود، والذين أخبر الله تعالى عنهم، فقال: ﴿ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: 22]

1() الارشاد: 231، تاريخ الطبري 3:ـ 315، الكامل في التاريخ 2:ـ 559، العوالم 17: 244، وقعة الطف: 198..

2) المراجع السابقة.

3) المراجع السابقة.

وتلك المواقف الإيمانية تذكرنا بموقف الصادقين من أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر من أمثال المقداد بن الأسود الذي قام مجيبا رسول الله ﷺ، وفي نفس الموقف الذي وقفه الإمام الحسين قائلا: (يا رسول الله امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله ما نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ ﴾ [المائدة 24] ولكن اذهب أنت ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، عن يمينك وشمالك، وبين يديك وخلفك، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه)، فأشرق وجه رسول الله ﷺ، وقال له خيرا ودعا له[1].

ولذلك استحق الثناء العظيم من أئمة أهل البيت ، لصدقه وثباته، فقد قال فيه الإمام الصادق : (إنما منزلة المقداد في هذه الأُمة كمنزلة ألف في القرآن، لا يلزق بها شيء)[2]

ومما كتبه الإمام الرضا للمأمون في محض الإسلام، وشرائع الدين، والولاية لأمير المؤمنين: (والذين مضوا على منهاج نبيهم ﷺ ولم يغيروا، ولم يبدِّلوا، مثل: سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمِقداد بن الأسود)[3]

ثالثا ـ الشجاعة والإقدام:

وهي من الصفات التي تمثل الشخصية المتكاملة، والتي وصف الله بها أنبياءه وورثتهم الذين واجهوا أقوامهم بكل قوة، ولم يدخل قلوبهم فزع ولا هيبة ولا جبن، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ الله وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَالله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ

1() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (4/ 26)

2) الاختصاص، (المنسوب إلى) محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد البغدادي (336، 413ق)، قم المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلامي،10.

3) عيون اخبار الرضا ، محمد بن على بن الحسين الصدوق، مكتبة طوس، قم المقدسة، 2/134.

إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [آل عمران: 146، 147]

وضرب بعض النماذج عن ذلك، ومنهم داود الذي ذكر أنه كان من النفر القليل الثابتين في جهادهم ضد عدو بني إسرائيل، وأنه كان بشجاعته وإقدامه سبب انتصاراتهم، قال تعالى: وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ الله وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ الله الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ [البقرة: 250، 251]

وهكذا كان رسول الله ﷺ مثالا للشجاعة والإقدام والبطولة، وقد حدث عن نفسه؛ فقال: (والذي نفسي بيده، لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم بأن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، ولوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل)(1)

وذكر أنس بن مالك بعض مظاهر شجاعته؛ فقال: (كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي ﷺ سبقهم على فرس، وقال: وجدناه بحرا)(2)

وذكرها البراء بن عازب حين سأله رجل، فقال له: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: (أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة. فرموهم برشق من نبل. كأنها رجل من جراد. فانكشفوا. فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته. فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: (أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزل نصرك)(3)

---

1) رواه البخاري 13 / 187، ومسلم رقم (1876)

2) رواه البخاري، الفتح 6 (2820)، ومسلم (2307)

ثم عقب البراء على ذلك بقوله: (كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ)(1)

وكان الإمام علي في عهد رسول الله ﷺ وبعده نموذجا حيا ومثاليا لها، حتى أن المؤرخين يؤكدون بالأدلة الدامغة، أنه كان السبب الأكبر في كل الانتصارات التي حصلت للمسلمين، ولذلك بارزه المشركون والطلقاء العداوة.

ومن الأمثلة على تلك الشجاعة ما ذكره الإمام علي في محاجته للمنكرين لحقه، حيث قال لهم في معرض ذلك: (نشدتكم بالله هل فيكم أحد مسح رسول الله ﷺ عينيه، وأعطاه الراية يوم خيبر فلم يجد حراً ولا برداً غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل مرحباً اليهودي مبارزة فارس اليهود غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد احتمل باب خيبر حين فتحها فمشى به مائة ذراع ثم عالجه بعده أربعون رجلا فلم يطيقوه غيري؟ قالوا: لا)(2)

وهكذا ورث الإمام الحسين ــ تلميذ القرآن الكريم ووارث الأنبياء ـ عن أبيه وجده الشجاعة والإقدام، فكان بطلا في كل المعارك التي خاضها، ومنها معركة صفين التي خاضها مع أبيه، ومن مشاهد شجاعته فيها، ما رواه عبد الله بن قيس، قال: كنت مع من غزى مع أمير المؤمنين في صفين، وقد اخذ أبو أيوب الاعور السلمي الماء وحرزه عن الناس، فشكى المسلمون العطش، فأرسل فوارس على كشفه، فانحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين : (أمضي إليه يا أبتاه) ؟ فقال امض يا ولدي، فمضى مع فوارس فهزم أبا ايوب عن الماء، وبنى خيمته وحط فوارسه، وأتي إلى أبيه وأخبره، فبكى أمير المؤمنين ، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ وهذا أول فتح ببركة الحسين . فقال: (ذكرت أنه سيقتل عطشانا بطف كربلا، حتى ينفر فرسه

---

3) رواه البخاري، الفتح 7 (4317) ومسلم (1776)

1) رواه مسلم (1776)

2) الاحتجاج، 1/322، بحار الأنوار 21 /21..

ويحمحم ويقول: الظليمة الظليمة لامة قتلت ابن بنت نبيها)(1)

أما في كربلاء، فقد شهد له كل المؤرخين أنـه أبلى فيهـا بلاء حسنا على الرغم من كثرة المحيطين به وشراستهم، وقـد وصـف بعض الشعراء مواقفه الشجاعة في كربلاء، فقال(2):

طعمت أن تسومه ... وأبى الله والحسام

كيف يلوى على الدنية ... لسوى الله ما لواه

فأبى أن يعيش الا عزيزا ... أو تجلى الكفاح وهو

فتلقى الجموع فردا ... كل عضو في الروع

جموع زوج السيف ... مهرها الموت

وسر ذلك هو إيمانه القوي بالله، وبالمصير الذي يصـير إليـه، وبحقانية القضية التي يحملها، ويتحمل في سبيلها كـل ألـوان الألم والتعب، وقـد قـال الفخـر الـرازي ــ معـبرا عن دور الإيمـان في الشجاعة: (إن كل من كـان أكـثر علمـا بـأحوال عـالم الغيب كـان أقوى قلبا وأقل ضعفا، ولهـذا قـال علي بن أبي طـالب كـرم اللـه وجهـه: (واللـه، مـا قلعت بـاب خيـبر بقـوة جسـدانية، ولكن بقـوة ربانية)، وذلك لأن عليـا كـرم اللـه وجهـه في ذلـك الـوقت انقطـع نظره عن عالم الأجساد وأشرقت الملائكة بـأنوار عـالم الكبريـاء، فتقوى روحه وتشـبه بجـواهر الأرواح الملكيـة وتلألأت فيـه أضـواء عالم القدس والعظمة، فلاجرم حصل له من القـدرة مـا قـدر بهـا على ما لم يقدر عليه غيره، وكذلك العبد إذا واضب على الطاعات بلغ إلى المقام الذي يقول الله: (كنت له سمعا وبصرا)؛ فإذا صـار نور جلال الله سمعا له سمع القريب والبعيد، وإذا صار ذلـك النـور بصرا له رأى القريب والبعيد، وإذا صار ذلك النور يدا له قــدر على التصرف في الصعب والسهل والبعيد والقريب) (3)

---

1) بحار الأنوار 44/ 266، العوالم 17/ 149.

2) بحار الأنوار، 74/162.

3) التفسير الكبير، 21/91.

والشجاعة الـتي مثلهـا الإمـام الحسـين لم تكن قاصـرة على المعارك فقط، بل كانت عامة في جميع سلوكياته ومواقفه، والتي لم تكن لتكون كـذلك، لـولا شـجاعته؛ فقـد اتفـق علمـاء السـلوك والأخلاق على اعتبار الشـجاعة أساسـا من الأسـس الكـبرى الـتي تقوم عليها الفضـائل الخلقيـة، وقـد قـال الطرطوشـي معـبرا عن ذلك: (اعلم أن كل كريهـة ترفـع، أو مكرمـة تكتسـب لا تتحقـق إلا بالشـجاعة، ألا تـرى أنـك إذا هممت أن تمنح شـيئا من مالـك خـار طبعك، ووهن قلبـك، وعجـزت نفسـك، فشـححت بـه، وإذا حققت عزمـك، وقـويت نفسـك، وقهـرت ذلـك العجـز، أخـرجت المـال المضنون به، وعلى قـدر قـوة القلب وضـعفه تكـون طيبـة النفس بإخراجه، أو كراهية النفس لإخراجه مع إخراجه، وعلى هذا النمـط جميـع الفضـائل، مهمـا لم تقارنهـا قـوة نفس لم تتحقـق، وكـانت مخدوعة. فالجبان يفر عن أمه وأبيه. والشجاع يقاتل عمن لا يثوب بـه إلى رحلـه، فبقـوة القلب يصـاب امتثـال الأوامـر والانتهـاء عن الزواجـر، وبقـوة القلب يصـاب اكتسـاب الفضـائل، وبقـوة القلب ينتهى عن اتبـاع الهـوى والتضـمخ بالرذائـل. وبقـوة القلب يصـبر الجليس على إيـذاء الجليس وجفـاء الصـاحب، وبقـوة القلب يكتم الأسرار ويدفع العار، وبقوة القلب يقتحم الأمـور الصـعاب، وبقـوة القلب يتحمـل أثقـال المكـاره، وبقـوة القلب يصـبر على أخلاق الرجال، وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة أوجبها الحزم والعدل) [1]

ولهـذا ورد في النصـوص المقدسـة ذم الجبن، واعتبـاره من المهلكات العظيمة التي تدفع صاحبها إلى المهانـة والـذل والطمـع والكسـل (وحبّ الراحـة، وتمكين الظـالمين من الظلم عليـه، وتحمّله للفضـائح في نفسـه وأهلـه، واسـتماع القبـائح من الشـتم والقذف، وعـدم مبالاتـه بمـا يـوجب الفضـيحة، وتعطيـل مقاصـده وتـرك بعض تكاليفـه كـترك الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر وغيرها) [2]

---

1) سراج الملوك، أبو بكر محمد بن محمـد ابن الوليـد الفهـري الطرطوشـي المـالكي، المطبوعات العربية – مصر، 1289هـ، 1872م، (2/ 668- 670)

2) جامع السعادات، الشيخ المولى محمد مهدي النراقي، انتسارات اسماعليان، الطبعة: السابعة 1428، ج 1 ص 207.

ولهذا قال تعالى في وصف المنافقين يوم الأحزاب: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَـوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُـرُونَ إِلَيْـكَ تَـدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَـوْفُ سَـلَقُوكُمْ بِأَلْسِـنَةٍ حِـدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ الله أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِـكَ عَلَى اللـه يَسِـيرًا (19) يَحْسَـبُونَ الْأَحْـزَابَ لَمْ يَـذْهَبُوا وَإِنْ يَـأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 19، 20]

وقــال في وصــف حــالتهم مطلقــا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُــكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَـدُوُّ فَاحْـذَرْهُمْ قَـاتَلَهُمُ اللـه أَنَّى يُؤْفَكُـونَ﴾ [المنافقون: 4]

وهكذا حذر رسول الله ﷺ منه، بل اعتبره من المهلكات التي توبق صاحبها، فقال في وصيته للإمام علي : (يـا عليّ، لا تشـاورنّ جبانا، فإنّه يضيّق عليك المخرج.. واعلم يا عليّ، أنّ الجبن والبخـل والحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظنّ بالله)(1)

وقال الإمام علي : (البخل عار والجبن منقصة)(2)

ونفى الإمـام البـاقر الإيمـان الحقيقي الكامـل عن الجبـان؛ فقال: (لا يؤمن رجل فيه الشحّ والحسد والجبن، ولا يكون المؤمن جبانا ولا حريصا ولا شحيحا)(3)

وانطلاقا من هذه النصـوص يمكن تفسـير كـل مـا حصـل من تخلـف عن الإمـام الحسـين ، ونقض للعهـود المرتبطـة بـه وبأبيـه وأخيه ، بهذه الخصـلة الذميمـة، الـتي جعلت كبـار القـوم يـتركون حفيد رسول الله ﷺ ويقبلون ببيعة يزيد خوفـا وجبنـا وحرصـا على الحياة.

1) الخصال ج 1 ص 101 .

2) نهج البلاغة ص 1089 .

3) الخصال ج 1 ص 82 ح 8

رابعا ـ العزة والأنفة:

وهي من الصفات التي وصف الله بها عباده المؤمنين الممثلين للدين الحقيقي، والذين يستبدل الله بهم المغيرين والمبدلين، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54]

فهذه الصفات جميعا تنطبق على الإمام الحسين الذي خرج مع تلك الثلة المؤمنة القليلة ليواجه أكبر حركة تحريفية حصلت للإسلام، تريد أن تحوله إلى دين كسروي وقيصري، لا علاقة له بالحياة، ولا بالسياسة، ولا بهموم الناس.

ولذلك عبر الإمام الحسين عن تلك الحركة بذلك الشعار الذي لا يزال يردده الحسينيون إلى اليوم، وهو قوله: (ألا وإنّ الدّعي ابن الدّعي قد ركز بين اثنتين : بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله، ونفوسٌ أبيّة وأنوفٌ حميّة مِنْ أنْ نؤثرَ طاعة اللئام على مصارع الكرام)(1)

وقال مخاطبا أولئك الجبناء الذين قعدوا عن مواجهة الباطل، واستسلموا للدنيا وأهوائها: (إنه قد نزل من الامر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، واستمرت جدا ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقا حقا، فاني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما، وإن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه مادرت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون)(2)

---

1) نفس المهموم:131، مقتل الخوارزمي 7:2، بحار الأنوار 83:45 .

2) تاريخ الطبري 3:ـ 307، بحار الأنوار 78:ـ 116، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي 1: 237. مناقب ابن شهرآشوب 4/ 68- 69.

ثم أنشد متمثّلا:

سأمضي فما بالموت ... إذا ما نوى خيرا
و واسى الرجال ... و فارق مذموما
أقدّم نفسي لا أريد ... لنلقى خميسا في
فإن عشت لم أذمم ... كفى بك ذلا أن

وقال: (والّله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد، إني عذت بربي وربكم أن ترجمون)[1]

وعندما عزم على مغادرة الحجاز والتوجه الى العراق اجتمع إليه خلق كثير في المسجد الحرام من الحجاج وأهل مكة، فخطب فيهم قائلا: (الحمد لله وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله ﷺ، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلا، فيملأن مني اكراشا جوفا، وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقربهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلا مهجته، موطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحا إن شاء الله تعالى)[2]

وقد كانت هذه الكلمات وغيرها هي الشعارات التي حركت ما حصل في التاريخ الإسلامي من ثورات على الظلم والاستبداد، والتي اتخذ فيها المسلمون الإمام الحسين أسوة لهم في مقارعة الظالمين، وعدم السكون للظلمة والمستبدين.

ولهذا وصف الإمام الحسين بكونه أبي الضيم وشديد

---

1) تاريخ الطبري 3/ 318، الارشاد: 234، الكامل في التاريخ 2/ 561، بحار الانوار 45/ 6.

2) كشف الغمة 2 / 241..

العزة(1)، وقال ابن أبي الحديد في وصفه: (سيد أهل الإباء الذي علم الناس الحمية، والموت تحت ظلال السيوف اختيارا على الدنية، أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عرض عليه الأمان هو وأصحابه فأنف من الذل، وخاف ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنه لا يقتله، فاختار الموت على ذلك)(2)

ثم راح يذكر بعض ما قيل من أشعار في عزته وحميته وإبائه للضيم، ومنها قوله: (سمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي يقول: كأن أبيات أبي تمام في محمد بن حميد الطائي ما قيلت إلا في الحسين(3):

وقد كان فوت الموت ... إليه الحفاظ المر ...
ونفس تعاف العار ... هو الكفر يوم الروع أو ...
فأثبت في مستنقع ... وقال لها من تحت ...
تردى ثياب الموت ... لها الليل إلا وهي من ...

وهكذا نجد كل الشعراء يثنون على العزة الحسينية التي جعلته مثالا ونموذجا للسيد الحقيقي الذي يأبى الخضوع والذلة، ومنهم السيد حيدر الحلي الذي قال في بعض قصائده(4):

طمعت أن تسومه ... وأبى الله والحسام
كيف يلوي على ... لسوى الله ما لواه
ولديه جأش أرد من ... لضمأى القنا وهن
وبه يرجع الحفاظ ... ضاقت الأرض وهي

1) تاريخ اليعقوبي 2 / 293.

2) شرح ابن أبي الحديد 1 / 302..

3) شرح ابن أبي الحديد 1 / 302..

4) ديوان السيد حيدر الحلي: 71.

فأبى أن يعيش إلا عزيزا   أو تجلى الكفاح وهو صريع

وقال في قصيدة أخرى يصف إباء الحسين (1) :

لقد مات لكن ميتة هاشمية   لهم عرفت تحت القنا المتقصد

كريم أبى شم الدنية أنفه   فأشممه شوك الوشيج المسدد

وقال قفي يا نفس وقفة وارد   حياض الردى لا وقفة المتردد

رأى أن ظهر الذل أخشن مركبا   من الموت حيث الموت منه بمرصد

فآثر أن يسعى على جمرة الوغى   برجل ولا يعطي المقادة عن يد

خامساً ـ المروءة والشهامة:

وهي من الصفات التي اعتبرها أئمة أهل البيت من صفات الرسل وورثتهم الأساسية، كما قال الإمام الصادق : (إنّ الله عزّ وجلّ خصّ رسله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله، واعلموا أنّ ذلك من خير، وإن لا تكن فيكم فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها، قال: فذكر ها عشرة: اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروءة)(2)

وعرفها في حديث آخر بقوله: (المروءة مروءتان: مروءة في السفر ومروءة في الحضر، فأمّا مروّة الحضر، فتلاوة القرآن وحضور المساجد وصحبة أهل الخير، والنظر في الفقه، وأمّا مروءة السفر، فبذل الزاد، والمزاح في غير ما يسخط الله عزّ وجلّ، وقلّة الخلاف على من صحبك، وترك الرواية عليهم إذا أنت فارقتهم، وكثرة ذكر الله في كلّ مصعد ومهبط ونزول وقيام وقعود)(3)

1) المرجع السابق، ص 72.

2) الكافي، 2/46.

3) الوسائل ج 11 ص 436

وذكر الإمام علي شروطها، فقال: (بالصدق والوفاء تكمل المروءة لأهلها)(1)

وقد ورد ذكرها في قوله ﷺ: (كرم المؤمن دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه)(2)

وورد في حديث آخر بمعناها، حيث قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل كريم يحب الكرماء ويحب معالي الأمور، ويكره سفسافها)(3)

وبناء على هذه النصوص وغيرها عرفها علماء الأخلاق بكونها (مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها، حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق)(4)

وقال آخر: (المروءة هي الإنسانية. وقيل هي الرجولية الكاملة)(5) .

وقال آخر: (هي قوة للنفس مبدأ لصدور الأفعال الجميلة عنها المستتبعة للمدح شرعا وعقلا وعرفا)(6)

---

1) نهج البلاغة، ص 335.

2) الحاكم (1/ 123) وقال: صحيح على شرط مسلم.

3) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه إلا أنه قال: يحب معالي الأخلاق، ورجال الكبير ثقات، انظر: مجمع الزوائد (8/ 188)

4) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، 1986م، (306)

5) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (874)

6) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م، (210)

وهي بذلك تجتمع مـع كثـير من الأخلاق الطيبـة المقاربـة لهـا كالشهامة والشـرف والنبـل وعلـو الهمـة، وغيرهـا، ونحن لا تعنينـا المصطلحات بقدر ما تعنينا المعاني.

وقد أشار إليها الإمام الحسين في بعض خطبه، حين قال: (يا أيهـا النـاس نافسـوا في المكـارم، وسـارعوا في المغـانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوا، واكسبوا الحمد بـالنجح، ولا تكتسـبوا بالمطل ذمّا فمهما يكن لأحد عند أحد صـنيعة لـه رأى أنـه لا يقـوم بشكرها فالله له بمكافأته فإنه أجزل عطاء، وأعظم أجرا، واعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملّـوا النعم فتحـور نقما، واعلموا أن المعروف مكسب حمدا، ومعقب أجرا، فلو رأيتم المعـروف رجلا رأيتمـوه حسـنا جميلا يسـرّ النـاظرين، ولـو رأيتم اللـؤم رأيتمـوه سـمجا، مشـوّها تنفّـر منـه القلـوب وتغضّ دونـه الأبصار)[1]

ثم قال: (أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجـود النـاس من أعطى من لا يرجـوه، وإن أعفى النـاس من عفى عن قـدرة، وإن أوصـل النـاس من وصـل من قطعـه، والأصـول على مغارسها بفروعها تسـمو، فمن تعجّـل لأخيـه خـيرا وجـده إذا قـدم عليه غدا، ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو اكـثر منـه، ومن نفّس كربة مؤمن فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخـرة، ومن احسـن احسن الله اليه، والله يحب المحسنين)

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض مظاهرها عند ذكره لقصة موسى ، وخاصة هذا المشهد الذي يمثل المروءة والشهامة بأنبـل معانيهـا، قـال تعـالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَـاءَ مَـدْيَنَ وَجَـدَ عَلَيْـهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَـالَ مَـا خَطْبُكُمَـا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَـاءُ وَأَبُونَـا شَـيْخٌ كَبِـيرٌ (23) فَسَـقَى لَهُمَـا ثُمَّ تَـوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَـالَ رَبِّ إِنِّي لِمَـا أَنْـزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْـرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: 23، 24]

وهكذا ذكر هذا الخلق العظيم في قصة يوسـف ، وكيـف أنـه

---

[1] كشف الغمة: 2/ 204.

أجاب العزيز إلى طلبه مع كونه في السجن، من غير أن يشترط إخراجه منه، بل أجاب بكل أريحية، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف: 45 - 49]

وذكر القرآن الكريم كذلك موقفه عندما طلب منه الملك المجيء إليه، فهو لم يستغل الفرصة، ويسرع بالخروج على الرغم من كونه كان في السجن، ولفترة طويلة، وإنما راح يطلب تبرئة ساحته قبل ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50]

وهكذا ذكرها القرآن الكريم عندما أشاد بأولئك ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9]

وذكرها في الآيات التي تشيد بأهل بيت النبوة وأخلاقهم العالية، وذلك عند ذكره للأبرار الذين ﴿يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: 8 - 10]

وعند تطبيق هذه المعاني على حياة الإمام الحسين نجدها مملوءة بالنبل والمروءة والشهامة والهمة العالية، ولذلك لا يمكن اختصار أخلاقه في أي مشهد من المشاهد، ذلك أنه دفع حياته الكريمة ثمنا لمروءته ونبله؛ فهو الذي قام مع ثلة محدودة جدا في وجه أكبر قوة عاتية طاغية، لينصر المستضعفين، ويرد حقوقهم، ولا زال إلى الآن مثالا للنبل والشهامة والأخلاق العالية.

ولكن مع ذلك نذكر هنا بعض مشاهد مروءته، كما رواه الرواة عنه، ومنها ما روي أنه دخل المستراح؛ فوجد لقمة ملقاة، فدفعها إلى غلام له، فقال: يا غلام اذكرني بهذه اللقمة إذا خرجت فأكلها الغلام، فلما خرج الإمام الحسين قال: يا غلام أين اللقمة؟ قال: أكلتها يا مولاي. قال: أنت حرّ لوجه الله تعالى. قال له رجل: أعتقته يا سيدي؟ قال: نعم، سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: (من وجد لقمة ملقاة فمسح منها، أو غسل ما عليها ثمّ أكلها لم تستقرّ في جوفه إلّا أعتقه الله من النار، ولم أكن لأستعبد رجلا أعتقه الله تعالى من النار) (1)

وروي أنّ رجلا قال له: اجلس حتّى نتناظر في الدين، فقال: (يا هذا أنا بصير بديني مكشوف عليّ هداي، فإن كنت جاهلا بدينك فاذهب واطلبه، ما لي وللمماراة؟! وانّ الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ويقول: ناظر الناس في الدين كي لا يظنّوا بك العجز والجهل، ثم المراء لا يخلو من أربعة أوجه: إمّا أن تتمارى أنت وصاحبك فيما تعلمان فقد تركتما بذلك النصيحة وطلبتما الفضيحة وأضعتما ذلك العلم، أو تجهلانه فأظهرتما جهلا وخاصمتما جهلا، أو تعلمه أنت فظلمت صاحبك بطلبك عثرته، أو يعلمه صاحبك فتركت حرمته ولم تنزله منزلته. وهذا كلّه محال، فمن أنصف وقبل الحقّ وترك المماراة فقد أوثق إيمانه، وأحسن صحبة دينه، وصان عقله) (2)

وروي أنه دخل على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: واغمّاه. فقال له الحسين : وما غمّك يا أخي؟ قال: ديني وهو ستّون ألف درهم. فقال الحسين: هو عليّ! قال: إنّي أخشى أن أموت. فقال الحسين: لن تموت حتّى أقضيها عنك. قال: فقضاها قبل موته(3).

---

1) عيون أخبار الرضا 2/ 43 ، وصحيفة الإمام الرضا 74.

2) بحار الأنوار 2/ 135.

3) مناقب ابن شهرآشوب 4/ 65.

وروي أن أعرابيا قدم المدينة، فسـأل عن أكـرم النـاس بهـا، فدلّ على الحسين ، فدخل المسجد فوجـده مصـلّيا فوقـف بإزائـه وأنشأ يقول:

لم يخب الآن من   حرّك من دون
أنت جواد وأنت   أبوك قد كان قاتل
لو لا الّذي كان من   كانت علينا الجحيم

قال: فسلّم الحسين وقال: يا قنبر هل بقي من مال الحجـاز شيء؟ قال: نعم أربعة آلاف دينـار، فقـال: هاتهـا قـد جـاء من هـو أحقّ بها منّا، ثم نزع برديه ولفّ الدنانير فيها وأخرج يـده من شـقّ الباب حياء من الأعرابي وأنشأ يقول:

خذها فإنّي إليك   و اعلم بأنّي عليك
لو كان في سيرنا   أمست سمانا عليك
لكنّ ريب الزمان   و الكفّ منّي قليلة

قال: فأخذها الأعرابي وبكى، فقال لـه: لعلّـك اسـتقللت مـا أعطيناك؟ قال: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك(1).

وروي عنـه أنـه قـال: (صـحّ عنـدي قـول النـبي ﷺ: أفضـل الأعمال بعـد الصـلاة إدخـال السـرور في قلب المـؤمن بمـا لا إثم فيه، فإنّي رأيت غلاما يواكل كلبا، فقلت له في ذلك، فقال: يـا ابن رسـول اللـه ﷺ إنّي مغمـوم أطلب سـرورا بسـروره لأنّ صـاحبي يهودي أريد أفارقه، فأتى الحسين إلى صاحبه بمائتي دينار ثمنا له، فقال اليهودي: الغلام فداء لخطاك، وهذا البستان له ورددت عليك المال، فقال : وأنا قد وهبت لك المال، فقال: قبلت المال ووهبتـه للغلام، فقال الحسـين : أعتقت الغلام ووهبتـه لـه جميعـا، فقـالت امرأته: قد أسلمت ووهبت زوجي مهري، فقال اليهودي: وأنا أيضـا أسلمت وأعطيتها هذه الدار) (2)

---

1) المرجع السابق 4/ 65- 66.

2) المرجع السابق 4/ 75.

وروي عن أنس قال: كنت عند الحسين فدخلت عليه جارية فحيّته بطاقة ريحان، فقال لها: أنت حرّة لوجه الله، فقلت: تحييك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها؟ قال: كذا أدّبنا الله، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: 86]، وكان أحسن منها عتقها) (1)

ومنها ما روي أنه جاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة فقال : (يا أخا الأنصار صن وجهك عن بذلة المسألة وارفع حاجتك في رقعة، فإنّي آت فيها ما سارّك إن شاء الله)، فكتب: يا أبا عبد الله إن لفلان عليّ خمسمائة دينار وقد ألحّ بي فكلّمه ينظرني إلى ميسرة، فلما قرأ الحسين الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرّة فيها ألف دينار، وقال له: (أما خمسمائة فاقض بها دينك وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلّا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروّة، أو حسب، فأمّا ذو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروّة فإنّه يستحيي لمروّته، وأما ذو الحسب فيعلم إنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك) (2)

ومنها ما روي أن غلاما للحسين جنى جناية توجب العقاب عليه، فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: 134]، قال: خلّوا عنه، فقال: يا مولاي ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 134]، قال: قد عفوت عنك، قال: يا مولاي ﴿وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: 134]، قال: أنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك)(3)

ومنها ما روي أنه مر براع فأهدى الراعى إليه شاة، فقال له الإمام الحسين : حر أنت أم مملوك ؟ فقال: مملوك، فردها

---

1) كشف الغمّة 2/ 206.

2) تحف العقول 247.

3) كشف الغمّة 2/ 207.

الحسين عليه فقال له المملوك: إنها لى، فقبلها منه ثم اشتراه واشترى الغنم فأعتقه وجعل الغنم له(1) .

وهكذا كان يراعي مروءته في أحلك الظروف التي مر بها في كربلاء، فقد روي أن زهير بن القين طلب من الإمام الحسين منازلة الحر وأصحابه، قبل أن يجتمع الجيش، وقال له: (بأبي وأمي يا ابن رسول الله، والله لو لم يأتنا غير هؤلاء لكان لنا فيهم كفاية، فكيف بمن سيأتينا من غيرهم ؟ فهلم بنا نناجز هؤلاء، فإن قتال هؤلاء أيسر علينا من قتال من يأتينا من غيرهم)، فقال له الحسين : (إني أكره أن أبدأهم بقتال حتى يبدأوا)(2)

وقد كانت هذه الروايات وغيرها، سببا في ظهور من يطلق عليهم لقب (الفتيان)، وأطلق على سلوكهم لقب (الفتوة)، ولعل هذا الاصطلاح ناشئ من أن أكثر من يتخصص في هذا الجانب يكون من الفتيان والشباب(3)، كما نجد في وقتنا أكثر من ينتسب للكشافة من الشباب والأحداث.

وهي ـ كما عرفها بعضهم ـ (منزلة الإحسان إلى الناس، وكف الأذى عنهم، واحتمال أذاهم، فهي استعمال حسن الخلق معهم، فهي في الحقيقة نتيجة حسن الخلق واستعماله)(4)

---

1) المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر – بيروت، 8/ 514.

2) أنساب الأشراف ج3، ص176. الكامل فى التاريخ ج4، ص51-52.

3) اتفق المتحدثون على الفتوة على أن أصلها من الفتى، وهو الشاب الحديث السن، قال الله تعالى عن أهل الكهف: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾ (الكهف:13)، وقال عن قوم إبراهيم ﷺ إنهم قالوا: ﴿ سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الانبياء:60)، وقال تعالى عن يوسف ﷺ: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ (يوسف:36)، وقال: ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ (يوسف:62)

4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م، 2/340.

وعرفها آخر، فقال:(والفتوة من أعظم خصال الخير جامعة كمال المروءة وحسن الخلق والإيثار على النفس واحتمال الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه والقوة على ذلك، حتى تكون فتوته على ذلك فتوة الفتيان والصفح عن العثرات ويكون خصما لربه على نفسه وينصف من نفسه ولا ينتصف ولا ينازع فقيرا ولا غنيا ويستوي عنده المدح والذم والدعاء والطرد ولا يحتجب ولا يدخر ولا يعتذر ويظهر النعمة ويحقق المحبة سرا وعلنا فإذا قوي على ذلك فهو الفتى وإذا اجتمع قوم على ذلك وتعاهدوا عليه فنعم ما هو)(1)

وهي قريبة من المروءة، وإن كان (المروءة) أعم منها، لأنها (استعمال ما يجمل ويزين مما هو مختص بالعبد أو متعد إلى غيره، وترك ما يدنس ويشين مما هو مختص أيضا به أو متعلق بغيره)(2)

وقد ذكر ابن القيم أن أقدم من تكلم في الفتوة الإمام جعفر الصادق ، ثم الفضيل بن عياض والإمام أحمد وسهل بن عبدالله والجنيد ثم الطائفة، فذكر عن الإمام جعفر الصادق أنه سئل عن الفتوة فقال للسائل:(ما تقول أنت؟) فقال:(إن أعطيت شكرت وإن منعت صبرت)، فقال:(الكلاب عندنا كذلك)، فقال السائل:(يا ابن رسول الله ﷺ فما الفتوة عندكم؟)، فقال:(إن أعطينا آثرنا، وإن منعنا شكرنا) (3)

سادسا ـ الزهد والورع:

وهما صفتان مرتبطتان ارتباطا ضروريا، ذلك أنه لا يمكن أن يكون هناك زهد ما لم يسبقه ورع، ولا يمكن أن يتم ورع ما لم يكن صاحبه ممتلئا بالزهد في الدنيا وزخارفها؛ فحب الدنيا رأس

1) فتاوى السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، دار المعارف، 2/548.

2) مدارج السالكين:2/340.

3) المرجع السابق :2/342.

كل خطيئة، وحطام الدنيا يجر بعضه إلى بعضه إلى أن يوصل صاحبه إلى اقتحام حرمات الله، والتخلي عما يقتضيه الورع من مراعاة الاحتياط.

ولهذا نرى في كلمات الأئمة الجمع بين هاتين الصفتين والحث عليهما، فقد روي أن رجلا سأل الإمام السجاد عن الزهد، فقال: (عشرة أشياء؛ فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا)(1)

وهذا الحديث يشير إلى إلى أن الزهد هو أبو الفضائل، كما أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، ذلك أن الرجل ـ بحسب الرواية ـ لا يكون ورعا حتّى يكون زاهدا، ولا يكون موقنا حتّى يكون ورعا، ولا يكون راضيا إلّا أن يكون موقنا، وبذلك فإن الزهد يجرّ إلى الورع، والورع يجر إلى اليقين، واليقين يجر إلى الرضا، وهكذا تُسلم الفضائل الأخلاقية بعضها إلى بعض.

وهذا المعنى الوارد في رواية أئمة أهل البيت من المعاني القرآنية والنبوية التي لا يجادل فيها أحد، فالله تعالى يأمر رسوله ﷺ بالزهد في حطام الدنيا، ويخبره أن ما عند الله خير وأبقى، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: 131، 132]

وهكذا نرى في سنة رسول الله ﷺ وسيرته العطرة الروايات الكثيرة التي تخبر عن تقلل رسول الله ﷺ من الدنيا، وتنفيره منها، ودعوته إلى الرغبة في الآخرة، وفيما عند الله تعالى.

وعلى هذا المنهج سار الإمام الحسين ؛ فحياته وسلوكه وأكثر مواعظه كانت تحذيرا من الدنيا، والرغبة فيها، وبيع الآخرة لأجلها، لأنه رأى أن ما حصل من تبديل وتغيير وتحريف للدين وقيمه، لم ينشأ إلا بسبب حب الدنيا والاستكثار منها.

(1) الكافي ج 2 ص 104 .

ولهـذا صـار خاصـة النـاس وعـامتهم يرضـون بـني أميـة، ويتبعونهم، لا لأن الحق معهم، فهم موقنـون أن الحـق مـع آل بيت النبوة ، ولكن اتبعوهم طمعا في زخـرف الحيـاة الـدنيا، وقـد روي عن الإمام الصادق أنه قال: حدّثني أبي عن أبيـه أن رجلا من أهـل الكوفـة كتب إلى أبي الحسـين بن علي يـا سـيّدي أخـبرني بخـير الـدنيا والآخـرة فكتب صـلوات اللـه عليـه: (بسـم اللـه الـرحمن الرحيم، أما بعد، فإن من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضى الناس بسـخط اللـه وكلـه اللـه إلى الناس والسّلام) (1)

وكان يخبرهم أن سر الزهد يكمن في اليقين فيما عنـد اللـه؛ فمن عرف قدرة اللـه وفضـله الواسـع، احتقـر الحيـاة الـدنيا، ولم يبال بها، وكيف يفعل ذلك، وهي لا تساوي عند الله جنـاح بعوضـة، وقد روي عن الإمام السـجاد أنـه قـال: (لمّـا اشـتدّ الأمـر بالإمـام الحسين نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم، لأنّهم كلّما اشـتدّ الأمر تغيّـرت ألـوانهم وارتعـدت فرائصـهم ووجلت قلـوبهم، وكـان الحسـين وبعض من معـه من خصائصـه تشـرق ألـوانهم، وتهـدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبـالي بـالموت! فقـال لهم الإمـام الحسـين : (صـبرا بـني الكـرام! فمـا المـوت إلّا قنطـرة تعـبر بكم عن البـؤس والضـرّاء إلى الجنـان الواسـعة والنعم الدائمـة، فـأيّكم يكـره أن ينتقـل من سـجن إلى قصـر؟ ومـا هـو لأعـدائكم إلّا كمن ينتقـل من قصـر إلى سـجن وعذاب، إن أبي حدثني عن رسول الله ﷺ أنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنّـاتهم، وجسـر هـؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت، ولا كذبت) (2)

وروي عنه أنه قال: (خرجنا مـع الحسـين فمـا نـزل مـنزلا ولا ارتحل منه إلّا وذكر يحيى ابن زكريّا وقـال يومـا: من هـوان الـدنيا على الله عـزّ وجـلّ أنّ رأس يحـيى بن زكريّـا أهـدى إلى بغيّ من

1) الاختصاص 225، أمالي الصدوق 167- 168.

2) معاني الأخبار 288،.

بغايا بني إسرائيل)[1]

وقال في بعض مواعظه: (إنّ جميع ما طلعت عليه الشـمس في مشارق الأرض ومغاربها، بحرها وبرّها، سهلها وجبلها عند ولي من أولياء الله وأهل المعرفة بحق الله كفيء الظِلال)[2]

وقال: (ألا حرٌّ يدع هذه اللماظة ـ يعني الـدنيا ــ لأهلهـا، ليس لأنفسـكم ثمّ إلاّ الجنّـة، فلا تبيعوهـا بغيرهـا؛ فإنـه مَن رضـى اللـه بالدنيا فقد رضي بالخسيس) [3]

وسأله بعضهم: كيف أصبحت يـابن رسـول اللـه ﷺ؟ ففقـال: (أصـبحت ولي ربّ فـوقي، والنـار أمـامي، والمـوت يطلبـني، والحساب محدق بي، وأنا مرتهن بعملي، لا أجد ما أحب، ولا أدفـع ما أكره، والأُمور بيد غيري، فإن شاء عذّبني، وإن شـاء عفـا عنّي، فأيّ فقير أفقر منّي؟)[4]

وقال في موعظة أخرى: (يـابن آدم، تفكّـر وقـل: أين ملـوك الدنيا وأربابهـا الـذين عمّـروا خرابهـا، واحتفـروا أنهارهـا، وغرسـوا أشـجارها، ومـدّنوا مـدائنها؟ فارقوهـا وهم كـارهون، وورثهـا قـوم آخرون، ونحن بهم عمّا قليـل لاحقـون. يـابن آدم، اذكـر مصـرعك، وفي قبرك مضجعك بين يدي الله، تشهد جوارحك عليك يوم تزول فيه الأقدام، وتبلغ القلوب الحناجر، وتبيّض وجوه، وتبـدو السـرائر، ويُوضع الميزان القسط، يابن آدم، اذكر مصارع آبائك وأبنائك كيف كانوا وحيث حلّوا، وكأنّك عن قليل قد حللت محلّهم، وصرت عبرة

1) بحار الأنوار 14/ 175.

2) المرجع السابق: 78 / 306.

3) المرجع السابق: 78 / 306.

4) أمالي الصدوق : 487، روضة الواعظين : 489 .

المعتبر)[1]

ثمّ أنشد يقول:

أين الملوكُ التي عن حتّى سقاها بكأسِ
تلك المدائنُ في الآفاق عادت خراباً وذاق
أموالنا لذوي الورّاث ودورنا لخراب الدهرِ

ولكن مع ذلك كله لم يكن ليفعل ما فعله أولئك الذين جرهم ما يعتبرونه زهدا إلى تحريم الحلال، أو ترك الطيبات، التي نهى الله عن تحريمها، فقال: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32]

ولهذا، فقد روي أنه دخل عليه قوم؛ فقالوا: يا بن رسول الله نرى في منزلك أشياء مكروهة ــ وقد رأوا في منزله بساطا ونمارق ـ فقال: (إنّما نتزوّج النساء فنعطيهنّ مهورهنّ، فيشترين بها ما شئن، ليس لنا منه شيء)[2]

وهذا يذكرنا بالإمام الرضا الذي روي أن سفيان الثوري لقيه في ثوب خز، فقال: يا ابن رسول الله ﷺ لو لبست ثوبا أدنى من هذا، فقال: هات يدك؛ فأخذ بيده، وأدخل كمه؛ فإذا تحت ذلك مسح، فقال: (يا سفيان الخز للخلق والمسح للحق)[3]

سابعا ـ التواضع والألفة:

وكلاهما من الصفات الضرورية التي وصف الله تعالى بها أنبياءه ورسله وأولياءه ، والتي جعلت المستضعفين ينجذبون

[1] إرشاد القلوب المنجي من عمل به من أليم العقاب، الحسن بن أبي الحسن الديلمي، ط الأُولى 1424 هـ، دار الاسوة، قم.: 1/ 29.

[2] مكارم الاخلاق، رضي الدين نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، مكتبة الالفين – الكويت، ص 131.

[3] مناقب آل ابى طالب: 2/ 412.

إليهم، فرارا من كبرياء المستكبرين وتجبرهم، قال تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ [آل عمران: 159]

وقال مخبرا عن صفوة عباده، الذين سماهم عباد الرحمن: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهلونَ قَالُوا سَلَامًا [الفرقان: 63]

ووصف عباده الذين يحافظون على قيم الدين في الوقت الذي يبدل فيه غيرهم؛ فقال: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة: 54]

وكل هذه الصفات اجتمعت في الإمام الحسين وفي جميع أئمة أهل البيت الذين وقفوا بقوة وعزة في وجوه المستبدين والمستكبرين في نفس الوقت الذي كانوا فيه ألين الناس مع العامة والضعفاء، امتثالا لقوله تعالى: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [الشعراء: 215]

ومما يروى عن الإمام الحسين في ذلك أنه مرّ بمساكين قد بسطوا كساء لهم فألقوا عليه كسرا، فقالوا: هلمّ يا بن رسول الله.. فأكل معهم، ثم تلا قوله تعالى: إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ [النحل: 23]، ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم يا ابن رسول الله ﷺ، وتعمى عين، فقاموا معه حتى أتوا منزله، فقال للرباب: (اخرجي ما كنت تدّخرين)(1)

وروي أن أعرابيّا جاءه وقال: يا ابن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل أكرم الناس، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله ﷺ، فقال : (أسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث

---

(1) تفسير العياشي، محمّد بن مسعود العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران: 2/ 257.

المال، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثى المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل). فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله ﷺ يسأل مثلى، وأنت من أهل العلم والشرف ؟ فقال الحسين (بلى، سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: المعروف بقدر المعرفة. فقال الأعرابي: سل عما بدا لك، فإن أجبت وإلا تعلمت منك. فقال الحسين : (أي الأعمال أفضل؟)، فقال الاعرابي: الايمان بالله، فقال الحسين : (فما النجاة من المهلكة؟)، فقال الاعرابي: الثقة بالله، فقال الحسين : (فما يزين الرجل؟) فقال الأعرابي: علم معه حلم. فقال الحسين : (فإن أخطأه ذلك)، فقال الأعرابي: مال معه مرؤة، فقال الحسين : (فإن أخطاه ذلك؟)، فقال الأعرابي: فقر معه صبر. فقال الحسين : (فإن اخطأه ذلك؟)، فقال الاعرابي: فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فإنه أهل لذلك، فضحك الحسين ورمى إليه بصرة فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مئتا درهم، وقال الحسين : (يا اعرابي أعط الذهب غرماءك، واصرف الخاتم في نفقتك)، فأخذ الأعرابي المال وقال: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: 124])[1]

وروي أنه كان جالسا في مسجد جده رسول الله ﷺ بعد وفاة أخيه الحسن ، وكان عبد الله بن الزبير جالسا في ناحية المسجد، وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرى، فجاء أعرابي على ناقة فعقلها باب المسجد ودخل، فوقف على عتبة بن أبي سفيان فسلم عليه فرد ، فقال له الأعرابي: إني قتلت ابن عم لي وطولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئا؟، فرفع رأسه إلى غلامه، وطلب منه أن يدفع له مائة درهم، فقال الأعرابي: ما أريد إلا الدية تماما. ثم تركه، وأتى عبد الله بن الزبير وقال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبد الله لغلامه: ادفع إليه مائتي درهم، فقال الأعرابي: ما أريد إلا الدية تماما. ثم تركه، وأتى الحسين فسلم عليه وقال: يا ابن رسول الله إني قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئا ؟ فقال له: (يا أعرابي نحن قوم لا نعطي المعروف إلا على قدر المعرفة). فقال: سل ما تريد.

---

1) جامع الأخبار: 160، بحار الأنوار 44:ـ 196 حديث 11، العوالم 17:ـ 59 حديث 1، المجالس السنية 1:ـ 210 المجلس التاسع، احقاق الحق 11:ـ 4410، اعيان الشيعة 1: 579..

فقال له الحسين : (يا إعرابي ما النجاة من الهلكة) ؟ قال: التوكل على الله عزوجل، فقال : (وما الهمة) ؟ قال: الثقة بالله، ثم سأله الحسين غير ذلك وأجاب الأعرابي فأمر له الحسين بعشرة آلاف درهم وقال له: (هذه لقضاء ديونك، وعشرة آلاف درهم أخرى وقال: هذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك)، فأنشأ الأعرابي يقول(1):

طربت وما هاج لي	ولا لي مقام ولا
ولكن طربت لآل	فلذ لي الشعر
هم الأكرمون هم	نجوم السماء بهم
سبقت الأنام إلى	فقصر عن
بكم فتح الله باب	وباب الفساد بكم

وفوق هذا كله، فقد كان ما يخفيه أكثر مما يظهره، وقد روي أنه وجد على ظهره أثر، فسئل زين العابدين عن ذلك ؟ فقال (هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين) (2)

---

1) أعيان الشيعة 1: 580.

2) المرجع السابق 1: 580.

الفصل الرابع

الإمام الحسين والقيم الرسالية

كل القيم التي سبق ذكرهـا، يمكن أن يؤديهـا الـوارث للنبـوة بنفســه ولنفســه، من غــير أن يصــاب بــأي أذى، أو يتعــرض لأي مكروه، أو يحاول الطغاة صده عن طـريقهم، لأنهـا قيم بين العبـد ونفسه، أو العبد وربه، أو العبد وعامة الناس.

لكن الأمر في القيم الرسـالية مختلـف، لأنهـا تقـف في وجـه المفاصلة التي يريدها الطغاة من الدين الذي يريـدون حصـره في علاقــة العبــد بربــه، أو يريــدون تدجينــه ليتناســب مــع طمــوحهم وأهوائهم، ويحول الرعية إلى سدنة لرغباتهم، وبذلك يتحول الـدين إلى أفيون للشعوب، ومخدر لها، كما يتحـول إلى أداة بيـد الطغـاة يمارسون من خلاله شهواتهم في الاستبداد واللصوصية.

ولهذا كان الـدور الأكـبر والأشـهر للإمـام الحسـين ــ باعتبـار الظـروف الـتي مـر بهـا ــ هـو في مواجهـة الاسـتكبار والاسـتبداد والتحريـف، ولـذلك كـانت القيم الرسـالية في هـذا الجـانب أظهـر عنـده من سـائر الجـوانب، حـتى لا يكـاد يعرفـه الكثـيرون إلا من خلالها.

وقد استطاع ـ بسبب تلك الملحمة التي لم يحصل مثلهــا في التاريخ ـ أن يحفظ القيم الرسالية حفظا أبديا؛ فيسـطر بدمـه ودم أهله وأصحابه التعريف الحقيقي للإسلام، وأنه ليس كتلـك الأديـان الـتي تحـولت إلى أدوات بيـد الطغـاة والظلمـة يسـتعملونها في الاستخفاف بعقول شعوبهم، وإنما هو دين العدالـة والرحمـة وكـل القيم الإنسانية النبيلة.

لذلك كان للقيم الرسالية التي أحياها الإمـام الحسـين دورهـا الكبير في حياة الدين، وثورة الشعوب، والتخلص من نير الاستبداد والاستكبار، كما كان لها دورها في حفظ الدين من التحريف وعلى مدى جميع العصور.

بناء على هذا نحاول في هذا الفصل التعريف بأهم الأدوار التي قام بها الإمام الحسين في حفظ الدين الأصيل، وقد رأينا أنه يمكن تقسيمها إلى أربعة أدوار كبرى.

1 ـ دوره في تبليغ الدين الأصيل والقيم المرتبطة به، وذلك عبر رواية أحاديث رسول الله ﷺ أو أحاديث أبيه ونقلها للأمة عبر أصحابه وأهله.

2 ـ دوره في مواجهة الانحرافات العقدية والسلوكية التي حاول المحرفون من بني أمية وغيرهم إلصاقها بالدين.

3 ـ دوره في مواجهة الاستبداد والظلم والحكم الوراثي الذي أراد من خلاله بنو أمية تحول الإسلامي إلى نظام ملكي امبراطوري مستبد.

4 ـ دوره في حفظ الدين للأجيال القادمة، أو ما يمكن أن يطلق عليه [الامتداد الرسالي]، وذلك عبر تلك الشعائر الكثيرة المرتبط بزيارته والمناسبات المرتبطة بها.

وسنتناول هذه الأدوار الأربعة في المباحث التالية:

أولا ـ الإمام الحسين وتبليغ الدين:

وهي الوظيفة الرسالية الأولى للأئمة، والتي عبر عنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا الله وَكَفَى بِالله حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: 39]

ويمكننا من خلال استقراء ما قام به الإمام الحسين تجاه هذا الدور الرسالي، أن نجد مظهرين مهمين لا يكتمل البلاغ إلا بهما، وسنشرحهما في المطلبين التاليين:

1 ـ التبليغ النظري للدين:

ونقصد به إيصال الرسالة الإسلامية غضة طرية نقية كما جاء بها رسول الله ﷺ، وذلك عبر حفظ الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، ونقلها للأجيال التالية.

وانطلاقا من هذا المعنى؛ فإن الدور الذي قام به الإمام

الحسين في هذه الجهة كان عظيما جدا، ذلك أن كل مــا روي عن أهل بيت النبوة من أحاديث كـان للإمـام الحسـين دور في تبليغـه؛ فقد كان ـ بشهادتهم ـ حلقة من حلقاتـه، ورجلا من رجـال سـنده، وذلك أكبر رد على من يزعم قلة ما روي عنه، فكل مـا تحـدث بـه الأئمة من بعده تلقوه منه، كما تلقاه هو عن أبيه وأخيه وجده.

وقد روي عنه في ذلك أن رجلا لقيه بالثعلبيّة وهو يريد كربلاء فدخل عليه فسلّم عليه، فقال له الإمام الحسين : من أيّ البلــدان أنت؟ فقال: من أهل الكوفة. قال: (يا أخا أهل الكوفة أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريتـك أثـر جبرائيـل من دارنـا ونزولـه على جـدّي بالوحي، يـا أخـا أهـل الكوفـة مسـتقى العلم من عنـدنا، أ فعلمـوا وجهلنا؟ هذا ما لا يكون) (1)

ولهذا نرى أئمة أهل البيت جميعا يخبرون عن أنفسهم أن كل مـا عنـدهم وراثـة من رسـول اللـه ﷺ، وأنهم لا يقولـون شـيئا من عندهم، بل كل ما عندهم علوم تعلموها من آبـائهم وأجـدادهم إلى مصدر الرسالة، ومنبع الوحي.

فعن الإمام الباقر أنه سـئل عن الحـديث يرسـله ولا يسـنده، فقال: (إذا حدثت الحديث فلم أسنده فسـندي فيـه أبي عن جـدي عن أبيه عن جده رسول الله ﷺ)(2)

وعن الإمام الصادق قـال: (حـديثي حـديث أبي، وحـديث أبي حـديث جـدي، وحـديث جـدي حـديث الحسـين، وحـديث الحسـين حديث الحسن، وحديث الحسـن حـديث أمـير المؤمـنين ، وحـديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول اللـه ﷺ قـول الله عز وجل)(3)

---

1) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد ﷺ ، الصفار القمي، إعداد الحاج ميرزا محسن كوجه باغي التبريزي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، 1404 هـ، قم: 1/11.

2) الإرشاد : 2 / 167، الخرائج والجرائح : 2 / 893، روضة الواعظين : 226 .

3) الكافي : 1 / 53 / 14 ، روضة الواعظين : 233.

وقال الإمام الرضا : (إنا عن الله وعن رسوله نحدث)(1)

وقال الإمام الكاظم جوابا على بعض المسائل المشكلة: (والله، إني ما أخبرك إلا عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الله عز وجل)(2)

وقبلهم جميعا قال الإمام علي : (ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ أنه قال : (إني وأهل بيتي مطهرون، فلا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتخلفوا عنهم فتزلوا، ولا تخالفوهم فتجهلوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، هم أعلم الناس كبارا، وأحلم الناس صغارا)(3)

وقبلهم جميعا قال رسول الله ﷺ: (إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا : كتاب الله عز وجل، وأهل بيتي عترتي . أيها الناس، اسمعوا وقد بلغت أنكم ستردون علي الحوض، فأسألكم عما فعلتم في الثقلين، والثقلان كتاب الله جل ذكره وأهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) (4)

وفي رواية: (ألا إن أبرار عترتي وأطائب أرومتي أحلم الناس صغارا وأعلم الناس كبارا، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلالة)(5)

ولهذا، فإن كل ما روي عنهم من أحاديث هي وراثة نبوية،

---

1) رجال الكشّي، محمّد بن الحسن الطوسي، مشهد المقدّسة: جامعة مشهد، 1348ش، الطبعة الأُولى، 2 / 490.

2) الكافي : 3 / 94.

3) تفسير القمي، القمي، علي بن ابراهيم قم،إيران، مؤسسة دار الكتاب للطابعة والنشر، ط3، 1404هـ: 1 / 4.

4) الكافي : 1 / 294.

5) عيون أخبار الرضا : 1 / 204 ، الاحتجاج : 2 / 436.

كما صرحوا بذلك، فقد قال الإمام الباقر : (لو أننا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا، ولكنا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه ﷺ فبينها لنا)(1)

وقال: (إن الله فرض ولايتنا، وأوجب مودتنا . والله، ما نقول بأهوائنا، ولا نعمل بآرائنا، ولا نقول إلا ما قال ربنا عز وجل)(2)

وقال الإمام علي مخاطبا الراغبين عن بيت النبوة إلى غيرهم: (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله، فإنهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق)(3)

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا الدور الذي كلف به أئمة أهل البيت في الحديث المعروف الذي وراه الفريقان، وهو أنه (لما نزلت عشر آيات من براءة على النبى ﷺ دعا أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ثم دعانى النبى ﷺ فقال: أدرك أبا بكر فحيثما لحقته، فخذ الكتاب منه، فاذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة، فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله نزل فى شيء، قال: (لا، ولكن جبريل جاءنى، فقال: لن يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك)(4)

والهدف من كل ذلك هو توحيد البلاغ، وحتى لا يقع التناقض

---

1) إعلام الورى : 294، الاختصاص : 281.

2) الأمالي، المفيد، محمد بن محمد، قم،إيران، منشورات دار المدرسين في الحوزة العلمية، ط2، 1414هـ/1993م: 60 / 4.

3) نهج البلاغة : الخطبة 147، الكافي : 8 / 390.

4) رواه أحمد:1/151، وعبد الله فى زوائده على المسند، وأبو الشيخ، وابن مردويه، كنز العمال 4400.

والتنافر في الدين، وحتى لا يندس من يريد تشويهه وتحريفه، وقد كان أولى الناس بهذا الدور الإمام علي وأهل بيته الذين عاشوا في بيت النبوة، ولم يتركوها لحظة من اللحظات.

لكن للأسف، وبعد وفاة رسول الله ﷺ تجاسر الكثير على هذا الدور، وراحوا يروون الغث والسمين، والمقبول والمرفوض من غير أن يتحاكموا إلى من هم أولى منهم بذلك، ولهذا وقع الاختلاط، وكثرت الأقوال في المسألة الواحدة، ودخل فوق ذلك التجسيم والتشبيه والتحريف في الكثير من المجالات.

ولهذا لم يكن الإمام الحسين ثائرا سياسيا فقط، وإنما كان قبل ذلك محدثا وعالما ومفتيا ومرجعا كبيرا، لا يمكن لمن يريد أن يبحث عن أصول الدين وفروعه ألا يمر عليه، وقد روي أن عبد الله بن الزبير كان يستفتيه في مسائل الدين، ومن ذلك قوله له: يا أبا عبد الله، ما تقول في فكاك الأسير، على من هو؟ فأجابه: (على القوم الذين أعانهم أو قاتل معهم)، وسأله ثانيا: يا أبا عبد الله، متى يجب عطاء الصبي؟ فأجابه: (إذا استهل وجب له عطاؤه ورزقه)، وسأله ثالثا: عن الشرب قائما، فدعا الإمام بلقحة ـ أي ناقة ـ له فحلبت، فشرب قائما وناوله(1).

ولهذا نجد له روايات عن رسول الله ﷺ في المصادر المختلفة، ومنها قوله ﷺ : (من حسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه)، وقوله: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)(2)

ومنها قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة ـ أو قال: تصيبه مصيبة ـ وإن قدم عهدها، فيحدث لها استرجاعا إلا أحدث الله عنه ذلك، وأعطاه ثواب ما

---

1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م، 1/398.

2) مسند الإمام أحمد بن حنبل 1 / 201..

وعده عليها يوم أصيب بها)(1)

ومنها قولـه: سـمعت النـبي ﷺ يقـول: (إن اللـه يحب معـالي الأمور، ويكره سفاسفها)(2)

ومنها قوله: سمعت النـبي ﷺ يقـول: (من يطـع اللـه يرفعـه، ومن يعص الله يضعه، ومن يخلص نيتـه للـه يزينـه، ومن يثـق بمـا عند الله يغنيه، ومن يتعزز على الله يذله)(3)

ومنها قوله: كان رسول الله ﷺ إذا استقى قال: (اللهم اسقنا سقيا واسعة وادعة عامة نافعة غير ضارة، تعم بها حاضرنا وبادينا، وتزيـد بهـا في رزقنـا وشـكرنا. اللهم اجعلـه رزق إيمـان وعطـاء ايمان، إن عطاءك لم يكن محظـورا. اللهم أنـزل علينـا في أرضـنا سكنها، وأنبت فيها زينتها ومرعاها)(4)

ومنها قوله: حـدثني أبي عن النـبي ﷺ أنـه قـال: (المغبـون لا محمود ولا مأجور)(5)

ومنهـا روايتـه عن رسـول اللـه ﷺ قولـه: (رأس العقـل بعـد الإيمان بالله عز وجل التحبب إلى الناس)(6)

ومنها روايته عن رسول الله ﷺ قوله: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربـع، عن عمـره فيمـا أفنـاه، وعن شـبابه

---

1) تاريخ ابن عساكر 4 / 312، اسد الغابة 2 / 19، الإصابة 1 / 222..

2) تاريخ اليعقوبي 2 / 219..

3)المرجع السابق 2 / 219..

4) عيون الأخبار 2 / 273..

5) تاريخ ابن عساكر 4 / 312..

6) الخصال، ص 17..

فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت)(1)

ومنها روايته عن رسول الله ﷺ قوله: (عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار)(2)

ومنها روايته عن رسول الله ﷺ أنه (أوصى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكان فيما أوصى به أن قال له: يا علي من حفظ من أمتي أربعين حديثا يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. فقال علي: يا رسول الله أخبرني ما هذه الأحاديث؟ فقال: أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، وتعبده ولا تعبد غيره، وتقيم الصلاة بوضوء سابغ في مواقيتها ولا تؤخرها فإن في تأخيرها من غير علة غضب الله عز وجل، وتؤدي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إذا كان لك مال وكنت مستطيعا، وأن لا تعق والديك، ولا تأكل مال اليتيم ظلما، ولا تأكل الربا، ولا تشرب الخمر ولا شيئا من الأشربة المسكرة، ولا تزني، ولا تلوط، ولا تمشي بالنميمة، ولا تحلف بالله كاذبا، ولا تسرق، ولا تشهد شهادة الزور لأحد قريبا كان أو بعيدا، وأن تقبل الحق ممن جاء به صغيرا كان أو كبيرا، وأن لا تركن إلى ظالم وإن كان حميما قريبا، وأن لا تعمل بالهوى، ولا تقذف المحصنة، ولا ترائي فإن أيسر الرياء شرك بالله عز وجل، وأن لا تقول لقصير: يا قصير، ولا لطويل: يا طويل تريد بذلك عيبه، وأن لا تسخر من أحد من خلق الله، وأن تصبر على البلاء والمصيبة، وأن تشكر نعم الله التي أنعم بها عليك، وأن لا تأمن عقاب الله على ذنب تصيبه، وأن لا تقنط من رحمة الله، وأن تتوب إلى الله عز وجل من ذنوبك فإن التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له، وأن لا تصر على الذنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئ بالله وآياته ورسله، وأن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك

---

1)المرجع السابق ، ص 23..

2) الأربعين ـ لبهاء الدين العاملي / 111..

لم يكن ليصيبك، وأن لا تطلب سخط الخالق برضى المخلوق، وأن لا تؤثر الدنيا على الآخرة لأن الدنيا فانية والآخرة باقية، وأن لا تبخل على إخوانك بما تقدر عليه، وأن يكون سريرتك كعلانيتك، وأن لا تكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة فإن فعلت ذلك كنت من المنافقين، وأن لا تكذب ولا تخالط الكذابين، وأن لا تغضب إذا سمعت حقا، وأن تؤدب نفسك وأهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة، وأن تعمل بما علمت، ولا تعاملن أحدا من خلق الله عز وجل إلا بالحق، وأن تكون سهلا للقريب والبعيد، وأن لا تكون جبارا عنيدا، وأن تكثر من التسبيح والتهليل والدعاء وذكر الموت وما بعده من القيامة والجنة والنار، وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه، وأن تستغنم البر والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات، وأن تنظر إلى كل ما لا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين، وأن لا تمل من فعل الخير، ولا تثقل على أحد إذا أنعمت عليه، وأن تكون الدنيا عندك سجنا حتى يجعل لك جنة، فهذه أربعون حديثا من استقام عليها وحفظها عني من أمتي دخل الجنة برحمة الله، وكان من أفضل الناس وأحبهم إلى الله عز وجل بعد النبيين والصديقين، وحشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)[1]

وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي جمعها أبو بشير محمد بن أحمد الدولابي (توفي 320 هـ) في مسند خاص في كتابه [الذرية الطاهرة][2]

وهكذا روى عن أبيه الأحاديث الكثيرة، ومنها قوله: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم أشراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[3]، وقوله: (إن الله تبارك

---

1) الخصال: 543 / 19، وص 542 / 18، بحار الأنوار 2: 156.

2() وقد طبع بتحقيق من سعد المبارك الحسن ، الطبعة الأولى، 1407 هـ، الدار السلفية، الكويت.

3) مسند الامام زيد، الامام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص 185.

وتعـــالى أخفى أربعـــة في أربعـــة؛ أخفى رضـــاه في طاعتـــه، فلا تستصـغرن شـيئا من طاعتـه؛ فربمـا وافـق رضـاه وأنت لا تعلم. وأخفى سـخطه، فلا تستصـغرن شـيئا من طاعتـه؛ فربمـا وافـق سـخطه معصـيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابتــه في دعوتــه، فلا تستصـغرن شـيئا من دعائـه، فربمـا وافـق إجابتـه وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده، فلا تستصغرن عبدا من عبيـد اللـه؛ فربمـا يكون وليه وأنت لا تعلم)(1)، وقوله (خير دور الأنصـار بنـو النجـار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحرث، ثم بنـو سـاعدة، وفي كـل دور الأنصار خير)(2)

ونحب أن نذكر هنا أن أعداء الإسلام، والنواصب لأهـل النبـوة وضعوا على لسان الإمام الحسين بعض الأحاديث التي تتنـافى مـع القيم التي ذكرها القرآن الكريم، أو نص عليها أئمة أهل البيت في أحاديثهم الصحيحة القطعية، ولـذلك كـان الحكم فيهـا هـو رفضـها تطبيقا لما ورد في الروايـات عن رسـول اللـه ﷺ وعن أئمـة أهـل البيت من عرض كل ما يروى عنهم على القرآن الكريم.

ففي الحــديث عن الإمــام الصــادق ، قــال: خطب النــبي ﷺ بمنى، فقال : (أيها الناس ما جاءكم عـني يوافـق كتـاب اللـه فأنـا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله) (3)

وعنه قال: (كل شئ مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حــديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف) (4)

وقال: (ما جاءك في رواية من بر أو فاجر يوافق القرآن فخذ به، وما جاءك في رواية من بر أو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ به)

---

1) الخصال : 191.

2) مسند الفردوس 37 / 27..

3) الكافي: 1/60.

4)المرجع السابق: 1/69.

(5)

2 ـ التبليغ العملي للدين:

ونقصد به التنفيذ العملي للقيم الدينية، وقد كانت جميع حركات الإمام الحسين مرتبطة بهذا الدور الرسالي الذي ورثه عن أبيه وأخيه وجده، وأداه مثلما أدوه، حتى استحق ذلك اللقب العظيم الذي استحقوه جميعا، وهو [القرآن الناطق]؛ فقد كانت سلوكاته جميعا تعبر عن القيم القرآنية والسلوك الرفيع أحسن تعبير.

ويدل لهذا تلك الوصايا الكثيرة التي وردت عن رسول الله ﷺ تنوه به، وتدعو إلى اعتباره إماما وسيدا، ولا يمكن أن يوصي رسول الله ﷺ بمن يرى أنه يمكن أن يزيغ أو يضل، ولو في أبسط سلوك من سلوكاته، وإلا كان أي فعل فعله عرضة للشك والنقد، الذي مارسه للأسف الكثير من أبناء المدرسة السنية، مع تسليمهم بتلك الأحاديث التي وردت في حقه، والتي تعتبره إماما للدين، وسفينة نجاة، وقدوة صالحة يُتأسى بها، ويسير السائرون على هديها، ذلك أن كل النصوص الواردة في حق أهل البيت تنطبق عليه، بإجماع المسلمين جميعا، بالإضافة للنصوص الخاصة به.

بل إن القرآن الكريم يشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: 33]، وقد رأينا سابقا النصوص الكثيرة الدالة على كون المراد بأهل البيت في الآية الكريمة هم أصحاب الكساء، والإمام الحسين أحدهم، والآية واضحة الدلالة على الطهارة بجميع نواحيها.

ومثل ذلك قوله تعالى في الإخبار عن صفات الأئمة الذين يختارهم الله تعالى لهداية خلقه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 124]، فالآية الكريمة تشير إلى أن هذا المنصب الإلهي الرفيع لا يمكن أن يناله الظالمون لأنفسهم،

5) مستدرك الوسائل: 17/304.

وكل معصية ـ ولو صغرت ـ ظلم للنفس.

بناء على هـذا، فقـد كـان الإمـام الحسـين من صـغره البـاكر يمارس هذا الدور الرسالي عبر سـلوكه وأخلاقـه وتعلميـه العملي للـدين، ومن الأمثلـة على ذلـك تلـك القصـة المعروفـة في تعليم الوضـوء، والـتي تعطي أروع الأمثلـة في كيفيـة الـدعوة إلى اللـه، وتعليم شـعائر الـدين، فقـد روي أن الحسـن والحسـين عليهمـا السلام، مرا على شيخ يتوضأ ولا يُحسن، فأخـذا في التنـازع يقـول كل واحد منهما : أنت لا تحسـن الوضـوء، فقـالا : أيهـا الشـيخ كن حكمـا بيننـا، يتوضـأ كـل واحـد منـا، فتؤضـآ، ثم قـالا: أيّنـا يحسـن الوضوء؟ قال :)كلاكما تحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجأهل هو الذي لم يكن يُحسن وقد تعلّم الآن منكمـا، وتـاب على يـديكما ببركتكما، وشفقتكما على أمة جدكما)(1)

وهكذا نرى تلاميذه والصادقون في صحبته يتبعون كـل حركـة من حركاتـه، ويسـجلونها بدقـة لتكـون قـدوة للأمـة جميعـا، ومن الأمثلة على ذلك مـا سـجله بشـر وبشـير ابنـا غـالب الأسـدي من حركات الإمام ودعائه يوم عرفة، فقد قالا : (كنّـا مـع الحسـين بن علي عشـيّة عرفـة، فخـرج من فُسـطاطه متـذلّلاً خاشـعاً، فجعـل يمشـي هونـاً هونـاً حتّى وقـف هـو وجماعـة من أهـل بيتـه وولـده ومواليـه في ميسـرة الجبـل مسـتقبل الـبيت، ثمّ رفـع يديـه تلقـاء وجهه كاستطعام المسكين، ثمّ قال..)(2) وذكرا الدعاء.

وفي آخر الـدعاء، قـالا: (ثم رفـع رأسـه وبصـره إلى السـماء وعيناه ماطرتان كأنّهمـا مزادتـان، وقـال بصـوتٍ عـالٍ: (يـا أسـمع السـامعين يـا أبصـر النـاظرين ويـا أسـرع الحاسـبين ويـاأرحم الراحمين صل على محمد وآل محمـد السـادة الميـامين، وأسـألك اللهم حاجتي التي إن أعطيتنيها لم يضرني ما منعتني وإن منعتنيها لم ينفعني ما أعطيتني ؛ أسـألك فكـاك رقبـتي من النـار لا إلـه إلا أنت وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شي

---

1) بحار الأنوار 43: 319، المناقب لابن شهرآشوب 3: 168،.

2) بحار الأنوار: 95/214.

قدير يارب يارب)وكان يكرر قوله : (يارب)، وشغل من حضر ممن كان حوله عن الدعاء لانفسهم وأقبلوا على الاستماع له والتأمين على دعائه ثم علت أصواتهم بالبكاء معه وغربت الشمس وأفاض الناس معه (1).

ولا تزال هذه الصورة المعبرة للإمام الحسين يوم عرفة حية في نفوس المؤمنين يعيشونها، ويتعلمون منها العبودية والأدب والافتقار والتواضع وكل الأخلاق الكريمة.

ومثل ذلك ما روي عن الإمام السجاد أنه قال: (جاء أهل الكوفة إلى علي فشكوا إليه إمساك المطر، وقالوا له: استسق لنا، فقال للحسين : قم واستسق فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، وقال: (اللهم معطي الخيرات، ومنزل البركات، أرسل السماء علينا مدرارا، واسقنا غيثا مغزارا، واسعا، غدقا، مجللا سحا، سفوحا، فجاجا تنفس به الضعف من عبادك، وتحيي به الميت من بلادك، آمين رب العالمين)، فما فرغ من دعائه حتى غاث الله تعالى غيثا بغتة، وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة فقال: تركت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض) (2)

ومثل ذلك ما روي عن يحيى بن نعمان، قال: كنت عند الحسين إذ دخل عليه رجل من العرب متلثما أسمر شديد السمرة، فسلم فرد عليه الحسين فقال: يا ابن رسول الله مسألة، فقال: هات، قال: كم بين الايمان واليقين ؟ قال: أربع أصابع، قال: كيف؟ قال: الايمان ما سمعناه واليقين ما رأيناه، وبين السمع والبصر أربع أصابع قال: فكم بين السماء والأرض قال: دعوة مستجابة، قال: فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال: مسيرة يوم للشمس، قال: فما عز المرء ؟ قال: استغناؤه عن الناس، قال: فما أقبح شئ ؟ قال: الفسق في الشيخ قبيح، والحدة في السلطان قبيحة، والكذب في ذي الحسب قبيح،

---

1) بحار الأنوار: 95/ 224.

2) بحار الأنوار 44: 187 ، العوالم 17: 51.

والبخل في ذي الغناء، والحرص في العالم، قال: صدقت يا ابن رسول الله فأخبرني عن عدد الأئمة بعد رسول الله ﷺ قال: اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل)(1)

ثانيا ـ الإمام الحسين ومواجهة التحريفات:

كما رأينا في الفصول السابقة، من أن الشيطان استعمل الكثير من الأدوات التي حاول بها أن يحرف الدين الأصيل، ويحوله من دين إلهي ممتلئ بالقيم النبيلة إلى دين بشري ممتلئ بالأهواء والخرافات والضلالات، ولذلك كان من أهم الأدوار التي قام بها الإمام الحسين ، مثلما قام بها سائر الأئمة مواجهة تلك التحريفات، لأنها من ضمن المسؤوليات الموكلة لهم، كما قال رسول الله ﷺ: (يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد)(2)

ولا يمكننا هنا أن نحصر الأدوار التصحيحية التي قام بها الإمام الحسين في مواجهة التحريفات التي طالت الدين، فذلك كثير، ولكن يمكن حصرها في ناحيتين:

الأولى: مواجهته للتحريفات المرتبطة بأصول الدين وفروعه وقيمه.

الثانية: مواجهته للتشويهات المرتبطة بالقائمين بالدين وأئمته ومراجعه.

وسنشرح الدور الذي قام به الإمام الحسين في هاتين المواجهتين باختصار في المطلبين التاليين:

1 ـ مواجهة التحريفات المرتبطة بالقيم الدينية:

يمكن اعتبار كل ما مر ذكره في الفصول السابقة من قيم دينية مواجهة من الإمام الحسين للتحريفات التي طرأت على

1) كفاية الاثر : ص 232.

2) بحار الأنوار: 2 / 92 / 21 وص 93.

الدين بسبب عزل من أوصى رسول الله ﷺ باتباعهم والرجوع إليهم.

فقد وقف الإمام الحسين ضد التجسيم والتشبيه وكل التحريفات العقدية التي أدخلها علماء البلاط الأموي إلى العقيدة الإسلامية، ووقف ضد الانحلال الأخلاقي والفساد السياسي، وكل تلك التشويهات التي عرضت للقيم الإسلامية في مجالاتها المختلفة.

وبما أن حب الدنيا والانشغال بها، والبعد عن التقوى هي السبب في كل ما حصل من تحريفات، نرى أن أكثر مواعظه كانت تحذيرا من الاغترار بالدنيا، والركون إلى أهلها، ومن الأمثلة على ذلك قوله في بعض خطبه: (أوصيكم بتقوى الله واحذركم أيّامه وأرفع لكم أعلامه، فكان المخوف قد أفد بمهول وروده، ونكير حلوله، وبشع مذاقه، فاعتلق مهجكم وحال بين العمل وبينكم، فبادروا بصحّة الأجسام في مدّة الأعمار كأنّكم ببغتات (جمع بغتة) طوارقه فتنقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها، ومن علوّها إلى سفلها، ومن أُنسها إلى وحشتها، ومن روحها وضوئها إلى ظلمتها، ومن سعتها إلى ضيقها، حيث لايزار حميم، ولا يعاد سقيم، ولا يجاب صريخ. أعاننا الله وإيّاكم على أهوال ذلك اليوم، ونجّانا وإيّاكم من عقابه، وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه.. عباد الله فلو كان ذلك قصر مرماكم ومدى مظعنكم كان حسب العامل شغلاً يستفرغ عليه أحزانه، ويذهله عن دنياه، ويكثر نصبه لطلب الخلاص منه، فكيف وهو بعد ذلك مرتهن باكتسابه، مستوقف على حسابه، لا وزير له يمنعه، ولا ظهير عنه يدفعه، ويومئذ لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، قل انتظروا إنّا منتظرون.. أُوصيكم بتقوى الله فإنّ الله قد ضمن لمن اتّقاه أن يحوله عمّا يكره إلى مايحبّ، ويرزقه من حيث لايحتسب، فإيّاك أن تكون ممّن يخاف على العباد من ذنوبهم، ويأمن العقوبة من ذنبه، فإنّ الله تبارك وتعالى لايخدع عن جنّته ولاينال ماعنده إلاّ بطاعته إن شاء الله)[1]

---

1) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤١٧، 45.

وقال في موعظة أخرى: (عباد الله، اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر؛ فإنّ الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء، وأولى بالرضاء، وأرضى بالقضاء، غير أنّ الله خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء؛ فجديدها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر، والمنزلة بلغة، والدار قلعة؛ فتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى)(1)

وكتب إلى رجل طلب منه أن يعظه بموعظة موجزة: (مَن حاول أمراً بمعصية الله تعالى كان أفوت لِما يرجو وأسرع لمجيء ما يحذر)(2)

وكتب إلى آخر يسأله عن خير الدنيا والآخرة يقول: (أمّا بعد، فإنّ مَن طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله أُمور الناس، ومَن طلب رضى الناس بسخط الله وكّله الله إلى الناس، والسّلام) (3)

وعندما زار أبا ذر الغفاري الذي نفي إلى الربذة في عهد عثمان، قال له ــ وهو يعلم أن كلماته ستصل إلى آذان عامة الناس ـ : (يا عماه، إن الله تبارك وتعالى قادر أن يغير ما قد ترى، إن الله كل يوم هو في شأن، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك، وأحوجهم إلى ما منعتهم! فاسأل الله الصبر واستعذ به من الجشع والجزع؛ فإن الصبر من الدين والكرم، وإن الجشع لا يقدم رزقا، والجزع لا يؤخر أجلا)(4)

وهكذا وقف ضد تشويه شخصية رسول الله ﷺ، والتي حرص الأمويون على إشاعتها في مقابل المبالغة في تقديس الصحابة،

---

1) تاريخ ابن عساكر 4 / 333..

2) أُصول الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، ط السادسة عام 1375 هـ ش، دار الكتب الإسلامية، طهران ، 2 / 273.

3) الاختصاص 225، أمالي الصدوق 167- 168.

4) بحار الانوار 22/ 412.

متوهمين أنهم بذلك يمكنهم أن يضـربوا أهـل بيت النبـوة ، ممـا لا نزال نرى الكثير من آثاره في التراث السني إلى اليوم.

ومن الأمثلة على ذلك رده على بعض المعاصرين ممن ذكروا أن تشريع الآذان كان بسبب رؤيا رآها الصحابي عبد اللــه بن زيـد؛ فأخبر بها النـبي ﷺ فـأمر ﷺ بـه، وقـد أنكـر الإمـام الحسـين ذلـك بشدة، وقال: (الوحي يتنزّل على نبيّكم، وتزعمون أنّـه أخـذ الأذان عن عبد الله بن زيد، والأذان وجه دينكم) [1]

2 ـ مواجهة التشويهات المرتبطة بأئمة الدين:

استعمل الأمويون وغيرهم كـل الوسـائل لصـرف النـاس عن أهل بيت النبوة ، باعتبارهم مرجعا ضروريا للدين، ولـذلك كـثر في عهـدهم من نصـبوا أنفسـهم مشـايخ وأسـاتذة وعلمـاء، وأعـانتهم السلطات الحاكمة على ذلـك، لينمحي في وسـطهم ذلـك الـتراث النقي الصافي الذي تركه رسول الله ﷺ لورثتـه الحقيقـيين الـذين لم يخلطوا دينهم بغيره.

ولذلك كان من الأساليب الـتي اعتمـدها الإمـام الحسـين في مواجهة هذا النوع من التحريف هـو التعريـف بفضـائل أهـل الـبيت وبيان مكانتهم، وخاصة الإمـام علي الـذي اسـتعمل بنـو أميـة كـل الوسائل لتشويهه، بل شرعوا سبه على المنابر، وقتلوا في سـبيل ذلك كل من رفض الانصياع إليهم .

ولهذا نرى أحاديث كثيرة للإمام الحسين تبين الـدور الموكـل للإمام علي في حفظ الدين وتبليغه، وإعطاء الصورة الصحيحة له، فقـد كـان من أهم مـا قـام بـه الإمـام الحسـين هـو مواجهـة تلـك التشـويهات، والتعريـف بالقيمـة الحقيقيـة للإمـام علي، وكونـه المرجع الأكبر للدين بعد رسول الله ﷺ.

ومن الأمثلة على ذلك تلك الخطبـة الحواريـة الشـهيرة الـتي

[1] () دعائم الاسلام 1: 143، مستدرك الوسائل 4: 17 حديث 4062، جامع الأحاديث 4: 623 حديث 1914..

قالها في منى(1)، والتي تشكل أساسا من الأسس الكبرى التي يقوم عليها الولاء لأهل بيت النبوة، واعتبارهم مرجع الدين الأكبر، وسفينة النجاة التي يغرق في الضلالة من لم يركبها، خاصة وأن الإمام الحسين لم يكتف فيها بالوعظ وإقامة الحجة، وإنما دعاهم إلى الدعوة إلى ما دعا إليه وتبليغه.

فقد روي أن الإمام الحسين جمع بني هاشم والصحابة في فترة الحج؛ فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه، عامتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبي ﷺ، فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد فإنَّ هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، وإني أريد أن أسألكم عن شيء، فإن صدقتُ فصدقوني وإن كذبتُ فكذبوني، وأسألكم بحق الله عليكم وحق رسول الله ﷺ وقرابتي من نبيكم لما سيرتم مقامي هذا، ووصفتم مقالتي ودعوتم أجمعين في أمصاركم من قبائلكم من أمنتم من الناس)

وفي رواية أخرى بعد قوله: (فكذبوني: اسمعوا مقالتي واكتبوا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمنتم من الناس، ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا فإني أتخوف أن يدرس هذا الأمر ويذهب الحق ويغلب، ﴿وَاللَّه مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: 8]، وما ترك شيئا مما أنزل الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسره، ولا شيئا مما قاله رسول الله ﷺ في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه، وكل ذلك يقول أصحابه: اللهم نعم، وقد سمعنا وشهدنا، ويقول التابعي: اللهم قد حدثني به من أصدقه وأئتمنه من الصحابة، فقال: أنشدكم الله إلا حدثتم به من تثقون به وبدينه)

---

1) كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي ، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني، قم - إيران، الناشر: الهادي، ط 1، 1405 هـ، ج 2، ص 788 – 793..

وقد ذكر سليم بن قيس الهلالي(1) بعض تفاصيل تلك الخطبة، ولأهميتها، نذكرها هنا بطولها؛ فقد قال: (فكان فيما ناشدهم الحسين وذكرهم أن قال: أنشدكم الله! أتعلمون أنَّ علي بن أبي طالب كان أخا رسول الله ﷺ حين آخى بين أصحابه فآخى بينه وبين نفسه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة. قالوا: اللهم نعم!

قال: أنشدكم الله! هل تعلمون أن رسول الله ﷺ اشترى موضع مسجده ومنازله فابتناه، ثم ابتنى فيه عشرة منازل، تسعة له وجعل عاشرها في وسطها لأبي، ثم سدَّ كل باب شارع إلى المسجد غير بابه فتكلم في ذلك من تكلم، فقال: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه، ولكن الله أمرني بسد أبوابكم وفتح بابه، ثم نهى الناس أن يناموا في المسجد غيره، وكان يجنب في المسجد، ومنزله في منزل رسول الله ﷺ فولد لرسول الله ﷺ وله فيه أولاد، قالوا: اللهم نعم!

قال: أفتعلمون أن عمر بن الخطاب حرص على كوة قدر عينه يدعها في منزله إلى المسجد فأبى عليه، ثم خطب، فقال إنَّ الله أمرني أن أبني مسجدا طاهرا لا يسكنه غيري وغير أخي وبنيه. قالوا: اللهم نعم.

قال:أنشدكم الله! أتعلمون أن رسول الله ﷺ نصبه يوم غدير خم، فنادى له بالولاية، وقال: ليبلغ الشاهد الغائب. قالوا: اللهم نعم.

قال:أنشدكم الله! أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال له في غزوة تبوك: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وأنت ولي كل مؤمن بعدي . قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله! أتعلمون أن رسول الله ﷺ حين دعا

---

1) هو أبو صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي (توفي 79 هـ)، من خواص أصحاب الأئمة الأربعة الأوائل من أئمة الشيعة(ع) ومورد ثقتهم ومقرّب لديهم ومحبوب عندهم وقد أدرك الإمام الباقر (ع)، ويُعَدُّ كتابه أوّل مدون شيعي ذكر فيه فضائل أهل البيت(ع)، ومعرفة الإمام، فضلاً عن ذكر الأحداث التي جرت بعد وفاة النبي(ص)، رجال النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد النجاشي، قم المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلامي، 1407ق، الطبعة الأُولى، ص 8.

النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأت إلا به وبصاحبته وابنيه، قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم الله! أتعلمون أنه دفع إليه اللواء يوم خيبر، ثم قال: لأدفعه إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، كرار غير فرار، يفتحها الله على يديه. قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله بعثه ببراءة وقال: لا يبلغ عني إلا أنا، أو رجل مني. قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ لم تنزل به شدة قط إلا قدمه لها ثقة به، وأنه لم يدعه باسمه قط إلا يقول: يا أخي! وادعوا لي أخي. قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ قضى بينه وبين جعفر وزيد فقال: يا علي! أنت مني وأنا منك، وأنت ولي كل مؤمن بعدي. قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أنه كانت له من رسول الله ﷺ كل يوم خلوة، وكل ليلة دخلة، إذا سأله أعطاه، وإذا سكت أبداه. قالوا: اللهم نعم.

قال:أتعلمون أن رسول الله ﷺ فضله على جعفر وحمزة حين قال لفاطمةعليها السلام:زوجتك خير أهل بيتي، أقدمهم سلما، وأعظمهم حلما، وأكثرهم علما. قالوا: اللهم نعم .

قال:أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: أنا سيد ولد بني آدم، وأخي علي سيد العرب، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة، والحسن والحسين ابناي سيدا شباب أهل الجنة. قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ أمره بغسله وأخبره أن جبرئيل يعينه عليه. قالوا: اللهم نعم.

قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال في آخر خطبة خطبها: إني تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي، فتمسكوا بهما لن تضلوا. قالوا: اللهم نعم.

قال سليم بن قيس الهلالي: (فلم يدع شيئا أنزله الله في

علي بن أبي طـالب خاصـة وفي أهـل بيتـه من القـرآن ولا على لسـان نبيـه ﷺ إلا ناشـدهم فيـه، فيقـول الصـحابة: اللهم نعم، قـد سمعنا، ويقول التابع: اللهم قد حدثنيه من أثـق بـه فلان وفلان، ثم ناشدهم أنهم قد سمعوه يقـول: من زعم أنـه يحبـني ويبغض عليـا فقد كذب ليس يحبني ويبغض عليا، فقال له قائل: يا رسول اللـه! وكيف ذلك. قال:لأنه مـني وأنـا منـه، من أحبـه فقـد أحبـني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، فقالوا: اللهم نعم، قد سمعنا وتفرقوا على ذلك)(1)

ثالثا ـ الإمام الحسين ومواجهة الاستبداد:

وهي من أهم الأدوار الـتي أنيطت بالأئمـة باعتبـارهم ورثـة للرسل ، ذلـك أن من أهم وظـائف الرسـل ـ بعـد التعريـف باللـه والدعوة إلى تقواه ـ الدعوة إلى تحقيق العدالة، ورفض الاسـتبداد والظلم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَـا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: 25]

وقال مبينا الجزاء الذي كان يقابل به من يـدعو إلى ذلـك من الرسل أو من روثتهم: ﴿لَقَدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلَنَا بِالْبَيِّنَـاتِ وَأَنْزَلْنَـا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: 25]

ولهذا كان من العلامات الكبرى للإمـام، أو الـوارث لـه، عـدم الركـون للظلمـة، أو السـكون لهم، أو الرضـا بأفعـالهم، وإنمـا مواجهتهم بكل ما أتيح لهم من أساليب.

ولهذا مارس كل أئمة أهل البيت ابتداء من الإمام علي كل ما أتيح لهم من أسـاليب للمواجهـة إلى أن لقـوا اللـه تعـالى جميعـا شهداء في هذا الطريق، كما عـبر الإمـام الرضـا عن ذلـك بقولـه: (والله، ما منا إلا مقتول شهيد)(2)

وعندما سمع بعضهم يشكك في قتل الإمام الحسين ، ويـذكر

---

1) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص793.

2) بحار الأنوار ج49 ص320 وج27 ص209 والأمالي للصدوق ص120 ، وعيـون أخبـار الرضا ج2 ص256 ومن لا يحضره الفقيه ج2 ص351 ..

أنه شبِّه لهم، قال: (والله، لقد قتل الحسين، وقتل من كـان خـيراً من الحسين، أمير المؤمنين، والحسن بن علي، وما منا إلا مقتول، وإني ـ والله ـ لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني)(1)

ثم رد على من اعتمـد على قولـه تعـالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَـلَ اللـه لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النسـاء: 141] لنفي قتـل الإمـام الحسين بقوله: (لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجة، ولقد أخـبر الله عز وجل عن كفار قتلوا النبيين بغير الحـق، ومـع قتلهم إيـاهم لن يجعل الله لهم على أنبيائه سبيلا من طريق الحجة)

وروي أن الإمام الحسن بن علي قال في مرضه الـذي تـوفي فيه : (والله، إنـه لعهـد عهـده إلينـا رسـول اللـه ﷺ أن هـذا الأمـر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة، ما منا إلا مسموم، أو مقتول)(2)

وكل ذلك بسبب ذلك الوقوف الشديد في وجه الجــور الظلم والاستبداد وكل من يمثلهم، لحفظ دين الله من أن يصـبح أداة من أدوات الظلمة مثلما حصل في الأديان الأخرى.

وهذا ما يرد على تلك الشبهات الـتي تصـور الإمـام الحسـين باعتباره الوحيد الذي وقف في وجه الاستبداد؛ فكـل الأئمـة فعلـوا ذلك، ولكن بطرقهم الخاصة، مراعاة لظروف المكان والزمان.

أما الإمام الحسين ؛ فقد أنيطت بـه مهمـة خاصـة في منتهى الألم والخطورة، وهي أن يضحي بنفسه وأهله وكـل مـا يملـك في سبيل تلك المواجهة ليبقى ما حدث له عبرة للأجيال، وليتحقق عن طريقه انتصار الدم على السيف.

ولهذا كانت تلك الملحمة الكبرى درسا للمسلمين جميعا، بــل للعالم جميعا في أن الإسلام هو دين العدالـة، وأن الـذين مارسـوا الظلم والاسـتبداد مارسـوه بأسـمائهم، لا باسـم الإسـلام، وبـذلك

---

1) عيون أخبار الرضا ج2 ص203 وبحار الأنوار ج49 ص285 وج27 ص213 ..

2) كفاية الأثر ص226 و227 والصراط المستقيم ج2 ص128 والأنوار البهية ص322 ط سنة 1417 هـ وبحار الأنوار ج27 ص364 وج44 ص139 ..

حفظ الإسلام النقي الصافي من أن يصبح لعبة بيد الحكام الظلمة والمستبدين.

ولهذا نجد في النصوص الكثـيرة الـواردة عن رسـول اللـه ﷺ الإخبار بما سيحصـل للإمـام الحسـين ، ولـوم الأمـة عليـه، لا لـوم الإمام الحسين ، بل إن فيها إشارات صريحة بكونه مكلفا من الله تعالى للقيام بتلك التضحية العظيمة.

ففي الحديث الوارد في مصادر الفريقين عن أنس بن مالـك، قال: (استأذن مَلَكُ القَطْرِ ربه أن يزور النبي ﷺ، فـأذن لـه، فكـان في يوم أم سلمة، فقال النبي ﷺ: (احْفَظِي علينـا البـابَ لا يَـدْخُلُ علينا أَحَدٌ)، فبينا هي على البـاب إذ جـاء الحسـين بن علي، رضـي الله عنهما، فظفر فاقتحم ففتح البـاب فـدخل فجعـل يتـوثب على ظهر النبي ﷺ، وجعل النبي يتلثَّمه ويقبِّله، فقال له المَلَك: أتحبــه؟ قال: نعم، قال: أما إن أمتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيـه. قـال: نعم. فقبض قبضـة من المكـان الـذي يقتـل فيـه فأراه إياه فجاءه بسهلة أو تراب أحمـر فأخذتـه أم سـلمة فجعلتـه في ثوبها. قال ثابت: كنا نقول: إنها كربلاء)(1)

وفي حــديث آخــر عن أم ســلمة، قــالت: (ثم كــان الحســن والحسين رضي اللـه عنهمـا يلعبـان بين يـدي النـبي ﷺ في بيـتي، فنزل جبريل فقال: يا محمد، إن أمتك تقتل ابنـك هـذا من بعـدك. فأوما بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله ﷺ، وضمه إلى صــدره، ثم قال رسول الله ﷺ: (وديعة عندك هذه التربة)، فشـمها رسـول الله ﷺ وقال: (ويح كرب وبلاء) قالت: وقال رسول الله ﷺ: (يا أم سلمة، إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمي أن ابني قد قتل)، قــال: فجعلتهـا أم سـلمة في قـارورة، ثم جعلت تنظـر إليهـا كـل يــوم وتقول: (إن يوما تحولين دما ليوم عظيم)(2)

---

1) ابن حبان في صحيحه (6742)، وقال عنه الشيخ شـعيب الأرنـاؤوط: حـديث حسـن، أحمد في مسنده (13539)، أبو يعلى (363).

2) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطـير اللخمي الشـامي، أبـو القاسـم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبـد المجيـد السـلفي، مكتبـة ابن تيميـة – القـاهرة، الطبعـة: الثانية، 3/108.

وغيرهـا من الأحـاديث الكثـيرة الـتي تـدل على أن الإمــام الحسين ــ في تلـك المواجهـة الـتي قـام بهـا أمـام أعـتى سـلطة استبدادية ـ لم يكن يتصرف إلا من خلال العهود التي عهـدت إليـه، والوظـائف الـتي وكلت لـه، ليبقى دمـه في عنـق الأمـة جميعـا، تطالب بثأره أمام كل ظالم مستبد، فكل مظلوم يصـبح في ذهنهـا حسينا، وكل ظالم يصبح في وعيها يزيدا.

وقد عبر الإمام الحسين عن هدف تلك المواجهة؛ فقال ـ في وصيته إلى أخيه ابن الحنفيّة ـ: (هذا ما أوصى به الحُسين بن علي إلى أخيه محمّد بن الحنفيّـة، إنّ الحُسـين يشـهد أنْ لا إلـه إلاّ اللـه وحـده لا شـريك لـه، وأنّ محمّـداً عبـده ورسـوله جـاء بـالحقّ مِنْ عنده، وأنّ الجنّة حقّ، والنار حـقّ، وأنّ السـاعة آتيـة لا ريب فيهـا، وأنّ الله يبعث مَنْ في القبور، وإنّي لمْ أخـرج أشِـرَاً ولا بطـراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّـة جـدّي ﷺ؛ أُريد أنْ آمـر بـالمعروف وأنهى عن المنكـر، وأسـير بسـيرة جـدّي وأبي علي بن أبي طـالب، فمَنْ قبلـني بقبـول الحـقّ فاللـه أولى بالحقّ، ومَنْ ردّ عليّ أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القـوم وهـو خير الحاكمين. وهذه وصيتي إليـك يـا أخي، ومـا تـوفيقي إلاّ باللـه عليه توكّلت وإليه أُنيب)(1) [1]

انطلاقــا من هــذا؛ فقــد اتخــذت مواجهــة الإمــام الحســين للاستبداد طابعا خاصا مر بمجموعة مراحل، ولكـل مرحلـة دورهـا الكبير في حفظ الإسلام، وعدالته:

1 ـ الدعوة للمواجهة العامة:

كان في إمكان الإمام الحسـين أن يختصـر الطريـق لنفسـه، ويسـير مباشـرة للأرض الـتي وُعـد بأنـه سـيقتل فيهـا، بنـاء على الدعوات التي وجهت له، لكنه لم يفعل، وإنما راح يبشـر بالمبـادئ التي يريـد التضـحية من أجلهـا، حـتى لا يـذهب دمـه هـدرا، وحـتى يسـمع العــالم جميعــا عن القضــية الــتي ســيتحرك من أجلهــا؛ فالشهادة عنده ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي مقصـودة لحفـظ الإسلام وقيمه من أن يمسها التحريف الذي يريده الأعداء.

---

1) الفتوح 5 / 33، مقتل الخوارزمي 1 / 188.

ولذلك كتب لأهل الكوفة الذين طلبوا منه التحرك بعد نقض معاوية لبنود الهدنة التي وقعها مع الإمام الحسن ، يخبرهم بأن التوقيت غير مناسب، بل دعاهم إلى الإحتراس والتكتم والانتظار، ومما قاله لهم: (فالصقوا رحمكم الله بالأرض واكتموا في البيوت واحترسوا من الظنة مادام معاوية حيا، فان يحدث الله شيئا وأنا حي كتبت اليكم رأيي)(1)

وقد استغل الإمام الحسين كل تلك الفترة بعد وفاة أخيه لتحضير الأمة للمواجهة الكبرى، ولذلك لم يكن يدع مناسبة إلا ويبين فيها وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثورة على الظلم والاستبداد، ومن ذلك قوله في بعض خطبه: (اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار، إذ يقول: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 63]، وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 78، 79]، وإنما عاب الله ذلك عليهم؛ لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك؛ رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة مما يحذرون، والله يقول: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: 44]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 71])(2)

وبعد أن سرد هذه الآيات الكريمة الواضحة في الدلالة على وجوب مواجهة المنكر من أي مصدر صدر، راح يفسرها لهم، ويبين أغراضها والنواحي العملية المرتبطة بها، فقال: (فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه؛ لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها، هينها وصعبها؛ وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام، مع رد

---

1) انساب الاشراف 3: 151.

2) تحف العقول : 237..

المظالم، ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها) (1)

ثم راح يخاطب عقولهم وعواطفهم وتلك العهود التي عاهدوا الله بها من خلال إسلامهم؛ فقال: (أنتم أيتها العصابة، عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة؛ يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلابها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر، أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله، وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون، فاستخففتم بحق الأئمة؛فأما حق الضعفاء فضيعتم؛ وأما حقكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالا بذلتموه، ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله) (2)

ثم راح يذكرهم بالجنة والنار، والعذاب الذي ينتظر الساكتين عن المنكر ومواجهته، فقال: (أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله، وأمانا من عذابه، لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نقماته؛ لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون، وأنتم بالله في عباده تكرمون! وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون! وذمة رسول الله ﷺ محقورة، والعمى والبكم والزمن في المدائن مهملة لا ترحمون! ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعينون! وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون!) (3)

ولم يكن يكتفي بتلك المواعظ العامة، وإنما كان يفصل

---

1)المرجع السابق: 237..

2)المرجع السابق: 238..

3)المرجع السابق: 238..

المنهج الذي ينبغي أن تسير عليه الأمة في حكمها وسياستها وكل شؤونها، وهو أن تكل الأمور لأهل العلم والولاية، لا غيرهم ممن لا يعرف حكم الله، ولا يستطيع مراعاتها؛ وقد قال لهم في تلك الخطبة: (وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسعون ذلك؛ بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الامناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة. ولو صبرتم على الأذى، وتحملتم المؤونة في ذات الله، كانت امور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، واستسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات، ويسيرون في الشهوات) (1)

ثم بين لهم المنهج الذي يمكن أن يسلكوه للتخلص من القيود التي وضعها الظلمة على رقابهم، وأولها حرصهم على الحياة، وخوفهم من الموت، وكأنه بذلك يهيئهم للمواجهة الكبرى التي تحققت في كربلاء، ليقيم عليهم الحجة بنفسه، بعد أن أقامها عليهم بكلماته، فقد قال: (سلطهم على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم؛ فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد مقهور، وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلبون في الملك بآرائهم، ويستشعرون الخزي بأهوائهم؛ اقتداء بالأشرار، وجرأة على على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول، لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد، وذي سطوة على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد. فيا عجبا! وما لي لا أعجب والأرض من غاش غشوم، ومتصدق ظلوم، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا، القاضي بحكمه فيما شجر بيننا)(2)

2 ـ الدعوة للمواجهة الخاصة:

---

1)المرجع السابق: 239..

2)المرجع السابق: 239..

لم يكن الإمام الحسين يكتفي بخطاباتـه للعامـة محرضـا لهم على المواجهة والتصحيح، وإنما كان يتنقل لخاصة الناس وأعيـانهم والمشهورين فيهم، ليخبرهم عن مواقفه عساهم يلحقون به فيهـا، وينضمون إلى صفه.

وعندما عاين الأمويون تلك التحركات راحوا يعترضـونها؛ فقـد حجب والي المدينة حينها الوليـد بن عتبـة أهـل العـراق عن زيـارة الإمام الحسين ، فقال له الإمام: (يـا ظالمـا لنفسـه، عاصـيا لربـه علام تحــول بيــني وبين قــوم عرفــوا من حقي مــا جهلتــه أنت وعمك؟!)، فقال الوليد: (ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك، فجناية لسانك مغفورة لك ما سكنت يـدك فلا تخطـر بهـا فتخطـر بك، ولو علمت ما يكون بعدنا لأحببتنا كما أبغضتنا)(1)

وربمــا يكــون لتلــك الرســالة أو غيرهــا من مواقــف الإمــام الحسين تأثيرها في شخصية الوليد بن عتبة، والذي كان رغم ولائه الأمـوي، يشـعر بحـرج شـديد تجـاه أي أوامـر تصـدر إليـه تطالبـه بالتشدد على الإمام الحسين .

ومن الأمثلــة على ذلــك مــا رواه المؤرخــون عنــه أنــه قــال يـخـاطـب نـفـسـه بـعـد قراءة كتـاب يزيـد الـذي أمـره فيـه بأخـذ الإمام الحسين أخـذا شـديـدا لارخـصــة فــيه: (إنّـا للـه وإنّـا إليـه راجعون، يا ويح الوليد ابن عتبة، من أدخـله فــي هــذه الامــارة!؟ مالي وللحسين بن فاطمة!؟)(2)

وقوله أمام مروان: (يا ليت الوليد لم يــولد ولويـكــن شـيــئا مـذكـورا!) وقــوله لمــروان: (فـلـيــس مـثــل الـحـسـيــن يـغــدر، ولايـقـول شـيـئا ثـمّ لايـفـعـل). وقـوله لـه: (ويــحك، أشـرت عليّ بـقتل الحسين، وفي قتله ذهـاب ديـني ودنيـاي، واللـه مـاأحبّ أن أملــك الــدنيا بأســرها وأنّي قتلتُ الـحـسـيــن بــن عــلي، ابــن فـاطـمــة الزهــراء، واللـه مـاأظــنّ أحــدا يـلقــي اللـه بـقـتــل الحسين إلاّ وهو خفيف الميزان عندالله يـوم القيامـة لاينظـر إليـه

---

1) أنساب الأشراف 3: 156.

2) الفتوح، 5: 18، وأنساب الاشراف، 3: 156، حديث 15، الارشاد: 221.

ولايزكّيه وله عذاب أليم)

وقوله لمّا ورد عليه كتاب يزيد الثاني الذي أمره فيه أن يبعث إليه برأس الإمام الحسين مع الجواب: (لاوالله، لايراني الله قاتل الحسين بن عليّ، وأنا لاأقتل ابن بنت رسول الله ﷺ ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها)

وقوله لمّا ظنّ أنّ الإمام الحسين خرج من المدينة: (الحمدلله الذي لم يطالبني الله عزّ وجلّ بدمه)

ولذلك كان لتولي الوليد بن عتبة ــ رغم ولائه الأموي ـ على المدينة المنورة فرصة للإمام الحسين للتحرك، والالتقاء مع عامة الناس وخاصتهم وتهيئة الأجواء للثورة.

ومن الشخصيات البارزة في ذلك العصر، والتي حرص الإمام الحسين على الالتقاء بها، لإقامة الحجة عليها، شخصية عبد الله بن عمر، والذي يتخذه الكثير من أبناء المدرسة السنية أسوة ونموذجا لهم؛ فهم بمجرد أن تذكر كربلاء، والإمام الحسين ، وما حصل فيها من المآسي يتأسفون، لا على تخلف الأمة على إمامها وخذلانها له، وإنما على أن الإمام لم يتبع عبد الله بن عمر وغيره، الذي يتصورون أنهم كانوا أعرف بالشريعة والواقع من الإمام الحسين .

ولذلك سنورد حادثة لقائه به هنا بطولها ــ كما ذكرها المؤرخون ــ ونعقب عليها، لنبين من خلالها أنواعا أخرى من الابتلاء تعرض لها الإمام الحسين قبل مسيره لكربلاء، وربما لا تقل عما حصل له فيها.

فقد روى المؤرخون (1) أنه لما دخل الإمام الحسين مكة في ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: 22]، فرح به أهلها فرحا شديدا، وكان ذلك فرصة للصحابة المقيمين في مكة المكرمة، لأن يستثمروا ذلك الفرح، ويوجهوا المؤمنين لاتباع إمامهم ونصرته، لتتشكل نواة دولته فيها،

1) انظر: الفتوح 5: 26، مقتل الحسين للخوارزمي 1: 19، مثير الأحزان 41، وغيرها.

ويكفيهم لذلك أن يقرؤوا لهم ما ورد في حقه من الروايات عن رسول الله ﷺ، لكنهم للأسف لم يفعلوا، بل إن بعضهم حزن لذلك الفرح، مثل عبد الله بن الزبير، لانه كان يطمع أن يبايعه أهل مكة، فلما قدم الإمام الحسين شق ذلك عليه، لأنه يعلم أنه لا يبايعه أحد من أهل مكة والإمام الحسين فيها.

ويروي المؤرخون أنه أقام بمكة باقي شهر شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة، وبمكة يومئذ عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب، فأقبلا جميعا حتى دخلا عليه، وقد عزما على أن ينصرفا إلى المدينة، فقال له ابن عمر ــ وهو من الكبار الذين يستند إليهم للأسف الكثير أبناء من المدرسة السنية، ويتصورون أنه كان أنضج فكرا من الإمام الحسين ـ: (أبا عبد الله! رحمك الله اتق الله الذي إليه معادك! فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكم وظلمهم إياكم، وقد ولي الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية، ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء؛ فيقتلونك ويهلك فيك بشر كثير، فانى قد سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: (حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله الى يوم القيامة)، وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين)

وهذا كلام عجيب من ابن عمر، وخاصة مع روايته الحديث الذي يخبر فيه رسول الله ﷺ بخذلان الأمة للإمام الحسين ، وكان الأصل أن يكون دافعا له، لا إلى دعوة الناس إلى بيعته باعتباره الإمام المنصوص عليه من طرف رسول الله ﷺ، كما هو ظاهر الحديث، وإنما للقيام هو نفسه ببيعته واتباعه والجهاد معه، حتى لا يتحقق فيه ما ورد في الحديث من الخذلان.

لكن للأسف؛ فإن ابن عمر مع روايته للحديث، ومعرفته بأن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأن إخباره بقتل الإمام الحسين سيتحقق لا محالة، ولذلك لم يكن هناك أي معنى لنهيه عنه، ولو كان أحد من الناس جدير بأن ينهاه لكان رسول الله ﷺ لكن رسول الله ﷺ لم ينهه، وإنما نهى الأمة عن خذلانه.

والعجيب أن أكثر المدرسة السنية مال إلى ما يسميه نصيحة

ابن عمـر، واعتـبره حكيمـا، في نفس الـوقت الـذي اعتـبروا فيـه الإمام الحسين مقصرا في قبول النصيحة، كمـا عـبر عن ذلـك ابن تيميـة في محـال كثـيرة من كتبـه، ومنهـا قولـه: (ولهـذا لمـا أراد الحسين رضي الله عنه أن يخرج إلى أهل العراق لما كـاتبوه كتبـا كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين، كابن عمر وابن عبـاس وأبي بكـر بن عبـد الـرحمن بن الحـارث بن هشـام أن لا يخـرج، وغلب على ظنهم أنه يقتل، حتى إن بعضهم قـال: أسـتودعك اللـه من قتيـل. وقـال بعضـهم: لـولا الشـفاعة لأمسـكتك ومنعتـك من الخــروج. وهم في ذلــك قاصــدون نصــيحته طــالبون لمصــلحته ومصلحة المسلمين، والله ورسوله إنما يـأمر بالصـلاح لا بالفسـاد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى)(1)

ولم يكتــف بهــذه التلميحــات القاســية الــتي تصــور الإمــام الحسين بصورة الجاهل بالأحكام الشرعية، وبـالواقع، وأنـه محتـاج لنصيحة غيره وتوجيهه، وإنما راح يزيد الطين بلة بقوله: (فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، ولم يكن في الخروج لا مصــلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلوما شهيدا، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصـل لـو قعـد في بلـده، فـإن مـا قصـده من تحصـيل الخير ودفـع الشـر لم يحصـل منـه شـيء، بـل زاد الشـر بخروجـه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار ذلك سببا لشر عظيم. وكان قتـل الحسين مما أوجب الفتن) (2)

ولم يكتف بكل هذه التقريعات للإمام الحسين ، بل راح ينكــر كـل تلـك الأحـاديث الـتي وردت في فضـله، والمخـبرة عن دوره العظيم في هذا الدين بقوله: (وهذا كله ممـا يـبين أن مـا أمـر بـه النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخــروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعـاد، وأن من خـالف ذلـك متعمدا أو مخطئا لم يحصـل بفعلـه صـلاح بـل فسـاد، ولهـذا أثـنى النبي ﷺ على الحسن بقوله: (إن ابني هذا سيد وسيصـلح اللـه بـه

---

1) منهاج السنة النبوية (4/ 529)

2)المرجع السابق (4/ 529).

بين فئتين عظيمتين من المسلمين) ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة ولا بخروج على الأئمة ولا نزع يد من طاعة ولا مفارقة للجماعة) (1)

وهو بقوله هذا يتنكر لكل تلك الأحاديث التي وردت في فضل الإمام الحسين ، زيادة على كونه لم يفهم سر ما فعله الإمام الحسن ، وأنه ما فعله إلا اضطرارا عندما رأى تخاذل المسلمين عن نصرته، وكان الأولى بابن تيمية أن يلوم المتخاذلين، لا أن يوبخ أهل بيت النبوة الذين لا يحتاجون إلى من يعلمهم أو يوجههم، وكيف يحتاجون إلى ذلك، وكل ما يصدر منهم عهد من رسول الله ﷺ إليهم، كما وردت بذلك الروايات الكثيرة.

وهكذا نرى للأسف ابن خلدون الذي راح يرمي الإمام الحسين بعدم قبول النصيحة، وبالجهل بالواقع؛ فيقول بكل جرأة: (فتبين بذلك غلط الحسين، إلا أنه في أمر دنيوي لا يضره الغلط فيه، وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه، لأنه منوط بظنه، وكان ظنه القدرة على ذلك، وأما الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا بالحجاز ومصر والعراق والشام والذين لم يتابعوا الحسين رضوان الله عليه، فلم ينكروا عليه ولا أثمّوه، لأنه مجتهد وهو أسوة للمجتهدين به)(2)

وهو يصور الأمر مثل غيره بحسابات الربح والخسارة، لا بحساب التكاليف الشرعية، وما تحمله من معان قد لا يمكن فهمها، مثلما حصل مع إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام؛ فيقول: (إنّ هزيمة الحُسين كانت أمراً محتّماً؛ لأنّ الحُسين لمْ تكن له الشوكة التي تمكّنه مِنْ هزيمة الأُمويِّين؛ لأنّ عصبية مضر في قريش، وعصبية قريش في عبد مناف، وعصبية عبد مناف في بني أُميّة، فعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس لا ينكرونه)(3)

1)المرجع السابق (4/ 529).

2) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، 1/270.

وهكذا راح أكثر المتـأثرين بـابن تيميـة وابن خلـدون يـرددون مقالتهما ومقالة ابن عمر، ويهونون من شأن الإمام الحسين الـذي يصورونه بصور لا تليق بأبسط الناس وأجهلهم؛ فكيف بسيد شباب أهل الجنة؟

ومن الأمثلة على ذلك قول الشيخ محمـد الخضـري بـك: (إن الحسين أخطأ خطأ عظيما في خروجه هذا الـذي جـرّ للأمـة وبـال الفرقة والاختلاف: وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا)(1)

وقال الدكتور أحمد شـبلي: (نجيء إلى الحسـين لنقـر ــ مـع الأسف ـ أن تصرفاته كـانت في بعض نـواحي هـذه المشـكلة غـير مقبولة فهو ـ أولا ـ لم يقبل نصح الناصـحين وخاصـة عبـد اللـه بن عباس، واستبد برأيه، وثانيا ـ نسي أو تجاهل خلق أهل الكوفة وما فعلوه مع أبيه وأخيه وهو ـ ثالثا ـ يخرج بنسائه وأطفاله كأنه ذاهب إلى نزهة خاويـة أو زيـارة قـريب ويعـرف في الطريـق غـدر أهـل الكوفـة ومـع هـذا يواصـل السـير إليهم وينقـاد لـرأي بـني عقيـل ويذهب بجماعة من الأطفال والنساء وقليل من الرجال ليأخذ بثـأر مسلم يا لله قد تكون ولاية يزيد العهد عملا خاطئا، ولكن هل هــذا هو الطريق لمحاربة الخطأ والعودة إلى الصواب؟)(2)

وقال محمد النجار: (أما أحقية الحسين بالخلافـة فهي فكـرة تنطوي عليها قلوب الغالبية من الناس، ولكن ما قيمة هذه القلوب اذا لم تؤيدها السيوف وهي مع ذلك لا تقتضي الخروج، فان امامـة

---

3) المرجع السابق، 1 /152.

1) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري بك، المحقق: محمد العثمـاني، دار القلم، 1406 – 1986، 1 / 517.

2) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسـلامية،أحمـد شـلبي، مكتبـة النهضـة ، 2 / 201.

المفضول مع وجود الأفضل جائزة، وقـد كـان علي بن أبي طـالب يعتقد أحقيته بالخلافة ولم يخرج على أحد)[1]

وهكذا نسمع الخطب والدروس الكثيرة التي تعج بها مسـاجد المدرسة السنية للأسـف، والـتي تنهـل من أمثـال أولئـك العلمـاء، وهي تلوم الإمام الحسين ، وتعتب عليه، لكونـه لم يسـمع نصـيحة ابن عمر.

والعجب الأكـبر من ذلـك كلـه هـو أن ابن عمـر الـذي يعتـبره هؤلاء ناصحا، ومخلصا في نصيحته امتنع عن مبايعة أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب رغم مبايعـة غالبيـة الصـحابة لـه، في نفس الوقت الذي بايع فيه معاوية بن أبي سـفيان وبـايع من بعـده يزيـد بن معاوية، ودعـا النـاس إلى بيعتـه، ولهـذا يسـتدل السـلفية على موقفه هذا في تصحيح ما يسمونه [خلافة يزيد]

ويـذكر المؤرخـون أنـه عنـدما ثـار ابن الزبـير، واسـتقرت لـه السيطرة على العراق عدا الكوفة والحجـاز والمشـرق توقـف ابن عمر عن بيعة ابن الزبير، وكان يحـرض النـاس على الوقـوف إلى جانب بني أمية، فقد روى البخاري عن نافع قال : (لما خلـع أهـل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمـر حشـمه وولـده فقـال : إني سمعت النبي ﷺ يقول : (ينصب لكل غادر لواء يـوم القيامـة، وإنـا قد بايعنا هـذا الرجـل على بيـع اللـه ورسـوله، وإني لا أعلم غـدراً أعظم من أن يبـايع رجـل على بيـع اللـه ورسـوله ثم ينصـب لـه القتـال، وإني لا أعلم أحـداً منكم خلعـه ولا بـايع في هـذا الأمـر إلا كانت الفيصل بيني وبينه)[2]

وقد ورد هذا الحديث في صحيح البخاري، ويستدلون بـه على صحة بيعة هؤلاء الفسقة والمجرمين والمحرفين للـدين، في نفس الوقت الـذي يـروون فيـه أحـاديث عن منـاقب أهـل الـبيت ، وعن ظلم الأمة لهم، ومع ذلك يعتبرونها من الفضائل التي لا ينجر عنهـا

---

1) الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، محمد الطيب النجار، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، 1977، ص 102 .

2) صحيح البخاري (9/ 57)

أي عمل.

وهكذا عندما قامت دولة بني مروان والـتي كـان على رأسـها عبد الملك بن مـروان كـان ابن عمـر من المسـارعين إلى بيعتهم، ومد يد الطاعة لهم، وقد روى البخـاري بإسـناده عن عبـد اللـه بن دينار قال : (لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر : إلى عبـد اللـه عبـد الملـك أمـير المؤمـنين، إني أقـر بالسـمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة اللـه وسـنة رسوله ما استطعت، وإن بني قد أقروا بمثل ذلك)(1)

وقد بقي ملتزما بتلك البيعة والطاعة المطلقـة لبـني مـروان حتى بعد تلك الجرائم العظيمـة الـتي قـاموا بهـا، من رمي الكعبـة الشريفة بالمنجنيق وغيرها، ولذلك كان مقربـا من عبـد الملـك بن مروان، وأمر الحجاج بأن يصلي خلفه(2).

ولهـذا لم يجـد الإمـام الحسـين أن يجيب من هـذا حالـه، إلا بقوله: (أبا عبد الرحمن، أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه، وقد قـال النبي ﷺ فيه وفي أبيه ما قال؟!)(3)

وهذا جواب كاف لابن عمر وغـيره، إن أرادوا الوفـاء بـبيعتهم لرسول الله ﷺ، والممتدة لكل الأزمنة، ذلك أن تلك الأحاديث التي أخبر فيها رسول الله ﷺ عما سـيحل بالأمـة بعـده، لم تكن مجـرد إخبار بالغيب، وإنما كانت توجيهات نبوية، تحذر من أن يحصـل في الأمة التبديل والتغيير الذي حصل في غيرها، والذي نص عليه قوله تعـالى: ﴿كَـانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِـدَةً فَبَعَثَ اللـه النَّبِيِّينَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنْـذِرِينَ وَأَنْـزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَـابَ بِـالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَـا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَـا اخْتَلَـفَ فِيـهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُـوهُ مِنْ بَعْـدِ مَـا جَـاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى الله الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَالله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقـرة: 213]،

1) المرجع السابق (9/ 77)

2) البداية والنهاية: 8/334.

3) الفتوح 5: 26، مقتل الحسين للخوارزمي 1: 19، مثير الأحزان 41، وغيرها.

وقولـه: ﴿ وَآتَيْنَـاهُمْ بَيِّنَـاتٍ مِنَ الْأَمْـرِ فَمَـا اخْتَلَفُـوا إِلَّا مِنْ بَعْـدِ مَـا جَـاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًـا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِـي بَيْنَهُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فِيمَـا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الجاثية: 17]

ونص عليه في خصوص هذه الأمة قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئًا وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]

وقد ورد الحديث بتفسير ذلك، والتحذير منه، فقد قال رسول الله ﷺ : (يرد علي يوم القيامـة رهـط من أصـحابي، فيحلـؤون[1] عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقـول: إنـه لا علم لـك بمـا أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى)[2]

وفي رواية في صحيح البخاري أن رسول اللـه ﷺ قـال: (بينـا أنا قائم على الحوض، إذ زمرة، حـتى إذا عـرفتهم خـرج رجـل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النـار واللـه، فقلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم قد ارتـدوا على أدبـارهم القهقـرى، ثم إذا زمرة أخرى، حتى إذا عرفتهم خـرج رجـل من بيـني وبينهم، فقـال لهم: هلم، قلت: إلى أين؟ قـال: إلى النـار واللـه، قلت مـا شأنهم؟ قال: إنهم قـد ارتـدوا على أدبـارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)[3]

وهـذا الحـديث وغـيره من الأحـاديث يـبين قيمـة الثبـات في الدين، وأن العبرة في الاستمرار على المنهج الذي أمر بـه رسـول الله ﷺ، وليس الارتداد عنـه، أو تركـه لأي غايـة من الغايـات، وقـد ورد في الحـديث الـذي اتفـق عليـه الشـيخان البخـاري ومسـلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قـال: (والـذي لا إلـه غـيره، إن أحـدكم

---

1) (فيحلـؤون) أي: يـدفعون عن المـاء، ويطـردون عن وروده، ومن رواه «فيجلـون» بالجيم، فهو من الجلاء: النفي عن الوطن، وهو راجع إلى الطرد.

2) رواه البخاري 11 / 413، ومسلم رقم (247)

3) رواه البخاري (8/150)

ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)(1)

3 ـ انتقاء الأصحاب الرساليين:

وهي من أهم الأهداف التي سعى الإمام الحسين كل جهده لتحقيقها من خلال لقاءاته العامة والخاصة، حتى يوفر لكربلاء ـ والتي يعلم أن مأساتها حاضرة لا محالة كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ ـ الكثير من مشاهد الصدق والثبات والإخلاص التي تحول منها ملحمة فريدة في التاريخ.

فكان شأنه في ذلك مثل شأن المخرج السينمائي الذي يريد أن يمثل فيلما ناجحا ومؤثرا؛ فلذلك يحاول أن يضع فيه أكبر قدر من المشاهد التي تستطيع أن تؤثر في الجمهور.

وهكذا كان الإمام الحسين يعلم تماما المصير الذي سيصير إليه، ولكنه كان يعلم أيضا أن ذلك المصير لن يذهب هدرا، بل سيأتي اليوم الذي ينتصر فيه الدم على السيف، وينتصر فيه الحق على الزيف، وتصبح كل مشاهد كربلاء أشعة هداية للأمة لتنصره من جديد، بعد أن خذله أهل عصره.

بناء على هذا سنذكر هنا نماذج عن بعض الصادقين الذين انتقاهم الإمام الحسين على عينه لصحبته أو لتبليغ رسائله، والذين أدوا أدوارهم البطولية أحسن أداء.

النموذج الأول ـ مسلم بن عقيل:

وهو نموذج للسفير المغامر الفاني في من أرسله، مع علمه بالأخطار الشديدة التي تنتظره، ولكنه مع ذلك لم يبال، ولم يحسب حسابات الربح والخسارة التي حسبها المتخاذلون، لسبب بسيط، وهو علمه أن الإمام الحسين إمام منصب من الله تعالى، وأنه لا يفعل شيئا من عنده، وأن كل ما يفعله عهد عُهد به إليه.

---

1) رواه البخاري (4/135) وفي (4/161) وفي (8/152) ومسلم (8/44) وفي (8/44 و 45)

ولهـذا راح إلى الكوفـة، واسـتعمل كـل الوسـائل ليطبـق التعليمات التي وكلت إليه بكل دقة إلى أن شرف بـأن يكـون أول شـهداء تلـك الملحمـة؛ فنـال حظـه من الشـرف العظيم الـذي لا يدانيه شرف، والذي أشار إليـه رسـول اللـه ﷺ في بعض نبوءاتـه، فقد ورد في الحـديث عن رسـول اللـه ﷺ أنـه أجـاب الإمـام علي عندما سأله عن سر حبه لعقيل بن أبي طالب، فقـال: (إي واللـه! إني لأحبـه حـبين، حبـاً لـه، وحبـاً لحبِّ أبي طـالب لـه، وإن ولـده لمقتول في محبـة ولـدك، فتـدمع عليـه عيـون المؤمـنين، وتصـلي عليه الملائكة المقربون)، ثم بكى ﷺ، وقـال: (إلى اللـه أشـكو مـا تلقى عترتي من بعدي)(1)

وقد شهد له جميع المؤرخين بالشجاعة والصدق والثبات وكل صفات النبل التي اجتمعت في أصحاب الإمام الحسين ، فقد قـال عنه الدينوري واصفا شجاعته: (وخرج ولد عقيـل مـع الحسـين بن عليّ بن أبي طالب، فقتل منهم تسعة نفر. وكان مسلم بن عقيـل أشجعهم. وكـان على مقدّمـة الحسـين فقتلـه عبيـد اللـه بن زيـاد صبراً)(2)

وذكروا أنـه (لمـا قُتـل هـاني بن عـروة بلـغ خـبره مسـلم بن عقيل فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد، فتحصـن منـه بقصر دار الإمارة، واقتتل أصحابه وأصحاب مسلم، وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرفون منـه ويحـذرون أصـحاب مسلم، ولكي يفرّقوا أنصـاره من حولـه أخـذوا يتوعـدونهم بأجنـاد الشام، فلم يزالوا كذلك حتى جاء الليل)(3)

وحينها (جعل أصحاب مسـلم يتفرقـون عنـه، ويقـول بعضـهم لبعض: ما نصـنع بتعجيـل الفتنـة أن نقعـد في منازلنـا ونـدع هـؤلاء القـوم حـتى يصـلح اللـه ذات بينهم، فلم يبـق معـه سـوى عشـرة

---

1) الأمالي: الصدوق، ص114.

2) المعارف، الدينوري، عبد الله بن مسلم، تحقيـق: ثـروت عكاشـة، القـاهرة - مصـر، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1992 م، ص 204.

3) اللهوف، ابن طاووس، ص 34..

أنفس، فدخل مسلم المسجد ليصلي المغرب فتفرق العشرة عنه، ولمّا رأى مسلم ذلك خرج وحيداً في دروب الكوفة حتى وقف على باب امرأة يقال لها طوعة، فطلب منها ماءً فسقته، ثمّ استجارها فأجارته، فعلم به ولدها فوشى الخبر بطريقة إلى ابن زياد، فأحضر محمد بن الأشعت وضم إليه جماعة وأنفذه لاحضار مسلم) [1]

وعندما وصلوا الى دار طوعة، وسمع مسلم وقع حوافر الخيل لبس درعه وركب فرسه وجعل يحارب أصحاب عبيد الله حتى قتل منهم جماعة، فناداه محمد بن الأشعث وقال: يا مسلم لك الأمان. فقال مسلم: وأي أمان للغدرة الفجرة؟! ثمّ أقبل يقاتلهم ويرتجز:

أقسمت لا أقتل	وإن رأيت الموت
أكره أن أخدَع أو	أو أخلط البارد
كلّ امرئ يوماً	أضربكم ولا أخاف

وتكاثروا عليه وقد أثخن بالجراح، فطعنه رجل من خلفه فخر إلى الأرض فأُخذ أسيراً[2].

وقد شاء الله أن يكون أسره مثل جهاده رمزا للبطولة والشجاعة والصدق والثبات، فقد روي أنه لما أدخل على ابن زياد لم يسلم عليه، فقال له الحرس: سلّم على الأمير، فقال له: اسكت، ويحك، والله ما هو لي بأمير، فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول، فقال له مسلم: (إن قتلتني فلقد قتل مَن هو شرّ منك مَن هو خير منّى، وبعد فإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لا أحد أولى بها منك)

وهكذا ابتهل تلك الفرصة ليجري حوارا مع ابن زياد، لا يزال مثالا على الشجاعة والرسالية والصدق، وسننقله هنا ــ كما ذكره

1) المرجع السابق، ص 34..

2) المرجع السابق: ص 35.

المؤرخون(3) ـ لنرى فيه الفرق بين الصادقين من أصحاب الإمـــام الحسـين والثـابتين معـه، وأولئـك المثبطين المتخـاذلين الراكـنين للدنيا، والذين دعتهم أهواؤهم إلى التخلف عنه.

فقد روي أن ابن زياد قال له: يا عـاق يـا شـاق خـرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألحقت الفتنة.

فقال مسلم: كذبت يـا بن زيـاد! إنّمـا شـقّ عصـا المسـلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّـا الفتنـة فإنّمـا ألحقهـا أنت وأبـوك زيـاد بن عبيد عبد بنى علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني اللــه الشـهادة على يدي شرّ بريته.

فقال ابن زيـاد: منتـك نفسـك أمـراً حـال اللـه دونـه، وجعلـه لأهله.

فقال مسلم: ومن يا ابن مرجانة؟

فقال: أهله يزيد بن معاوية.

فقال مسلم: الحمد لله رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد: أتظن أنّ لك في الأمر شيئاً.

فقال مسلم: والله ما هو الظن، ولكنه اليقين.

فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم فشتّت أمرهم بينهم وفرقت كلمتهم؟

فقال مسلم: مـا لهـذا أتيت، ولكنكم أظهـرتم المنكـر ودفنتم المعروف وتآمرتم على الناس بغير رضى منهم، وحملتمـوهم على غـير مـا أمـركم اللـه بـه، وعملتم فيهم بأعمـال كسـرى وقيصـر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف، وننهى عن المنكـر، ونـدعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك.

فجعل زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين .

فقال مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالشتيمة، فاقض ما أنت قـاض

---

3) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، ص 34 - 36..

يا عدو الله.

فأمر ابن زياد بكير بن حمران أن يصعد بـه إلى أعلى القصـر فيقتله، فصعد به وهو يسـبح اللـه تعـالى ويسـتغفره ويصـلّى على النبي ﷺ، فضرب عنقه.

وهذا الحوار كاف لمن تأمله في معرفـة الرسـالة الحسـينية، ومدى وعي أصحابه بهـا، وكـان في إمكـان المتخـاذلين من الـذين عاصروا الإمام الحسين ، أو من الذين لا يزالون يكيلون اللوم لـه، أن يطالعوا أمثال هذه النصوص ليعرفوا في أي صف يقفون، ذلـك أن مقـولاتهم هي نفس مقـولات ابن زيـاد ويزيـد وكـل الظلمـة، والذين اعتبروا حركة الإمـام الحسـين حركـة انشـقاق على الأمـة، وليست حركة تصحيحية لمسارها.

وقد شاء الله أن يختم لمسلم بن عقيل بالشهادة، كمـا أخـبر رسول الله ﷺ، فقد استشهد في التاسع من ذي الحجة يوم عرفة، ونصب ابن زياد رأسه على الخشب بالكوفة وهـو أول رأس نصـب في الإسلام (1).

وقد شاء الله كذلك أن يبقى قبره منارة للعاشقين والمحـبين والموالين لآل بيت النبـوة ، يزورونـه ويذكرونـه ويتـبركون بـه كـل حين، في نفس الوقت الذي يلعنون فيه الظلمة، ويتبرؤون منهم.

ومن الزيـارات المتوارثـة الـتي لا يـزال زواره يرددونهـا عنـد قـبره الشـريف: (سـلام اللـه وسـلام ملائكتـه المقـربين، وأنبيائـه المرسـلين، وعبـاده الصـالحين، وجميـع الشـهداء والصـديقين، والزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليـك يـا مسـلم بن عقيـل، أشـهد لـك بالتسـليم ولتصـديق والوفـاء والنصـيحة لخلـف النـبي المرسل ﷺ والسبط المنتجب، والـدليل العـالم، والوصـي المبلـغ، والمظلوم المهتضم، فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمـنين، وعن فاطمـة، والحسـن، والحسـين أفضـل الجـزاء، بمـا صـبرت واحتسبت وأعنت فنعم عقبى الدار، فلعن الله من خذلك وغشـك، اشهد أنك قتلت مظلوما، وأن الله منجز لكم ما وعدكم، جئتـك يـا

1) الإرشاد، المفيد، ج 2، ص 66، أعيان الشيعة، الأميني، ج 1، ص 614.

عبد الله وافدا إليكم وقلبي مسلم لكم، وأنا لكم تابع، ونصرتي لكم معدة حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين، فمعكم معكم لا مع عدوكم، إني بكم وبآبائكم من المؤمنين وبمن خالفكم وقتلكم من الكافرين، قتل الله أمة قتلتكم بالأيدي والالسن)[1]

إلى آخر الزيارة التي يعبر فيها المؤمنون عن مدى اعترافهم بفضل مسلم بن عقيل، وهي زيارة يتذكر فيها المؤمنون تلك التضحية العظيمة التي قدمها مسلم، لينهل منها، ويستفيد، ويوطن نفسه على أن يقف نفس المواقف.

النموذج الثاني ـ أبو الفضل العباس:

الملقّب بقمر بني هاشم، وهو نموذج للأخ البطل المواسي لأخيه في أحلك الظروف، وهو الذي شهد له المؤرخون أنه (صاحب المنزلة التي يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة، ونافذ البصيرة، وصلب الإيمان، والعبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين)[2]

وقد كان في واقعة كربلاء صاحب لواء أخيه الحسين، وكان له الفضل في كسر الحصار يومي السابع والعاشر من محرم بعد أن حُرِم المخيّم من شرب نهر الفرات، فتمكّن من جلب الماء لمعسكر الحسين في المحاولة الأولى فلقّب بالسقّاء، واستشهد في طريق عودته من المحاولة الثانية، وهو يأبى أن يشرب دون الحسين ومخيّمه، فقطعت يداه.

ومن مواقفه الشجاعة فيها أنه لما جاء شمر بن ذي الجوشن بكتاب الأمان عصر التاسع من المحرم ونادى: (أين بنو أختنا؟ أين العباس وإخوته؟)، فأعرضوا عنه، فقال الحسين: (أجيبوه ولو كان فاسقا)، قالوا: (ما شأنك؟ وما تريد؟)، قال: (يا بني أختي، أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، وألزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد)، فقال له العباس: (تبت يداك ولعن ما جئت به من

---

1) فضل الكوفة ومساجدها، محمد بن جعفر المشهدي، دار المرتضى – بيروت، (ص: 66)

2) الأمين، أعيان الشيعة، ص 429. القمي، نفس المهموم، ص 285.

أمانك يا عدو الله! أتامرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة ، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟! أتؤمننا وابن رسول الله ﷺ لا أمان له؟!)(1)

وقبل ذلك، وفي اليوم السابع من المحرم وعندما حوصر الإمام الحسين ومن معه، ونفذ ما عندهم من الماء، وكل الإمام الحسين أخاه العباس بالسقاية؛ فأمره أن يستقي للحرائر والصبية، وضم إليه ثلاثين فارسا وعشرين راجلا، وبعث معهم عشرين قربة، وتقدم أمامهم نافع بن هلال الجملي، فمضوا غير مبالين، ثم صاح نافع بأصحابه: إملأوا قربكم، وشد عليهم أصحاب ابن الحجاج، فكان بعض القوم يملأ القرب وبعض يقاتل، فجاءوا بالماء وليس في القوم المناوئين من تحدثه نفسه بالدنو منهم، فرقا من العباس(2).

وقد شرف الله تعالى العباس بالشهادة في يوم العاشر من المحرم، بعد أن أبلى بلاء حسنا، واختلف المؤرخون في ذكر كيفية ذلك، فذهب بعضهم إلى أنه (برز إلى الميدان، فحمل على الأعداء مرتجزا، وبعد أن قتل وأصاب عددا منهم سقط شهيدا، فجاءه الحسين ، ووقف عليه، وهو يقول: الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي) (3)

وذهب آخرون إلى أنه (لما اشتد العطش بالحسين ركب المسناة يريد الفرات والعباس أخوه بين يديه فاعترضه خيل ابن

---

1) كتاب الفتوح، الكوفي، أحمد بن أعثم، تحقيق: علي شيري، بيروت ، لبنان، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، 1411 هـ، ج5، ص94. الحائري، معالي السبطين، محمّد مهديّ الحائريّ المازندرانيّ، قم، منشورات الشريف الرضيّ، ج1، ص433. أبي مخنف، وقعة الطفّ، لوط بن يحيى الأزديّ، (أبو مخنف) تحقيق محمّد هادي اليوسفيّ، قم، انتشارات جامعة المدرّسين، 1367ش، ص 219-220.

2) تاريخ الطبري، ج5، ص412، أعيان الشيعة، ج 7، ص 430، . أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيّين، علي بن الحسين، أبو الفرج الأصفهاني، قم،إيران، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر،ط2، 1385هـ/1965م، ص 78. ابن أعثم، الفتوح، ج 5، ص 92.

3) مقتل الحسين، الخوارزمي(ع)، ج 2، ص 34. المقرم، حادثه كربلا در مقتل مقرم، ص 262..

سعد... ثم اقتطعوا العباس عنه، وأحاطوا به من كل جانب حتى قتلوه قدس الله روحه، فبكى الحسين لقتله بكاء شديدا) (1)

وذهب آخرون إلى أنه مضى يطلب الماء، فحملوا عليه وحمل عليهم حتى ضعف بدنه، فكمن له حكيم بن طفيل الطائي السنبسي، فضربه على يمينه، فأخذ السيف بشماله، وحمل وهو يرتجز:

يا نفس لا تخشي   وأبشري برحمة
مع النبي السيد   قد قطعوا ببغيهم
فأصلهم يا رب حر النار

فضربه لعين بعمود من حديد فقتله(2).

وقد كانت له مواقف سابقة في الشجاعة في حياة أبيه، ومنها ما روي أنه في بعض أيّام صفّين خرج من جيش أمير المؤمنين شاب على وجهه نقاب، تعلوه الهيبة، وتظهر عليه الشجاعة، يقدّر عمره بالسبع عشر سنة، يطلب المبارزة، فهابه الناس، وندب معاوية إليه ابن الشعثاء، فقال: إنّ أهل الشام يعدّونني بألف فارس، ولكن أرسل إليه أحد أولادي، وكانوا سبعة، وكُلّما خرج أحد منهم قتله حتّى أتى عليهم، فساء ذلك ابن الشعثاء وأغضبه، ولمّا برز إليه ألحقه بهم، فهابه الجمع ولم يجرأ أحد على مبارزته، وتعجّب أصحاب أمير المؤمنين من هذه البسالة التي لاتعدو الهاشميين، ولم يعرفوه لمكان نقابه، ولما رجع إلى مقرّه دعا أبوه أمير المؤمنين ، وأزال النقاب عنه، فإذا هو قمر بني هاشم ولده العبّاس (3).

ولذلك كله شرف بذكر الأئمة له، وثنائهم عليه، فقد قال عنه

---

1) السيد بن طاوس، اللهوف، ص 117-118. الحلي، مثير الأحزان، ص 257..

2) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج 4، ص 108..

3) العباس عليه السلام، المُقرّم، السيّد عبد الرزّاق الموسوي، تحقيق: سماحة الشيخ محمّد الحسّون، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عليهم السلام، إعداد مركز الأبحاث العقائدية، د م، د ت، ص153.

الإمام السجاد : (رحم الله عمّي العبّاس بن علي، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتّى قُطعت يداه، فأبدله الله عزّوجلّ جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، إنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة)(1)

وقال عنه الإمام الصادق : (كان عمّي العبّاس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أخيه الحسين ، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً.... أشهد، وأُشهد الله أنّك مضيت على ما مضى به البدريون والمجاهدون في سبيل الله، المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرة أوليائه، الذابّون عن أحبّائه) (2)

وقد قال عنه في الزيارة المنسوبة إليه: (فجزاك الله عن رسوله، وعن أمير المؤمنين، وعن الحسن والحسين صلوات الله عليهم أفضل الجزاء بما صبرت، واحتسبت، وأعنت فنعم عقبى الدار) (3)

ومثل ذلك ورد ذكره في زيارة الناحية المقدسة، والتي يقول فيها الزائر: (السلام على أبي الفضل العبّاس ابن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه) (4)

النموذج الثالث ـ علي الأكبر:

وهو نموذج للأب الذي يقدم ابنه العزيز عليه شهيدا في سبيل الله، ليعيد بذلك إحياء تضحية إبراهيم بابنه امتثالا للأمر

1) الصدوق، الخصال، ج 1، ص 68..

2) ابن عنبه، عمدة الطالب، ص 280. الأمين، أعيان الشيعة، ص 430.

3) ابن قولويه القمي، كامل الزيارات، ص 786..

4) بطل العلقميّ، عبد الواحد المظفّر، النجف الأشرف، مطبعة دار النشر والتأليف، 1369هـ، ج 2، ص 311.

الإلهي.

وعلي الأكبر هو أحد ثلاثة أبناء سماهم الإمام الحسين باسم أبيه المظلوم الذي راح بنو أمية يجرمون التسمية باسمه، ويستعملون كل الوسائل لتشويهه (1)، وقد كان أشبه الناس بجدّه المصطفى ﷺ خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، فقد وصفوه بأنه كان (معتدل القامة، عريض المنكبين، أبيض اللون مشروب بحمرة، أسود العينين، كث الحاجبين، إذا مشى كأنه ينحدر من الأرض، يلتفت بتمام بدنه، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، وتفوح منه رائحة المسك والعنبر)(2)

ولهذا قال الإمام الحسين عندما خرج علي الأكبر للقتال يوم عاشوراء: (اللهمّ اشهدْ على هؤلاء القوم فقد برزَ إليهم غُلامٌ أشبهُ النّاسِ خَلْقَاً وخُلُقاً ومَنْطِقاً برسولك)(3)

وقد روي أنه لما كان في آخر الليلة التي بات بها الإمام الحسين عند قصر بني مقاتل، أمر بالاستسقاء من الماء، ثم أمر بالرحيل، فلما ارتحلوا من قصر بني مقاتل وساروا ساعة، خفق الحسين برأسه خفقة، ثم انتبه وهو يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين)، قال ذلك مرّتين أو ثلاثاً. فأقبل إليه علي بن الحسين على فرس له، فقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، يا أبت جعلت فداك مم حمدت الله واسترجعت؟) قال: (يا بني إني خفقت برأسي خفقة، فعنّ لي فارس على فرس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا)، قال له : يا أبت لا أراك الله سوءً ألسنا على الحق؟ قال: بلى والّذي إليه مرجع العباد. قال: يا أبت إذاً لا نبالى أن نموت محقين، فقال له: جزاك الله من ولد خير ما

1) الحائري، معالي السبطين، ج 1، ص 206..

2) بن سعد، الطبقات الكبرى، ج 5، ص 211.؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، ص 446.

3) ابن طاووس، اللهوف، ص 139.؛ مقتل الحسين، الخوارزمي ، ج 2، ص 34..

جزى ولداً عن والده)[1]

وقد كانت كلماته أثناء القتال تدل على ذلك الوعي الرسالي الكبير الذي كان يحمله كل من كان مع الإمام الحسين ، وهي رسائل للأجيال لتنهل منها، وتسير على هديها، فقد روي أنه قال مرتجزا[2] :

أنا علي بن الحسين   نحن وربّ البيت أولى
تالله لا يحكم فينا   أضرب بالسيف
ضرب غلام هاشمي قرشي

وقد كان الإمام الحسين ــ على حسب ما تدل الروايات ـ متأثرا كثيرا لما سيحصل لابنه الشبيه برسول الله ﷺ، وقد روي أنه كان يصيح في الأعداء قائلا: (يا ابن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظني في رسول الله ﷺ، وسلط عليك من يذبحك على فراشك)[3]

وكان يقول: (اللهم اشهد على هؤلاء، فقد برز إليهم أشبه النّاس برسولك محمّدٍ ﷺ خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، وكنّا إذا اشتقنا إلي رُؤيةِ نَبيك نَظرنا اِليه)[4]

ثم يقول: (للهم امنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا)[5]

---

1) وقعة الطف، أبو مخنف، ص 276.؛ تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 309..

2) مقتل الحسين، المقرم، ص 321.؛ الإرشاد، ج 2، ص 106..

3) مقتل الحسين، الخوارزمي، ج 2، ص 35..

4) اللهوف، ابن طاووس، ص 139، مثير الأحزان، ابن نما الحلي، ص 68..

5) مقتل الحسين، الخوارزمي، ج 2، ص35.؛ ابن طاووس، اللهوف، ص 139..

ثم يرفع صوته، ويتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: 33، 34](1)

وقد روي في المقاتل الكثير من مشاهد بطولته وشجاعته التي لا تزال مدرسة لتلاميذ كربلاء ينهلون منها قيم الشجاعة والصدق والثبات، وقد روي أنه بعد أن قتل عددا كبيرا من الأعداء، رجع إلى أبيه وقال: (يا أبت العطش قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماءٍ من سبيل؟)، فقال له الإمام الحسين : (قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدّك محمداً ﷺ فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها)(2)

وروي أنه في احتضاره، وقبل أن يستشهد راح يقول مخاطبا أباه: (يا أبتاهُ هذا جَدّي رسول الله ﷺ قد سَقاني بكأسه الأوفى شِرْبةً لا أظمأ بعدها أبداً وهو يقولُ العَجَل العَجَل فإنّ لك كأساً مذخورة)، ثم فاضت روحه الطاهرة (3).

وروي أن الإمام الحسين وقف عليه، ووضع خدّه على خدّه، وهو يقول: (قَتَل اللهُ قَوْماً قتلوك ما أجْرأهُم على الرّحمن وعلى انتهاك حُرْمَةِ الرّسول ﷺ)، ثمّ قال: (على الدّنيا بَعْدَك العَفَا)(4)،

وروي أنه أخذ بكفه من دمه، ورمى به نحو السماء فلم

---

1) مقتل الحسين، الخوارزمي، ج 2، ص 35..

2) مقتل الحسين، الخوارزمي، ج 2، ص 35..

3) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، ص 115.؛ ابن طاووس، اللهوف، ص 49.؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 45، ص 44..

4) ابن طاووس، اللهوف، ص 4.؛ المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 106.؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص247.؛ أبو مخنف، وقعة الطف، ص 278.؛ ابن طاووس، اللهوف، ص 139.؛ المفيد، الإرشاد، ص 459..

يسقط منه قطرة (1)، وإلى ذلك الإشارة بما ورد في زيارة الإمام الصادق ، والتي يقول فيها: (بأبي أنت وأمّي، دمك المرتقى به إلى حبيب الله، بأبي أنت وأمّي من مقدّم بين يدي أبيك يحتسبك، ويبكي عليك محترقاً عليك قلبه، يرفع دمك إلى عنان السماء لا يرجع منه قطرة)(2)

النموذج الرابع ـ حبيب بن مظاهر:

وهو نموذج العابد المجاهد الصادق، وهو من أشهر أصحاب الإمام الحسين ، وكان من السبعين رجلا الذين نصروه في كربلاء وصبروا على البلاء حتى قتلوا معه، وكان عابداً ورعا تقيا ومراعيا لحدود الله تعالى، حافظا للقرآن الكريم، وكان يختمه في كل ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر(3).

وكان قد أرسل إليه الإمام الحسين رسالة يقول فيها: (إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر: أما بعد، يا حبيب! فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله ﷺ، وأنت أعرف بنا من غيرك، وأنت ذو شيمة وغيرة، فلا تبخل علينا بنفسك، يجازيك جدي رسول الله ﷺ يوم القيامة)(4)

وكان حبيب ـ حين وصلته الرسالة ـ جالسا مع زوجته، وبين أيديهما طعام يأكلان، إذ وصلته الرسالة، فاستشار زوجته، فحثته على نصرة ابن رسول الله ﷺ.

وعندما وصل إلى الإمام الحسين ، ورأى قلة أنصاره وكثرة محاربيه، قال له: إن هاهنا حيّا من بني أسد فلو أذنت لي لسرت إليهم ودعوتهم إلى نصرتك لعل الله أن يهديهم وأن يدفع بهم

---

1) المقرم، مقتل الحسين(ع)، ص 272.

2) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص 416...

3) الشيخ عباس القمي، نفس المهموم، ص١٢٤..

4) ابن جرير، الطبري، ج٥، ص٣٥٢، ٣٥٥، ٤١٦..

عنك! فأذن له الحسين؛ فسار إليهم حتى وافاهم فجلس في ناديهم ووعظهم وقال لهم: (يا بني أسد قد جئتكم بخير ما أتى به رائد قومه، هذا الحسين بن علي أمير المؤمنين وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقد نزل بين ظهرانيكم في عصابة من المؤمنين، وقد أطافت به اعداؤه ليقتلوه، فأتيتكم لتمنعوه وتحفظوا حرمة رسول الله ﷺ فيه)، فخرجوا معه، فعارضهم عمر بن سعد ليلا ومانعهم فلم يمتنعوا فقاتلهم، فلما علموا أن لا طاقة لهم بهم تراجعوا في ظلام الليل وتحملوا عن منازلهم، وعاد حبيب إلى الحسين فأخبره بما كان، فقال : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله ﴾ [التكوير: 29]، ولا حول ولا قوة إلا بالله)(1)

وفي صباح العاشر من المحرم جعل الإمام الحسين زهير بن القين على الميمنة، وحبيب بن مظاهر على الميسرة ووقف في القلب وأعطى الراية لأخيه العباس، ولما دعا الإمام الحسين براحلته فركبها ونادى بصوت عال يسمعه جلهم: (أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ.. أو لم يبلغكم قول رسول الله ﷺ لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟!)، فرد عليه الشمر قائلا: (هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول)، فقال له حبيب بن مظاهر: (والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفا، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك)(2)

وقد روي أنه قاتل قتالا شديدا، ثم حمل عليه بُديل بن صُرَيم فطعنه فذهب ليقوم فضربه الحصين بن نمير على أمّ رأسه بالسيف؛ فوقع ونزل بديل فاجتز رأسه وأخذ فعلقه في عنق فرسه، فقال الإمام الحسين : (عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي)(3)، وفي رواية قال : (لله دَرُّكَ يا حبيب، لقد كنتَ فاضلاً

1) الأمين، أعيان الشيعة، ج٤، ص٥٥٤ ..

2) المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 98..

3) أبو مخنف، وقعة الطف، ص٢٦٥..

تختم القرآن في ليلة واحدة)(1).

وقد شرفه الله تعالى بأن يـدفن في جـوار الإمـام الحسـين ، ذلك أن بني أسد دفنوه على بعد عشرة أمتـار من رأس الحسـين، حيث قبره الآن في الرواق الشرقي من الروضـة الحسـينية، وقـد ورد ذكره في زيارة الناحية المقدسة وزيـارة الإمـام الحسـين في النصف من شعبان وغيرها (2).

النموذج الخامس ـ مسلم بن عوسجة:

هو نمـوذج الشـيخ الـذي لم يمنعـه كـبر سـنه ولا مكانتـه من قومه من نصر إمامه، وقد شرفه الله تعالى بأن يكـون أول شـهيد من أنصار الحسين بعد الحملة الأولى، على الـرغم من كونـه كـان شيخاً كبير السن، وشخصية بارزة في قومـه، بـل شخصـية بـارزة في الكوفة، وكان فوق ذلك من صحابة رسول اللـه ﷺ، ومن رواة حديثه (3).

وكان فـوق ذلـك كلـه شـجاعاً وجريئـاً شـارك في الكثـير من حروب المسلمين، وشهد مـع الإمـام علي كـلّ غزواتـه، وكـان في الكوفة يأخذ البيعة من الناس للحسين بن علي ، وقد جعله مسلم بن عقيـل حين ثـار بالكوفـة على رأس طائفـة من مـذحج وأسـد، وكان ينهض بجمع المال والسلاح والأنصار.

وقـد صـدق مسـلم فيمـا ذكـره، وشـهد لـه الإمـام الحسـين بالصدق والثبـات على العهـد، فعن عمـروبن الحّجـاج أن الحسـين حمـل من نحـو الفـرات، فاضـطربوا سـاعة، فصُـرع مسـلم بن عوسجة الأسـدي، وانصـرف عمـرو ومسـلم صـريع، فمشـي إليـه الحسـين وبـه رمـق فقـال: (رحمـك اللـه يـا مسـلم بن عوسـجة، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَـى نَحْبَـهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِـرُ وَمَـا بَـدَّلُوا تَبْـدِيلًا﴾

1) محمد مهدي الحائري، شجرة طوبى، ج 2، ص 442..

2) السيد بن طاوس، أقبال الأعمال، ص 229..

3) أنصار الحسين:93.

[الأحزاب: 23])(1)

وقد روي أنه بعد إصابته، وفي آخر لحظات حياته قدم إليه الحسين ومعه حبيب، فقال حبيب: عزَّ عليَّ مصرعك يا مسلم، أَبشر بالجنّة! فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير. فقال حبيب: لولا أنّي أعلمُ أنّي في إثرك لاحقٌ بك من ساعتي هذه لأحببتُ أن توصي إليَّ بكلّ ما أهمّك حتّى أحفظك في كلّ ذلك بما أنت له أهل من الدين والقرابة؛ فقال له: بلى، أوصيك بهذا رحمك الله! وأومأ بيديه إلى الحسين أنْ تموت دونه! فقال حبيب: أفعل وربّ الكعبة. وفي رواية لأنعمنك عيناً. ثم مات(2).

وروي أنه لما استشهد تنادى أصحاب عمرو ابن الحجّاج: قتلنا مسلم بن عوسجة الأسديّ، فقال شبث لبعض من حوله من أصحابه: (ثكلتكم أمّهاتكم! إنّما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلّلون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة! أما والّذي أسلمت له لربّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم! لقد رأيته يوم سَلَقِ أذربيجان قتل ستّة من المشركين قبل تتامّ خيول المسلمين، أَفيقتل منكم مثله وتفرحون)(3)

ولذلك شرف بذكره في زيارة الناحية المقدسة، والتي يقول فيها الزائر: (السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: أنحن نخلى عنك؟! وبم نعتذر عند الله من أداء حقك)

وهكذا ورد ذكره في زيارة الشهداء يوم عاشوراء، والتي يلعن فيها الزائر قتلة مسلم بن عوسجة(4)، وغيرها من الزيارات

---

1) الكامل في التاريخ، ج4، ص 76-86 ، تاريخ الأمم والملوك، ج 76 ص 643-363 ؛ الإرشاد، ص 237؛ إعلام الوري، ص 142.

2) بحار الأنوار20:45، ابن طاووس، اللهوف، ص 64.

3) الطبري، تاريخ الطبري، ج 4، ص 332..

4) ابن طاووس، إقبال الأعمال، ج 3، ص 77..

الـتي حفظت ثباتـه وصـدقه وجعلتـه نموذجـا للمـوالين الثـابتين الصادقين.

النموذج السادس ـ زهير بن القين:

وهـو نمـوذج التـائب الصـادق في توبتـه، وقـد كـان من كبـار شيوخ قبيلة بجيلة في الكوفة، وكان قبل ذلك عثمانيا، وله موقــف سـلبي من الإمـام الحسـين ، ولكن العـبرة بالصـدق والإخلاص، لا بالأسبقية.

وقـد روى المؤرخـون أنـه عنـدما بعث الإمـام الحسـين إليـه رسولا يستدعيه، كـره الـذهاب إليـه، فقـالت لـه زوجتـه دلهم بنت عمرو: يا سبحان الله أيبعث اليك الحسـين بن فاطمـة ثم لا تأتيـه، ما ضرك لو أتيته فسمعت كلامه ورجعت، فذهب زهـير على كـره، فمــا لبث أن عــاد مستبشــرا ضــاحكا وقــد أشــرق وجهــه، فــأمر بفسطاطه فقلع، وضم فسطاطه بركب الإمـام الحسـين ، ثم ودع زوجته، وقيل أنه قال لهـا: (أنت طـالق، فتقـدمي مـع أخيـك حـتى تصــلي إلى منزلــك، فــإني قــد وطنت نفســي على المــوت مــع الحسين)[1]

وقال لمن كان معه من أصحابه: (من أحب منكم أن يتبعــني، وإلا فانه آخر العهد)، ثم قال: (إني سأحدثكم حديثا: غزونـا بلنجـر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي: (أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟)، فقلنـا: نعم، فقـال لنـا: (إذا أدركتم شباب آل محمد، فكونوا أشد فرحـا بقتـالكم معـه بمـا أصبتم من الغنائم)، فأما أنا فإني أستودعكم الله[2].

وروي أنه قال بعد سماعه خطابا للإمام الحسين : (قد سمعنا ـ هداك الله ـ يا ابن رسول الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا باقية وكنـا فيهـا مخلـدين، إلا أن فراقهـا في نصـرك ومواسـاتك، لآثرنـا النهوض معك على الإقامة فيها)؛ فدعا له الحسين ، وقال له خـيرا

1) تاريخ الطبري، ج 4، ص 396 والشيخ المفيد، الإرشاد، ج 2، ص 72 - 73.

2) أنساب الأشراف ج3، ص167ـ 168. وتاريخ الطبري ج4، ص 298، تنقيح المقال ج 1، ص452-453.

.(1)

وروي أنه قال لعزرة بن قيس(2) : (اتق الله يا عـزرة؛ فـإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن لا تكون ممن يعين أهل الضلالة على قتل النفوس الزكية)، فقال لـه عـزرة: يـا زهـير، مـا كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنمـا كنت على غـير رأيهم؟)، فقال زهير: (أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم، أما واللـه مـا كتبت إليه كتابا قط، ولا أرسـلت إليـه رسـولا، ولا وعدتـه نصـرتي، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله ﷺ ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه عدوه، فـرأيت أن أنصـره، وأن أكون من حزبه، وأجعـل نفسـي دون نفسـه لمـا ضـيعتم من حـق رسوله)(3)

وهكذا استمر يناضـل عن الإمـام الحسـين إلى آخـر لحظـات حياته، وقد أجاب الإمام الحسين عنـدما طلب من أصـحابه الفـرار بأنفسـهم بقولـه: (واللـه لـوددت أني قتلت، ثم نشـرت، ثم قتلت، حتى أقتل هكذا ألف مرة، وإن الله يدفع بـذلك القتـل عن نفسـك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك)(4)

---

1) أنساب الأشراف ج3، ص171. وتاريخ الطبري، المجلد 4، ص 305، والملهـوف، ص 138.

2) عزرة بن قيس بن غزية الأحمسي البجلي الدهني الكوفي، ورد باسم عروة بن قيس في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (الإرشاد 2/ 38 و84 و95 و104)، وهو أحد قادة جيش عمر بن سعد، الذي قاتل الإمام الحسين في كربلاء، ولد قبل الهجرة النبوية الشـريفة، وقـد بعثـه أبـو بكـر إلى أرض العـراق، ثم اسـتعمله عمـر بن الخطـاب واليـاً على حلـوان، وحـاول فتح شهرزور فلم يقدر عليها، وكان أحـد الـذين كـاتبوا الإمـام الحسـين وطلبـوا منـه القـدوم إلى الكوفة، وبعثه عمر بن سعد رسولاً إلى الإمام الحسين، وهو في نينـوى – من أرض كـربلاء – فاستحيا أن يأتيه، لأنه كان ممن كاتبه، وقد جعله ابن سعد قائداً على خيل أهل الكوفـة الـتي سـارت لقتـال الإمـام الحسـين، وكـان أحـد الاشـخاص الـذين حملـوا رأس الإمـام الحسـين وأصحابه، وقدموا بها إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة، انظر: مختصر تاريخ دمشق 17/ 33، تاريخ الطبري 3/ 317 و325، والكامل في التاريخ 3/ 38..

3) الفتـوح ج 5، ص 177 -178 . أنسـاب الأشـراف ج 3، ص 184 . مقتـل الحسـين الخوارزمي ج 1، ص 353 - 354 . تاريخ الطبري، المجلد 4، صص 315-316.

4) تاريخ الطبري، المجلد 4، ص 318. الأرشاد ج2 ص92. الملهوف، ص 153.

وقد وفى بعهده، وثبت عليه، وقد روي أن الإمام الحسين جعله على الميمنة، وحبيب بن مظاهر على الميسرة ووقف في القلب وأعطى الراية لأخيه العباس، وبعد أن فرغ الإمام الحسين من وعظ معسكر ابن سعد، خرج زهير بن القين على فرس له شاك في السلاح فقال: (يا أهل الكوفة بدار (نذار) لكم من عذاب الله بدار (نذار) إن حقا على المسلم نصيحة المسلم، ونحن حتى الآن أخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا نحن أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية محمد ﷺ؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا السوء عمر سلطانهما كله، إنهما يسملان أعينكم، ويقطعان يديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه)؛ فسبوه وأثنوا على ابن زياد، فقال لهم: (يا عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن كنتم لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، فلعمري إن يزيد يرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين)

حينها رماه شمر بسهم، وقال: (اسكت، أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك)، فقال زهير: (يا ابن البوال على عقبيه ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، وأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم)، فقال شمر: (إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة)، فقال: (أفبالموت تخوفني! والله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم)

ثم رفع صوته وقال: (عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي، فوالله لا تنال شفاعة محمد ﷺ قوما أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتوا من نصرهم وذب عن حريمهم. فأمره الحسين فرجع)(1)

وهكذا ظل ينتصر للإمام الحسين إلى أن حانت صلاة الظهر يوم عاشوراء، حينها أمر الإمام الحسين زهير بن القين وسعيد بن

---

1) تاريخ الطبري، المجلد 4، صص 323-324. الكامل في التاريخ ج4، ص63-64. تاريخ اليعقوبي ج2، ص244-245. أنساب الأشراف ج3، ص188-189.

عبد الله الحنفي أن يتقدما أمامه بنصف من تخلف معه، ثم صلى بهم صلاة الخوف، ولما فرغ من الصلاة، تقدم زهير فجعل يقاتل قتالا شديدا إلى أن استشهد، وحينها وقف عليه الإمام الحسين ، وهو يقول: (لا يبعدنك الله يا زهير، ولعن قاتلك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير)(1)

وهو أحد الذين شرفوا بالذكر في زيارة الناحية المقدسة؛ ففيها يقول الزائر: (السلام على زهير بن القين البجلي القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: لا والله، لا يكون ذلك أبدا! أ أترك ابن رسول الله ﷺ أسيرا في يد الأعداء وأنجو أنا، لا أراني الله ذلك اليوم)(2)

النموذج السابع ـ سعيد بن عبد الله الحنفي:

وهو صاحب الشعار العظيم الذي لا يزال الحسينيون يرددونه، فقد قال ليلة عاشوراء جوابا لطلب الإمام الحسين من أصحابه الانصراف عنه، والفرار بأنفسهم: (لا والله لا نخلّيك حتى يعلم الله إنّا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ وذرّيته فيك، والله لو قتلت ثم أُبعث حيّاً، ثم أحرق، ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما تركتك وحدك، وكيف أفعل ذلك وإنّما هي موتة وقتلة واحدة ثم بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا)(3)

وسعيد بن عبد الله الحنفي الذي قال تلك الكلمات النيرة، والتي لا زالت شعارا يردده الحسينيون، كان آخر الرسل الذين قدموا إلى الحسين بكتب أهل الكوفة، وكان من الوجوه المعروفة فيها، وكان له دوره في نصرة مسلم بن عقيل، وهو الذي سار بكتاب مسلم إلى الحسين بمكّة، وسار برفقته إلى الكوفة، إلى أن حلَّ يوم الطفّ، وفي ظهيرة عاشوراء لمّا وقف الحسين للصلاة، تقدم أمامه سعيد بن عبدالله الحنفي، وكلّما أخذ الحسين

---

1) مقتل الحسين، الخوارزمي ج2، ص23.

2) الاقبال ج3، ص77-78.

3) أعيان الشيعة 7: 241.

يمينا وشمالا قام بين يديه، فما زال يرمي به حتّى سقط إلى الأرض، فوُجد به ثلاثة عشر سهما سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح(1).

وقد شرف بذكره في زيارة الناحية المقدسة مع الكلمات النيرة التي قالها بين يدي الحسين ليلة عاشوراء، ففيها يقول الزائر: (السلام على سعد بن عبدالله الحنفي، القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: لا والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ والله لو أعلم أني أقتل ثم أحيا، ثم أحرق ثم أذرى، ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك، حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي موتة أو قتلة واحدة، ثم هي بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا ؟! فقد لقيت حمامك، وواسيت إمامك، ولقيت من الله الكرامة في دار المقام، حشرنا الله معكم في المستشهدين، ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين)(2)

4 ـ تقديم كل أنواع التضحية:

لا يمكن لأحد أن يفهم سر تلك التضحيات العظيمة التي قام بها الإمام الحسين دون أن يعرف سر الإمامة، وكونها امتدادا للنبوة، ووراثة لها، وكون صاحبها لا يفعل شيئا من عنده، وإنما هو يطبق كل ما عُهد إليه بدقة، وبعيدا عن إدخال اجتهاده أو رأيه أوعقله، وهو ما صرح به الإمام الحسين في مواضع كثيرة قبل عاشوراء، وعندها.

أما من لا يفهم ذلك؛ فهو يسارع إلى النقد، لأنه يحسب الأمور بالحسابات البشرية العادية، والتي تستبعد الجانب الغيبي، وتصور الأمور بصورة سطحية تفتقد لأدنى درجات العمق.

وكمثال يقرب ذلك: التعامل مع تصرفات إبراهيم مع زوجته وهاجر وابنه إسماعيل ، والذي على أساسه قامت الكثير من

---

1) بحار الأنوار 45: 21.

2) بحار الأنوار 45: 70.

الشعائر التعبدية التي أمر الله بتعظيمها، والذي لا يزال أثره وذكره باقيا إلى اليوم.

فلو أن أحدا لم يؤمن بأن إبراهيم رسول من الله تعالى، وراح يزن تصرفاته كما يزن تصرفات أي بشر عادي؛ فسيحكم عليه بأحكام لا تتناسب أبدا مع ذلك التقديس والتعظيم الذي عبر عنه القرآن الكريم، بل قد يصفه بالجنون أو الإهمال، أو أي صفة شاء من الصفات.

لكن عندما يؤمن بأن الذي فعل ذلك هو رسول الله وخليله ومصطفاه، وأنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه، وإنما كان يطبق كل ما يؤمر به بدقة عالية، كما قال تعالى مخبرا عن نجاحه في كل الكلمات التي ابتلي بها: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124]، فإنه في ذلك الحين يسلم له، ويعلم أن الله تعالى لا يأمر بالعبث، وأن كل ما حصل رسائل إلهية لعباده.

وهكذا الأمر مع الإمام الحسين ، ومع كل ما حصل له في كربلاء؛ والذي وردت الأحاديث بالإخبار عنه قبل حصوله، وهو ما يدل على أنها كلمات ابتلي بها الإمام الحسين ليكون لها أثرها المستقبلي البعيد، مثلما كان لحركة إبراهيم أثرها المستقبلي في هذه الأمة.

وعند النظر إلى ما فعله الإمام الحسين بهذه الرؤية تصبح كل حركة من حركاته شعيرة من الشعائر المقدسة، مثل تلك الشعائر التي نشأت عن حركة هاجر وهي تبحث عن الماء لابنها إسماعيل، أو مثل تلك الحركات التي قام بها إبراهيم ، وهو يرجم الشيطان، أو هو يقدم ابنه في سبيل الله.

والأدلة على هذه الرؤية كثيرة جدا في مصادر السنة والشيعة، فكلهم يخبر أن رسول الله ﷺ أخبر بقتله، بل بمكانه، ولم ينهه عن ذلك، بل ذكر مناقبه وكونه سيد شباب أهل الجنة، وكونه منه، وهو ما يدل على أن تلك الحركة حركة نبوية.

وقد ذكر العلماء الكثير من النصوص الـتي يخـبر فيهـا الإمـام الحسـين بالتضـحية الـتي طلب منـه أن يقـدمها، ليحمي دين هـذه الأمة من أن يستبد به المستبدون أو يحرفه المحرفون، ومنها:

1 ــ خطبتـه الـتي خطبهـا حين عـزم على مغـادرة الحجـاز والتوجه الى العراق، والتي يقـول فيهـا: (كـأني بأوصـالي تقطعهـا عسلان الفلاة بين النـواويس وكـربلا، فيملأن مـني أكراشـا جوفـا، وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضـانا أهـل البيت نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته، بل هي مجموعة لـه في حضـيرة القـدس، تقـربهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلا مهجته، موطنـا على لقاء الله نفسه فليرحـل معنـا، فـإني راحـل مصـبحا إن شـاء اللـه تعالى)[1]

فهذا نص صريح الدلالـة على علمـه بدقـة لمـا سيحصـل لـه، وقوله فيه: (لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمتـه) دليـل على أن مـا قام به من تضحية هو تنفيذ لأوامر إلهية، ووصايا نبوية.

2. عدم أخذ الإمام الحسين بنصيحة عمر بن عبد الرحمن بن الحارث له بمكة مع اعتذاره إليه، واعترافه بنصحه، فقد قال عمـر بن عبـد الـرحمن بن الحـارث بن هشـام المخـزومي: (لمـا تهيـأ الحسين للمسير إلى العـراق، أتيتـه فـد خلت عليـه فحمـدت اللـه وأثنيت عليه ثم قلت: أما بعـد، فـاني أتيتـك يـابن عم لحاجـة أريـد ذكرها نصيحة، فإن كنت ترى أنك تستنصحني، وإلا كففت عما اريد أن أقول)، فقال الحسين : (قل فوالله ما أظنك بسـئ الـرأي، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل)، قال: إنه قد بلغني أنك تريد المسـير إلى العراق واني مشفق عليـك من مسـيرك، إنـك تـأتي بلـدا فيـه عمالـه وأمـراؤه ومعهم بيـوت الأمـوال، وإنمـا النـاس عبيـد لهـذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلـك من وعـدك نصـره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه. فقال الحسين : (جزاك الله خـيرا يا ابن عم، فقـد واللـه علمت أنـك مشـيت بنصـح وتكلمت بعقـل، ومهمـا يقض من أمـر يكن، أخـذت برأيـك أو تركتـه، فـأنت عنـدي

[1]) الحدائق الورديّـة، حسـام الـدين المحلّى، صـنعاء، جـامع النهـرين: 1 /ـ 117، مفتـاح الافكار (ص 148) كشف الغمة 2 / 241.

أحمد مشير وأنصح ناصح)[1]

3. جوابه لمحمد بن الحنفية حين أشار عليه بعدم الخروج إلى العراق، فوعده النظر، ثم ارتحل في السحر، فعن الإمام الصادق قال: (سار محمد بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة فقال: يا اخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال : يا اخي قد خفت ان يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت، فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فسر الى اليمن أو بعض نواحي البر، فإنك امنع الناس به ولا يقدر عليك أحد؛ فقال : (أنظر فيما قلت). ولما كان السحر ارتحل الحسين ، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال له: يا اخي ألم تعدني النظر فيما سألتك. قال : (بلى). قال: فما حداك على الخروج عاجلا. فقال : (اتانى رسول الله ﷺ بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين اخرج فإن الله، قد شاء ان يراك قتيلا)، فقال له ابن الحنفية: إنا الله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال ؟ ! فقال له: (قد قال لي: (إن الله قد شاء ان يريهن سبايا) وسلم عليه ومضى[2].

وهذا نص صريح؛ فرسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه لا يتمثل به الشيطان، وخاصة إن كان الرائي له حبيبه وسبطه وريحانته الإمام الحسين ، وهذا ما يقرب ما حصل له بما حصل لإبراهيم .

4. تصديقه لكل من أخبره بما سيحصل له من الذين دعوه من الغدر، ومع ذلك تحرك وفق تكليفه الشرعي، غير مبال بما توقعوه، وبما كان يعلمه هو نفسه، ومن الأمثلة على ذلك ما روي

---

1) تاريخ الطبري 3:ـ 294، الفتوح 5:ـ 71 ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي 1: 215.

2) اللهوف: 27، بحار الأنوار 44: 364، العوالم 17: 214، أعيان الشيعة 1: 593..

أنه عندما بلغ ذات عرق(1)لقيه رجل من بني أسد يقال له بشر بن غالب، فقال له الإمام الحسين : (ممن الرجل) ؟ قال: رجل من بني أسد. قال: (فمن أين أقبلت يا أخا بني أسد؟) قال: من العراق، فقال: (كيف خلفت أهل العراق؟) قال: يا ابن بنت رسول الله خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية! فقال له الإمام: (صدقت يا أخا العرب ! إن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد)، فقال له الأسدي: يا ابن بنت رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: 71]؟ فقال الإمام: (نعم يا أخا بني أسد هم إمامان: إمام هدى دعا الى هدى، وإمام ضلالة دعا الى ضلالة، فهدى من أجابه الى الجنة، ومن أجابه الى الضلالة دخل النار)(2)

ومثله ما روي عن الزبير بن الخريت، قال: سمعت الفرزدق قال: لقيت الحسين بذات عرق وهو يريد الكوفة، فقال له: (ما ترى أهل الكوفة صانعين ؟ فإن معي حملا من كتبهم)، قلت: يخذلونك فلا تذهب، فإنك تأتي قوما قلوبهم معك وأيديهم عليك: فلم يطعني(3).

5. رفضه لطلب كل من أراد أن يثنيه عن المسير على الرغم من كل ما قدموه له من إغراءات، أو حذروه من البلاء الذي ينتظره؛ فقد كتب عبد الله بن جعفر له بعد خروجه من مكة: (أما بعد، فاني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فاني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن هلكت اليوم طفىء نور الارض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير، فاني في أثر كتابي، والسلام)، ثم طلب من عمرو بن سعيد ـ وهو عامل يزيد يومئذ بمكة ـ أن يكتب للإمام الحسين كتاباً يجعل له فيه الأمان،

1) مهل أهل العراق، وهو الحدبين نجد وتهامة. وقيل: عرق جبل بطريق مكة، ومنه ذات عرق. معجم البلدان 4: 107.

2) الفتوح 5: 77، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي 1: 221، مثير الاحزان: 42، اللهوف: 30، بحار الأنوار 44: 367، العوالم 17: 217 ..

3) أنساب الاشراف 3: 165 حديث 29..

ويمنّيه فيه البرّ والصلة ويسأله الرجوع، ففعل عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد وعبد الله بن جعفر، فلحقاه وقرءا عليه الكتاب وجهدا أن يرجع، فلم يفعل(1).

وهكذا قال له عبد الله بن مطيع إذ اجتمع به في الطريق على بعض مياه العرب: (أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمةَ الاسلام أن تنهتك، أُنشدك الله في حرمة رسول الله ﷺ، أنشدك الله في حرمة العرب، فو الله لئن طلبت مافي أيدي بني أمية ليقتلنّك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرَّض لبني أمية)، قال: فأبى إلاّ أن يمضي (2).

وهكذا روي أنه لقيه في الطريق أحد بني عكرمة ببطن العقبة؛ فقال له: (أُنشدك الله لما انصرفت، فو الله لا تقدم إلاّ على الاسنة وحدّ السيوف، فانّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال التي تذكرها فانّي لا أرى لك أن تفعل)، فقال له: (يا عبد الله، إنه ليس يخفى عليّ، الرأيُ ما رأيتَ، ولكن الله لا يُغْلَب على أمره)(3)

وهكذا كان يتعرض في كل محل يسير إليه، أو ينزل به لمن يريد أن يثنيه عن طريقه، ويخبره بالمصير الذي ينتظره، ومع ذلك لم يأبه بهم، لأن الأصل كان أن يتبعوه، لا أن ينصحوه.

ولو فرضنا أنه استجاب لهم، ولم يذهب إلى الكوفة، لجاء أولئك الذين انتقدوه في خروجه إليها، وذكروا أنه جبن عن الخروج، أو كانت فرصته للقضاء على ما فعله بنو أمية ولم يفعل، أو لجعلوها ذريعة لتصحيح حكم بني أمية وتحريم الخروج عليهم.

---

1) تاريخ الطبري 5 / 395..

2)المرجع السابق 5 / 395..

3)المرجع السابق 5 / 399..

رابعا ـ الإمام الحسين والامتداد الرسالي:

لا يمكن لأحد أن يعرف قيمة ما قدمه الإمام الحسين من تضحيات ما لم يعرف الدافع الأكبر لذلك، وهو ليس دافعا محصورا في الزمن الذي عاشه، وإنما هو دافع ممتد لكل الأجيال، ليحضرها لأن تصبح أهلا لتلك الصرخة التي صرخها حين قال: (هل من ناصر ينصرنا، هل من معين يعيننا، هل من ذاب عن حرم رسول الله ﷺ)[1]

فهو لم يقصد بذلك نصرته في ذلك الحين، ولا نصرة شخصه، ولا مواجهة يزيد وحده، وإنما قصد بها نصرة الإسلام الذي انتهض من أجله، ومواجهة يزيد الذي يمثل الاستبداد والظلم في كل العصور.

وصرخته تلك تشبه الصرخة التي نادى بها إبراهيم الخليل، عندما راح يؤذن في الناس بالحج بين الرمال والصخور، وقد شاء الله أن يؤتي ذلك الآذان أكله في الوقت المناسب، كما قال تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27]

ولهذا فإن أولئك الذين يضعون ما فعله الإمام الحسين ضمن حسابات الربح والخسارة لم يفهموا حركته أبدا، وكيف يفهمونها، وهم يستعملون عقولهم القاصرة مع الله ورسوله ﷺ الذي أذن لتلك الحركة أن تكون بذلك الشكل.

ولو أنهم تأملوا في آثارها عبر التاريخ، وكيف أصبح الإمام الحسين رمزا لا يضاهيه أي رمز في مواجهة الطغيان، وفي انتصار الدم على السيف، لعادوا إلى عقولهم، وعرفوا أن الأمر أكبر من أن يكون تخطيط عقول بشرية، وإنما هي خطة إلهية في مواجهة المشاريع الشيطانية، ولذلك كان المتولي لإخبار رسول الله ﷺ بما سيحصل للإمام الحسين ملائكة الله، الذين أرسلوا خصوصا ليخبروا بذلك الحديث العظيم الذي اهتز له كل شيء.

---

[1] اللهوف لإبن طاووس ص:50، اعيان الشيعة للسيد الأمين ج:1 ص:609، نفس المهموم للقمي ص:349.

ولـذلك؛ فـإن أهم المعـاني في حيـاة الإمـام الحسـين ، وفي نهضـته الكـبرى، هي تحولـه إلى رمـز إسـلامي يواجـه الطغيـان والاستبداد، ويمثل العدالة بأسمى معانيها، ويكون بذلك أكبر دليـل على فساد مقولة [الدين أفيون الشعوب]

انطلاقـا من هـذا؛ فـإن الأدلـة الكثـيرة تـدل على أن الغـرض الأكبر من حركة الإمام الحسين هي تمددها في التاريخ والجغرافية لتصـبح أداة تسـتنهض الهمم للإصـلاح ومواجهـة الانحرافـات بكـل أنواعهـا، ويمكننـا من خلال الأحـاديث والروايـات والواقـع أن نـرى أربعة تجليات كـبرى لـذلك الامتـداد الـذي لا نـزال نـرى آثـاره في عصرنا، وهي:

1. المحبة والمودة للإمام الحسين ولأهل البيت، وهي الوقود العاطفي الذي يحرك صاحبه لاقتفاء آثارهم، والسير على هــداهم، والاستنان بسننهم.

2. الزيـارة والبكـاء، وهي من الشـعائر العظيمـة الـتي سـنها رسول الله ﷺ وأهل بيته للأمـة لتصـبح وسـيلة لتربيتهـا وتطهيرهـا ومحو العار عنها، كمـا يصـبح وسـيلة لاسـتنهاض الهمم للمواجهـة، ومقاومة الطغيان والشعور بالمستضعفين والوقوف في صفهم.

3. النصـرة والمواجهـة، وذلـك عـبر اسـتعمال كـل الوسـائل لإعـادة الأمـر إلى نصـابه، والحـق لأهلـه، لأنـه لا يمكن أن تنتصـر الأمة، وتتخلص من الران البشري الذي لبس دينها قبـل أن تعـرف أئمتها ومراجعها الحقيقيين.

4. الحركـة والثـورة، وهي الوسـيلة الأخـيرة الـتي تسـتعملها الأمة، لتؤدي دورها الحقيقي، والذي ورد في الآثار أن من شعاراته [يا لثارات الحسين][1]

---

[1] ورد هذا الشعار في المصادر المختلفة السنية والشيعية، وقد كان شعار التوابين في ثورتهم، وشعار المختار عنـد قيامـه، وكـان من شـعارات أهـل خراسـان في معركـة الـزابي. [تاريخ الطبري، ج 4، ص 451، مقتل أبي مخنـف، ص 283، ابن قتيبـة، أخبـار الطـوال، ص 291، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج 33، ص 355]

كما أن الإمام الرضا ذكر هذا الشعار لابن شبيب، حين قال: (يا بن شـبيب! إن كنت باكيـاً لشئ، فابك للحسين بن علي بن أبي طالب ، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهـل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتلـه،

وسنحاول أن نشرح بعض المعاني والأدلة المرتبطة بهذه التجليات الأربعة في المطالب التالية:

1 ـ المحبة والمودة:

لا يشك أحد من المسلمين مهما كانت مدرسته في تلك الأحاديث الكثيرة التي يحث فيها رسول الله ﷺ على حب الإمام الحسين ، بل يضمن محبة الله لمن أحبه، ويضمن مع محبة الله رضوان الله وجنته، ذلك أنه يستحيل أن يسخط الله على من يحبه ويرضى عنه.

وبما أن المحبة تقتضي معرفة واطلاعا وبحثا مفصلا في شخصية المحبوب، حتى يصبح الحب عن قناعة لا عن تقليد؛ فالحب ثمرة المعرفة، فإن رسول الله ﷺ قبل أن يدعونا إلى محبته، دعانا إلى معرفته، والبحث عنه، وعن القيم العظيمة التي مثلها، ليكون الحب صادقا وحقيقيا.

وبذلك يكون الحب هو الوسيلة التي تؤسس لكل القيم النبيلة، والأخلاق الرفيعة، ولهذا نرى جميع أئمة أهل البيت يحضون على محبتهم، ويعتبرونها ركنا في التربية، كما أن بغضهم ركن في الانحراف.

وقد روى الإمام الحسين عن جده رسول الله ﷺ أنه قال: (الزموا مودّتنا أهل البيت، فإنّه من لقي الله وهو يحبّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينتفع عبد بعمله إلّا بمعرفتنا)(1)

ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبّر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين) [الصدوق، الأمالي، ص 192، الصدوق، عيون أخبار الرضا ، ص 268]

وورد في الروايات أيضا هذا الشعار باعتباره شعار الإمام المهدي عند ظهوره في آخر الزمان، فقد ورد في زيارته: (السلام على الإمام العالم، الغائب عن الأبصار، والحاضر في الأمصار، والغائب عن العيون، الحاضر في الأفكار، بقية الأخيار، الوارث ذا الفقار، الذي يظهر في بيت الله ذي الأستار، وينادي بشعار يا لثارات الحسين، أنا الطالب بالأوتار، أنا قاصم كل جبار، أنا حجة الله على كل كفور ختار، القائم المنتظر بن الحسن عليه واله أفضل السلام) [المشهدي، المزار، ص 107]

1) أمالي المفيد ص 7 م 2.

وقسم الإمام علي أصناف الأمة بحسب موقفها من أهل بيت النبوة؛ فقال: (من أحبّنا بقلبه وأعاننا بلسانه وقاتل معنا أعداءنا بيده فهم معنا في درجتنا، ومن أحبّنا بقلبه وأعاننا بلسانه ولم يقاتل معنا في أعدائنا فهو أسفل من ذلك بدرجة، ومن أحبّنا بقلبه ولم يعنّا بلسانه ولا بيده فهو في الجنّة، ومن أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه ويده فهو مع عدوّنا في النار، ومن أبغضنا بقلبه ولم يعن علينا بلسانه ولا بيده فهو في النار) (1)

وهذا الذي قاله الإمام علي لم يقله من عنده، وإنما قاله له رسول الله ﷺ، كما ورد في الروايات الكثيرة في المصادر السنية والشيعية، ففي الحديث عنه قال: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ: (ألا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)(2)

وحدث ابن عمر قال: (ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي ﷺ إلا ببغضهم علياً)

وحدث جابر قال: (ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار إلا ببغضهم لعلي)(3)

وحدث أبو سعيد الخدري قال: (إنما كنا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم عليا)(4)

وحدث أبو عثمان النهدي، قال: قال رجل لسلمان: ما أشد حبك لعلي؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله عز وجل، ومن أبغض علياً

1) بحار الأنوار ج 27 ص 88 ح 39

2) مسلم في صحيحه (78)، والترمذي (5/306) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه(114) والنسائي (8/117) وفي خصائص علي (100-102)، وعبد الله بن أحمد في زياداته على الفضائل (1102) وأبو نعيم في الحلية (4/185)

3) البزار (كشف الأستار 3/169)، وعبد الله في زيادات الفضائل (1086)

4) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (2/ 579).

فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل) (1)

وهكذا الأمر مع سائر أئمة أهل البيت ، فالنصب لهم نصب للإمام علي ، وبغضهم بغض للإمام علي ، وقد قال الإمام الصادق : (من أحبّنا لله وأحبّ محبّنا لا لغرض دنيا يصيبها منه، وعادى عدوّنا لا لإحنة كانت بينه وبينه، ثمّ جاء يوم القيامة وعليه من الذنوب مثل رمل عالج وزبد البحر غفر الله تعالى له)(2)

وفي آخر وصيّة له لابن النعمان (مؤمن الطاق) قال له فيها: (يا بن النعمان، إنّ الله جلّ وعزّ إذا أراد بعبد خيرا نكت في قلبه نكتة بيضاء فجال القلب بطلب الحقّ، ثمّ هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره.. يا ابن النعمان، إنّ حبّنا أهل البيت ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضّة، ولا ينزّله إلّا بقدر، ولا يعطيه إلّا خير الخلق، وإنّ له غمامة كغمامة القطر، فإذا أراد الله أن يخصّ به من أحبّ من خلقه أذن لتلك الغمامة فتهطّلت كما تهطّلت السحاب، فتصيب الجنين في بطن أمّه)(3)

وقد أشار الإمام الصادق إلى بعض آثار محبة أهل البيت في الموالين الصادقين لهم، واستعدادهم للتضحية والبذل في سبيلها، عند تقسيمه لأصناف المحبين لهم، فقال: (محبونا على ثلاث طبقات: طبقة أحبّونا في العلانية ولم يحبّونا في السرّ، وطبقة يحبّونا في السرّ ولم يحبّونا في العلانية، وطبقة يحبّونا في السرّ والعلانية) (4)

---

1) انظر: المستدرك (3/130) الطبراني في المعجم الكبير(23/380/901) عن أم سلمة، وقال الهيثمي في المجمع (9/132): (وإسناده حسن)، وقد علق عليه الشيخ ممدوح بقوله: (فهذا طريقان للحديث كلاهما حسن لذاته، فالحديث: صحيح بهما)

2) أمالي الطوسي ج 1 ص 156

3) تحف العقول ص 230

4) المرجع السابق ص 240

ثم ذكـر أن هـؤلاء الـذين أحبـوهم سـرا وعلانيـة هم (النمـط الأعلى، شربوا من العذب الفرات، وعلموا بأوائل الكتـاب، وفصـل الخطـاب وسـبب الأسـباب، فهم النمـط الأعلى، الفقـر والفاقـة وأنـــواع البلاء أســـرع إليهم من ركض الخيـــل، مسّـــتهم البأســـاء والضرّاء وزلزلوا وفتنـوا، فمن بين مجـروح ومـذبوح متفـرّقين في كـلّ بلاد قاصـية، بهم يشـفي اللـه السـقيم ويغـني العـديم، وبهم تنصـــرون، وبهم تمطـــرون، وبهم ترزقـــون، وهم الأقلّـــون عـــددا، الأعظمون عند الله قدرا وخطرا)

أما النمط الثاني؛ فهو ـ كما يـذكر الإمـام الصـادق ــ (النمـط الأسفل أحبّونا في العلانية وساروا بسيرة الملوك فألسـنتهم معنـا وسيوفهم علينا)

وأما النمط الثالث؛ فهو ـ كما يذكر الإمام الصـادق ــ (النمـط الأوسـط أحبّونـا في السـرّ ولم يحبّونـا في العلانيـة، ولعمـري لئن كـانوا أحبّونـا في السـرّ دون العلانيـة، فهم الصـوّامون بالنهـار القوّامـون بالليـل، تـرى أثـر الرهبانيّـة في وجـوههم، أهـل سـلم وانقياد)

وهذا النص مع نصوص كثيرة يـبين المفهـوم الحقيقي لمحبـة أهل البيت، وأنه ليس مجرد دعوى، وإنما هـو قيم رفيعـة، لا يمكن أن يدعيها إلا من صدق في محبته، ومثل الأئمة أحسن تمثيل.

ولهذا روي عن أئمة أهـل الـبيت التفريـق بين مـواليهم، وأنـه ليس نسبا وراثيا، وإنمـا هـو تحقـق وصـدق وتضـحية، فعن الإمـام الصادق أنه قـال: (الشـيعة ثلاث: محب واد فهـو منـا، ومـتزين بنـا ونحن زين لمن تزين بنا، ومسـتأكل بنـا النـاس، ومن اسـتأكل بنـا افتقر) (1)

وقال: (افترق الناس فينا على ثلاث فرق: فرقة أحبونا انتظار قائمنا ليصيبوا من دنيانا، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصروا عن فعلنا، فسيحشرهم اللـه إلى النـار، وفرقـة أحبونـا وسـمعوا كلامنـا، ولم يقصروا عن فعلنا، ليسـتأكلوا النـاس بنـا، فيملأ اللـه بطـونهم نـارا

(1) الخصال: 103 / 61

يسلط عليهم الجوع والعطش، وفرقة أحبونا وحفظوا قولنا، وأطاعوا أمرنا، ولم يخالفوا فعلنا، فاولئك منا ونحن منهم) (1)

ومثله قال الإمام الباقر : (شيعتنا ثلاثة أصناف: صنف يأكلون الناس بنا، وصنف كالزجاج ينم (2)، وصنف كالذهب الأحمر كلما ادخل النار ازداد جودة) (3)، وقال: (الشيعة ثلاثة أصناف: صنف يتزينون بنا، وصنف يستأكلون بنا، وصنف منا وإلينا) (4)

وهكذا وردت النصوص الكثيرة عن أئمة أهل البيت تبين المنهج الصحيح لإثبات الولاية والمحبة، وهي اتباعهم في سلوكهم وأخلاقهم والقيم التي جاءوا بها، لا اتباع أعدائهم؛ فعن جابر قال: قال لي أبو جعفر : يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فو الله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع والتخشّع والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة، والغارمين والأيتام وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس، إلّا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء) (5)

وقال: (يا معشر الشيعة- شيعة آل محمد- كونوا النمرقة الوسطى(6) يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي)، فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالي؟ فقال:

---

1) تحف العقول: 514

2) يعني لا يكتم السر ويذيع ما في باطنه من الأسرار

3) بحار الأنوار: 78 / 186 / 24

4) مشكاة الأنوار: 63

5) أصول الكافي 2/ 74.

6) النمرقة: الوسادة الصغيرة والتشبيه بها باعتبار أنها محل الاعتماد..

قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا فليس أولئك منا ولسنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المرتاد يريد الخير يبلّغه الخير يؤجر عليه) (1)

وقال: (ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلّا بالتواضع والتخشع، وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء) (2)

وعن جابر بن يزيد الجعفي قال: خدمت سيدنا الإمام أبا جعفر محمد بن علي ثماني عشرة سنة فلما أردت الخروج ودّعته وقلت: أفدني. فقال: بعد ثماني عشرة سنة يا جابر؟ قلت: نعم إنكم بحر لا ينزف ولا يبلغ قعره. فقال: يا جابر بلّغ شيعتي عني السّلام وأعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبين الله عزّ وجلّ، ولا يتقرب إليه إلا بالطاعة له. يا جابر من أطاع الله وأحبنا فهو وليّنا، ومن عصى الله لم ينفعه حبّنا. يا جابر من هذا الذي سأل الله فلم يعطه؟ أو توكل عليه فلم يكفه؟ أو وثق به فلم ينجه؟ يا جابر أنزل الدنيا منك كمنزل نزلته تريد التحويل عنه وهل الدنيا إلّا دابة ركبتها في منامك فاستيقظت وأنت على فراشك غير راكب، ولا آخذ بعنانها أو كثوب لبسته، أو كجارية وطئتها. يا جابر الدنيا عند ذوي الألباب كفيء الظلال، لا إله إلّا الله إعزاز لأهل دعوته، الصلاة تثبيت للإخلاص، وتنزيه عن الكبر، والزكاة تزيد في الرزق، والصيام والحج تسكين القلوب، القصاص والحدود حقن الدماء، وحبنا أهل البيت نظام الدين، وجعلنا الله وإياكم من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) (3)

وهكذا اتفقوا جميعا على أنه يستحيل أن تجتمع محبتهم مع

---

1) أصول الكافي 2/ 75.

2) تحف العقول، 295.

3) الأمالي، الشيخ الطوسيّ، 1/ 302.

محبة أعدائهم؛ فيستحيل على من يدافع عن يزيد أن يحب الإمام الحسين ، ويستحيل على من يدافع على معاوية أن يحب الإمام علي ، كما أنه من المستحيل على من يحب أبا جهل وأبا لهب أن يحب رسول الله ﷺ، ففي الحديث عن الإمام الباقر أنه قيل له: (رجل يحبّ أمير المؤمنين ولا يتبرّأ من عدوّه، ويقول: هو أحبّ إليّ ممّن خالفه)؛ فقال له الإمام الباقر : (هذا مخلط، وهو عدوّ، فلا تصلّ خلفه ولا كرامة إلّا أن تتّقيه)(1)

وعن الإمام الصادق أنه قال: (من أقام فرائض الله واجتنب محارم الله وأحسن الولاية لأهل بيت نبيّ الله وتبرّأ من أعداء الله عزّ وجلّ فليدخل من أيّ أبواب الجنّة الثمانية شاء)(2)

وبذلك؛ فإن محبة الإمام الحسين محبة ممتدة، ولها آثارها التربوية المشهودة في محبيه الصادقين، ذلك أنه يستحيل على من امتلأ قلبه بمحبته، أن يحيد عنه، أو يطلب الهدى عند غيره.

2 ـ البكاء والتأثر:

وهي من الشعائر التي ورد في الروايات الكثيرة المتواترة الترغيب فيها، وهي تدل على صدق المحبة، ولها آثارها التربوية الكبيرة، ذلك أن الدموع التي تنهمر تأثرا لما حصل للإمام الحسين ، ولأهل بيت النبوة، ستنهمر عند قراءة القرآن الكريم، وعند كل موقف من المواقف الإيمانية، وبذلك يصبح الإمام الحسين دواء لقسوة القلوب، وجلاء للران عنها.

وقد ورد في الروايات ما يدل على أن أول من سن سنة البكاء على الإمام الحسين هو رسول الله ﷺ نفسه، ففي الحديث عن الإمام الصادق قال: (نظر النبيّ ﷺ إلى الحسين بن عليّ عليهما السّلام وهو مقبل، فأجلسه في حجره وقال: إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدا، ثمّ قال : بأبي قتيل كلّ عبرة، قيل: وما قتيل كلّ عبرة يابن رسول الله؟ قال: لا

1) الوسائل ج 8 ص 309 .

2) بحار الأنوار ج 27 ص 88 ح 37

يذكره مؤمن إلّا بكى)(1)

وهكذا تناقل هذه السنة والعمل بها جميع أئمة أهل البيت ابتداء من الإمام علي نفسه، فقد روى الإمام الصادق عنه أنه: (نظر إلى الحسين؛ فقال: (يا عبرة كلّ مؤمن)، فقال: (أنا يا أبتاه؟) فقال: (نعم، يا بنيّ)(2)

وقال: (إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا)(3)

وقال: (كلّ عين يوم القيامة باكية وكلّ عين يوم القيامة ساهرة، إلّا عين من اختصّه الله بكرامته، وبكى على ما ينتهك من الحسين وآل محمّد)(4)

وهكذا روى هذه السنة الإمام الحسين نفسه، والذي كان يعلم جيد المصير الذي يصير إليه بكل دقة ووضوح؛ فقد قال: (ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا دمعة، إلا بوأه الله بها الجنة حقبا)(5)، وقال مبشرا من يتشرفون بالبكاء عليه: (أنا قتيل العبرة، قتلت مكروبا، وحقيق على الله أن لا يأتيني مكروب قط إلا رده الله إلى أهله مسرورا)(6)

---

1) المستدرك ج 10 ص 318 ب 49 من المزار ح 13

2) بحار الأنوار ج 44 ص 280 ح 10

3) بحار الأنوار ج 44 ص 287 ح 26

4) الخصال: 2/625..

5) أمالي المفيد 340، أمالي الطوسى 1: 116، المنتخب للطريحي 447، بحار الأنوار 44: 280 حديث 8.

6) كامل الزيارات 109، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال 219 حديث 52، بحار الأنوار 44: 279.

وهكذا روى هذه السـنة وطبقهـا في حياتـه الإمـام السـجاد ، فقد روي عنه قوله: (أيّمـا مـؤمن دمعت عينـاه لقتـل الحسـين بن عليّ دمعة حتّى تسيل على خـدّه، بـوّأه اللـه بهـا في الجنّـة غرفـا يسكنها أحقابا، وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه فينا لأذى مسّـنا من عـدوّنا في الـدنيا، بـوّأه اللـه بهـا في الجنّـة مبـوّأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عينـاه حتّى تسـيل على خدّه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهـه الأذى، وآمنـه يوم القيامة من سخطه والنار)(1)

ووصف الإمام الصادق كثرة بكائه على أبيه وسـنته في ذلـك؛ فقال: (بكى على أبيه حسين بن عليّ عليهما السّلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضـع بين يديـه طعامـا إلّا بكى على الحسـين حتّى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول اللـه، إنّي أخـاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصـرع بـني فاطمـة إلّا خنقتني العبرة لذلك)(2)

وذكر أشـرف مـولى الإمـام السـجاد أنـه رآه في سـقيفة لـه سـاجدا يبكي، فقـال لـه: (يـا مـولاي يـا عليّ بن الحسـين، أمـا آن لحزنك أن ينقضي)؛ فرفـع رأسـه إليـه، وقـال: (ويلـك، واللـه لقـد شكى يعقوب إلى ربّه في أقلّ ممّا رأيت حتّى قال: يا أسفى على يوسـف، إنّـه فقـد ابنـا واحـدا، وأنـا رأيت أبي وجماعـة أهـل بيـتي يـذبحون حـولي)، وقـال: وكـان عليّ بن الحسـين يميـل إلى ولـد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر، فقال: إنّي أذكر يومهم مع أبي عبد اللـه الحسـين بن علي عليهمـا السّلام فأرقّ لهم)(3)

---

1) كامل الزيارات، ص 100 ب 32 ح 1

2) المرجع السابق ، ص 107 ب 35 ح 1

3) المرجع السابق ، ص 107 ح 2

وهكذا روى هذه السنة وطبقها في حياته الإمام الصادق الذي كان يقول: (إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن عليّ فإنّه فيه مأجور)(1)

وكان يقول: (نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّه لنا عبادة، وكتمان سرّنا جهاد في سبيل الله)، ثمّ قال: (يجب أن يكتب هذا الحديث بالذهب)(2)

وقال في حديث طويل له: (ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله عزّ وجلّ، ولم يرض له بدون الجنّة)(3)

وذكر أبو عمارة المنشد حاله عند ذكر الإمام الحسين ، فقال: (ما ذكر الحسين عند أبي عبد الله في يوم قطّ فرئي أبو عبد الله متبسّما في ذلك اليوم إلى الليل، وكان يقول: الحسين عبرة كلّ مؤمن)(4)

وذكر حاله هارون بن خارجة، فقال: (كنّا عنده فذكرنا الحسين وعلى قاتله لعنة الله، فبكى أبو عبد الله وبكينا، قال: ثمّ رفع رأسه فقال: قال الحسين : (أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلّا بكى وذكر الحديث)(5)

وهكذا روى هذه السنة وطبقها في حياته الإمام الرضا الذي قال مخاطبا ابن شبيب وموصيا له، ومن خلاله يخاطب كل الأمة ويوصيها: (يابن شبيب، إن كنت باكيا لشيء فابك للحسين بن

1) المرجع السابق ، ص 100 ح 2

2) بحار الأنوار ج 44 ص 278 باب ثواب البكاء على مصيبته عليه السّلام ح 4

3) كامل الزيارات، ص 100 ح 3

4) المرجع السابق ، ص 108 ب 36 ح 2

5) المرجع السابق ، ص 108 ح 6

عليّ، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله.. يابن شبيب، إن بكيت على الحسين حتّى تصير دموعك على خدّيك، غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيرا كان أو كبيرا، قليلا كان أو كثيرا.. يابن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين، فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما.. يابن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أنّ رجلا أحبّ حجرا لحشره الله معه يوم القيامة)[1]

وذكر حال والده الكاظم ؛ فقال: (كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذى قتل فيه الحسين)[2]

هذه مجرد نماذج عن مواقف أئمة أهل البيت من البكاء على الإمام الحسين ، وتأثرهم لما حصل له، وهي كافية لمن يعرف قدرهم وشرفهم، ويحفظ وصية رسول الله ﷺ فيهم، فهم لم يقولوا ذلك، ولم يفعلوه عبثا، وإنما لأدواره التربوية الكبيرة، والتي نرى بعض آثارها في عشاق الإمام الحسين ومحبيه، والذين يمتلئون بالرحمة واللين واللطف وكل الخلال الكريمة، بخلاف ما نراه في أعدائهم من القسوة والغلظة والخشونة.

وقد ذكر العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه [المأتم الحسيني مشروعيته وأسراره] الكثير من النصوص والروايات الواردة في المصادر السنية، والتي ترد على المنكرين

---

1) الوسائل ج 14 ص 502 ، أمالي الصدوق ص 129 م 27 .

2) الوسائل ج 14 ص 504 ح 8

على هذه الشعيرة، ومنها (1) :

1. أنه متواتر عنه ﷺ يوم أحد، إذ علم الناس كافة بكاءه يومئذ على عمه أسد الله وأسد رسوله، حتى قال ابن عبد البر في ترجمة حمزة من استيعابه : (لما رأى النبي ﷺ حمزة قتيلا بكى، فلما رأى ما مثل به شهق)، وذكر الواقدي ــ كما في شرح نهج البلاغة ـ : أن النبي ﷺ كان يومئذ إذا بكت صفية يبكي، وإذا نشجت ينشج، قال : وجعلت فاطمة تبكي لما بكى رسول الله ﷺ) (2)

2. ومنها : يوم نعى زيدا وذا الجناحين وابن رواحة، فقد ذكر ابن عبد البر في ترجمة زيد: أن النبي ﷺ بكى على جعفر وزيد، وقال: (أخواي ومؤنساي ومحدثاي)(3)

3. ومنها : يوم مات ولده إبراهيم، إذ بكى عليه، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله ! قال : (يابن عوف، إنها رحمة)، ثم قال : (إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)(4)

4. ومنها : ما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن عمر، قال : اشتكى سعد، فعاده رسول الله ﷺ مع جماعة من أصحابه، فوجده في غشية، فبكى . قال : فلما رأى القوم بكاءه بكوا . الحديث(5).

---

1) المأتم الحسيني مشروعيته وأسراره، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، تحقيق: فارس الحسّون، سلسلة الأبحاث العقائدية، دت، دط، ص14، فما بعدها.

2) مسند أحمد 2 / 40، الفصول المهمة / 92، السيرة الحلبية 2 / 247، الروض الانف 6 / 24 ..

3) ذخائر العقبى / 218، أنساب الأشراف / 43.

4) ذخائر العقبى / 155، سيرة ابن إسحاق / 270.

5) البخاري (1304)، ومسلم (924)

وغيرهـا من الأخبـار الكثـيرة الـتي (لا تحصـى ولا تستقصـى كبكائه ﷺ على عترته من بعده، وبكائه على علي بن أبي طالب () لما سيلقاه من بعده، وبكائه على الحسـين () لمـا أخـبره جبرئيـل بمـا سـيجري عليـه، وبكائـه على شـهداء فخ لمـا أخـبره جبرئيـل بالواقعة، وبكائه على جده عبد المطلب، وبكائـه على أبي طـالب، وبكائه على فاطمة بنت أسد، وبكائه على أمه عند قبرهـا، وبكائـه على عثمان بن مظعون، وبكائه على سعد بن ربيع، وغيرها) (1)

ونحب أن نختم هـذه الروايـات عن رسـول اللـه ﷺ والعـترة الطـاهرة بمـا ذكـره بعض أهـل العلم المعاصـرين ردا على من يتصور عبثية ذلك البكاء، أو ينكر عليه لمخالفته للشريعة، فقد قال الشيخ عباس الاسماعيلي اليزدي في كتابه [ينابيع الحكمة] بعد أن أورد الكثير من الروايات في فضـل البكـاء على الإمـام الحسـين : (ولكن مع الأسف قد أنكر بعض الجهّال هـذه الأحـاديث، أو أوّلوهـا بما لا يلائم تلك الأحاديث الشريفة، وزعمـوا أنّ هـذه الأحـاديث لـو صحّت سينجرّ باقتراف المعاصي وتعطيل الأحكام) (2)

ثم ذكر أن هذا الموقف المجافي للحقيقة وللإمـام الحسـين ، ناشئ من عدم إعمال العقل والتدبر في آثـار ذلـك البكـاء، والـتي عبر عن بعضها بقوله: (عجبـا كيـف يتفـوّه إنسـان بهـذه الكلمـات الباردة مع العلم بأنّ البكاء على سيد الشهداء من أعظم القربـات وأهمّ الموجبـات لإفاقـة العاصـين وتـوبتهم وهـدايتهم إلى سـواء الطريـق، ومـا أكـثر الحكايـات الـتي شـاهدناها أو نقلت إلينـا من القصص الدالّة على توبة عـدد غـير يسـير من الفاسـقين الـذين لا يتورّعون عن ارتكاب الذنوب، فتابوا وانطووا في عداد الصـالحين، أو أفاقوا عن غفلتهم وشرعوا في التفكّر في إصلاح أنفسهم)(3)

ثم بين أن أئمة أهل البيت لم يقصـدوا اختصـار الشـريعة في

---

1) المأتم الحسيني مشروعيته وأسراره، ص15.

2) ينابيع الحكمة، الشيخ عباس الاسماعيلي اليزدي، مسجد جمكران المقـدس، الطبعـة: الأولى، 1/299.

3) المرجع السابق، 1/299.

البكاء، وإنما اعتبروا البكاء وسيلة من وسائل التربية تضاف إلى سائر الوسائل الشرعية ولا تلغيها أو تنوب عنها، فقال: (أضف إلى ذلك أنّ أحدا من العقلاء ما قال: اذنب وابك لتغسل ذنبك! فإذا قال واحد مثلا: (إذا أصبت بالزكام فإن القرص الفلاني يعالجه) ليس معناه: اذهب لتصاب بالزكام؛ فمن أهمّ ما يجب على العلماء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصدّ الناس عن المعاصي، وحيث إنّ اليأس من روح الله يعدّ من الذنوب الكبيرة.. فإنّهم يثيرون الأمل في قلوب العاصين من هذا الطريق كي يعالجوهم، ومن الواضح أنّ تعطيل مجالس العزاء مخافة اغترار الناس بأهل البيت كتعطيل المستشفيات مخافة اغترار الناس بدواعي الأمراض البدنيّة؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبعّد الناس عن الذنوب، كما يبعّدهم نشر مراكز الصحّة عن الأمراض، فإذا ظهرت آثار الأمراض في المجتمع، يكون إيجاد المستشفيات من الضروريّات، وهذا بعينه يصدق في قضيّة البكاء والعزاء على السبط الشهيد) [1]

3 ـ الزيارات والمجالس:

وهي من الشعائر التي حفظت مسيرة الإمام الحسين ، ولا تزال تحفظها، بل تحولها إلى حركة مقدسة لتشمل جميع التاريخ، وجميع الجغرافية، حيث يلتقي جميع الموالين في رحابه، وهناك تندمج أهدافهم الواحدة لإحياء الأمة، وإعادة تصويب بوصلتها نحو الدين الحق.

ولهذا دأب الأعداء ــ وخصوصا من السلفية الموالين لبني أمية ـ على تحريم الزيارة، بل اعتبارها شركا، وكل ذلك خوفا من أن يصبح ضريح الإمام الحسين منارة هداية للأمة، أو مركزا للثورة على الطغيان، أو تعود ملحمة كربلاء من جديد، ويعود معها الإمام الحسين ، ومعه جميع مناصريه.

ولهذا دأب الحكام المستبدون على ارتكاب الجرائم في حق ضريح الإمام الحسين والمقامات المرتبطة بكربلاء وغيرها، حتى يثنوا الأمة عن زيارتها، خوفا من أن تكون منطلقا للثورة عليهم،

---

(1) المرجع السابق، 1/ 301.

وبـذلك لم تكن مظلمـة الإمـام الحسـين مظلمـة واحـدة، بـل هي مظلمة ممتدة على مدار التاريخ.

وقد ذكر بعض ما حصل في العصور الأولى من مظالم تتعلق بضريح الإمام الحسين أبو الفـرج الأصـفهاني (المتـوفى: 356هــ) في كتابه [مقاتل الطالبيين]، فقال: (كان المتوكـل شـديد الوطـأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم، مهتماً بـأمورهم، شـديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق له أن عبيد اللـه بن يحـيى بن خاقـان وزيـره، يسـئ الـرأي فيهم، فحسَّـن لـه القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم مـا لم يبلغـه أحـد من خلفـاء بـني العباس قبله، وكان من ذلك أن كَـرَبَ قـبر الحسـين وعَفَّى آثـاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له، لا يجـدون أحـداً زاره إلا أتـوه به، فقتله، أوأنهكه عقوبة)(1)

وذكر سبب ذلك، فقال: (حدثني أحمد بن الجعد الوشـاء وقـد شاهد ذلـك، قـال: كـان السـبب في كـرب قـبر الحسـين أن بعض المغنيـات كـانت تبعث بجواريهـا إليـه قبـل الخلافـة يغـنين لـه إذا شرب، فلما وليها بعث إلى تلك المغنية فعرف أنهـا غائبـة، وكـانت قد زارت قبر الحسين وبلغها خبره، فأسرعت الرجوع، وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها فقال لها: أين كنتم؟ قالت: خــرجت مولاتي إلى الحج وأخرجتنا معها وكان ذلك في شعبان، فقال: إلى أين حججتم في شعبان؟ قالت: إلى قبر الحسين. فاستطير غضـباً وأمر بمولاتها فحبست، واستصفى أملاكها) (2)

وذكــر جرائمــه في حــق المقــام، فقــال: (وبعث برجــل من أصحابه يقال له: الـديزج وكـان يهوديـاً فأسـلم، إلى قـبر الحسـين وأمره بكرب قبره ومحوه، وإخــراب كـل مـا حولـه، فمضـى ذلـك وخرب ما حوله وهدم البنـاء وكـرب مـا حولـه، نحومـائتي جـريب، فلما بلغ إلى قـبره لم يتقـدم إليـه أحـد، فأحضـر قومـاً من اليهـود

1) مقاتل الطالبيين (ص: 478)

2)المرجع السابق (ص: 478)

فكربوه! وأجرى الماء حوله، ووكل بـه مسـالح بين كـل مسـلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه) (1)

وذكــر محمــد بن جريــر الطــبري (المتــوفى: 310هــ) هــذه الجريمة البشـعة، فقـال: (ذكـر خـبر هـدم قـبر الحسـين بن علي: وفيها (سنة ٢٣٦) أمر المتوكل بهدم قبر الحسـين بن علي، وهـدم ما حولـه من المنـازل والـدور، وأن يحـرث ويبـذر ويسـقى موضـع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه. فذُكر أن عامل صاحب الشــرطة نادى في الناحيـة: من وجـدناه عنـد قـبره بعـد ثلاثـة بعثنـا بـه إلى المطبق [سجن مظلم تحت الأرض]، فهـرب النـاس، وامتنعـوا من المصير إليه، وحُرث ذلك الموضع، وزُرع ما حواليه) (2)

وقد ذم هذه الفعلة الشنيعة كل المسـلمين مـا عـدا الطائفـة الوهابية، التي أثنت على المتوكـل بسـبب هـذه الجريمـة وغيرهـا، واعتبروه ناصرا للسنة، وهو على خلاف ما ذهب إليـه أهـل السـنة أنفسهم في ذلك العصر وبعده، فقـد قـال جلال الـدين السـيوطي (المتوفى: 911هـ) بعد ذكره للحادثة: (فتألم المسلمون من ذلـك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء، فمما قيل في ذلك(3):

بالله إن كانت أميةُ قد ... قتلَ ابن بنت نبيِّهَا

فلقْد أتاهُ بنو أبيه ... هذا لعمري قبرُه

أسفوا على أن لا ... في قتلهِ فَتَتَّبعُوهُ

لكن مـع ذلـك، ومـع كـل تلـك التحـذيرات والجـرائم، ظـل المسـلمون يـزورون القـبر الشـريف، وكـل مـا أحـاط حولـه من مشاهد، ويتحدونه على الرغم من المآسـي الكبـيرة الـتي حصـلت

1)المرجع السابق (ص: 478)

2) تاريخ الطبري (٩ / ١٨٥)

3) تاريخ الخلفاء، عبد الـرحمن بن أبي بكـر، جلال الـدين السـيوطي، المحقـق: حمـدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م: ص ٣٧٤.

لهم بسبب ذلك، وقد ذكر الطوسي ذلـك، فقـال في أماليـه: (بلـغ المتوكل جعفر بن المعتصم أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينـوى لزيارة قبر الحسين فيصير إلى قبره منهم خلق كثير، فأنفـذ قائـداً من قواده، وضم إليه كتفاً من الجند كثـيراً، ليشـعب قـبر الحسـين ويمنع الناس من زيارتـه والإجتمـاع إلى قـبره ، فخـرج القائـد إلى الطف وعمل بما أمر، وذلك في سنة سـبع وثلاثين ومـائتين، فثـار أهل السواد به، واجتمعوا عليه وقالوا: لوقتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منـا عن زيارتــه، ورأوا من الــدلائل مــا حملهم على مــا صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكل إلى القائــد بالكف عنهم والمسـير إلى الكوفـة، مظهـراً أن مسـيره إليهـا في مصالح أهلها، والإنكفاء إلى المصر! فمضى الأمـر على ذلـك حـتى كانت سنة سبع وأربعين، فبلغ المتوكل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كـربلاء لزيـارة قـبر الحسـين ، وأنـه قـد كـثر جمعهم كذلك وصار لهم سوق كبير، فأنفذ قائداً في جمع كثـير من الجنـد، وأمـر منادیـاً ينـادي بـبراءة الذمـة ممن زار قـبر الحسـين، ونَبَشَ القبر وحرث أرضه، وانقطع الناس عن الزيارة. وعمل على تتبع آل أبي طالب والشيعة رضي الله عنهم، فقتل ولم يتم لـه مـا قَدَّر)(1)

وقد عاصر هذه الأحداث الأليمـة الإمـام الهـادي ، ووقـف في وجهها حاضا مواليه على الزيارة، مبينا أهميتها وضرورتها، وقد كان يقـول لهم: (علامـات المـؤمن خمس: صـلاة الإحـدى والخمسـين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)(2)

وعن إبراهيم بن عقبة قـال: (كتبت إلى أبي الحسـن الثـالث: (الإمام الهادي) أسأله عن زيارة أبي عبد اللـه الحسـين ، وزيـارة أبي الحسن موسى وأبي جعفرمحمد بن علي ببغداد؟ فكتب إليَّ: أبوعبد الله المقدم، وهذان أجمع وأعظم ثواباً)(3)

1) أمالي الطوسي / ٣٢٨.

2) الحبل المتين: ص ٢٢٨، ومصباح المتهجد: ص ٧٨٨.

وهكذا نرى الكثير من الروايات عن سائر الأئمة تدل على مشروعية الزيارة، واستحبابها وكونها من أفضل الأعمال الصالحة(1)، لأنهم كانوا يدركون أنها تمثل امتدادا رسالية لمسيرة الإمام الحسين ، وتبين أنها لم تنته بعد، وأن ما وقع في كربلاء كان البداية، وأنه سيكون صمام أمان للأمة، وموجها نحو نهضتها وثورتها.

بل إن الأئمة ينصون على أن الذي شرع الزيارة، وأمر بها، هو رسول الله ﷺ نفسه، ففي الحديث عن الإمام الصادق قال: بينما الحسين بن عليّ عليهما السّلام في حجر رسول الله ﷺ إذ رفع رأسه فقال له: (يا أبة، ما لمن زارك بعد موتك، فقال: يا بنيّ، من أتاني زائرا بعد موتي فله الجنّة، ومن أتى أباك زائرا بعد موته فله الجنّة، ومن أتى أخاك زائرا بعد موته فله الجنّة، ومن أتاك زائرا بعد موتك فله الجنّة)(2)

وعنه قال: قال الحسين لرسول الله ﷺ: ما جزاء من زارك؟ فقال: (يا بنيّ، من زارني حيّا أو ميّتا أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك كان حقّا عليّ أن أزوره يوم القيامة حتّى أخلّصه من ذنوبه) (3)

وبناء على هذه السنة النبوية نص سائر الأئمة على فضل الزيارة، وكونها من أعظم القربات لله تعالى، ذلك لما لها من أدوار روحية وتربوية كبيرة، وأهمها إثبات صدق الولاء لرسول الله ﷺ، ولأهل بيته، وحفظ وصيته في حقهم، وقد ذكر ذلك الإمام الرضا ، فقال: (إنّ لكلّ إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ

---

3) المقنعة، الشيخ المفيد، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، 1410 ه قم، ص ٤٨٢.

1) تحدثنا بتفصيل عن مشروعية زيارة العتبات المقدسة وأدورها التربوية في كتابنا [المزارات الدينية وأدوارها التربوية]

2) كامل الزيارات، ص 10 .

3)المرجع السابق ، ص 11 .

من تمام الوفاء بالعهـد وحسـن الأداء زيـارة قبـورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا لما رغبوا فيه كان أئمّتهم شفعائهم يوم القيامة)(1)

وقال الإمـام الصـادق : (لـو أنّ أحـدكم حجّ دهـره ثمّ لم يـزر الحسين بن عليّ عليهما السّلام لكـان تاركـا حقّـا من حقـوق اللـه وحقوق رسول الله ﷺ، لأنّ حقّ الحسـين فريضـة من اللـه واجبـة على كلّ مسلم)(2)

وهكذا شـرع جميـع الأئمـة مـا يسـمى بالمجـالس الحسـينية، وهي المجالس التي تستعاد فيهـا كـربلاء، وأحـداثها، لتكـون عـبرة ودروسا للأجيال، وقد قال الإمـام الرضـا عنهـا: (من تـذكّر مصـابنا فبكى وأبكى لم تبك عينـه يـوم تبكي العيـون، ومن جلس مجلسـا يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)(3)

وقال الإمام الصـادق للفضـيل: تجلسـون وتتحـدّثون؟ فقـال: نعم، فقال: (إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا، فرحم اللـه من أحيا أمرنا، يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثـل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر)(4)

ولهـذا كـانوا يشـجعون الشـعراء والأدبـاء على إحيـاء أحـداث كـربلاء والتعريـف بهـا، لعلمهم بـدورها الكبـير في إحيـاء الأمـة، وإعادتها إلى دين الله الأصيل، وقد روي عن محمد بن سهل قـال: (دخلت مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق في أيام التشريق، فقال له: جعلت فداك ألا أنشـدك؟ قـال: إنهـا أيـام عظام، قال: إنها فيكم، قال: هات، وبعث أبـو عبـد اللـه إلى بعض أهله فقرب، فأنشده ـ في رثاء الحسين ــ فكـثر البكـاء، حـتى أتى

1)المرجع السابق ، ص 121 .

2) كامل الزيارات، ص 122.

3) العيون ج 1 ص 229 ب 28 ح 48

4) كامل الزيارات: 108، بحار الأنوار 44 / 280.

على هذا البيت:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم   فيا آخراً أسدى له الغيّ أوّله

قال: فرفع أبو عبد الله يديه فقال: (اللهم اغفر للكميت ماقدّم وما أخر وما أسرّ وما أعلن حتى يرضى)(1)

وعن عبد الله بن غالب، قال: (دخلت على أبي عبد الله فأنشدته مرثية الحسين ، فلما انتهيت إلى قولي:

لبلية تسقو حسيناً   بمسقاة الثرى غير التراب

صاحت باكية من وراء الستر يا أبتاه))(2)

وعن أبي عمارة قال: (قال لي أبو عبد الله : (يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين)، فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، قال: فو الله ما زلت أنشده وهو يبكي، حتى سمعت البكاء من الدار، قال: فقال لي: يا أبا عمارة من أنشد في الحسين بن علي (عليهما السلام)فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فتباكى فله الجنة)(3)

4 ـ الحركة والثورة:

وهي أعظم مظاهر الامتداد الرسالي لشخصية الإمام الحسين والقيم والتي مثلها في حياته، ولذلك إن قرأنا سيرته ـ وخاصة ما اختص منها بعاشوراء ـ بهذا النوع من القراءة، فسنفهم أسرار كل تلك التضحيات والمواقف، التي لم يرد منها أعيانها، وإنما أراد أن تكون رسائل للأمة تحركها في الوقت المناسب

1) كامل الزيارات: 105، بحار الأنوار 44 / 286..

2) رجال الكشي: 187..

3) ثواب الاعمال: 47، كامل الزيارات: 100 و104، بحار الأنوار 44 / 288..

لتستعيد مكانتها في حركة التـاريخ، ولتسـتعيد معهـا وعيهـا ودينهـا الأصيل الذي حاول المحرفون أن يغيروه.

ولهذا، فإن اسم الإمام الحسين بقي يردد في الأجيال جميعا، وبين البشر جميعـا كرمـز للثـورة على الاسـتبداد والظلم، وكرمـز لانتصار الدم على السيف.

ولم يعبر عن هذا الـدور الرسـالي العظيم المسـلمون فقـط، بل عبر عنه الكثير من القـادة الفكـريين والسياسـيين في العـالم، والذين بهرتهم قصة كربلاء، وعظم التضحيات التي وقعت فيها.

ولا بأس أن نورد هنا بعض شهاداتهم، والـتي تـدل على مـدى الامتداد الرسـالي لحركـة الإمـام الحسـين ، والـذي شـمل الأرض جميعا، وهو رد على أولئك الذين أساءوا فهم حركتـه، ورموهـا بمـا سولت لهم نظرتهم القاصرة من قصور.

فغاندي الزعيم الروحي للهنـد خلال حركـة الاسـتقلال، ورائـد حركة اللا عنف، وهي مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشـامل، والـتي تمكنت الهنـد من خلالهـا من الاسـتقلال، وألهمت الكثير من حركات الحقوق المدنية والحرية في جميع أنحاء العالم، يذكر أنه استفاد منهجه وحركته وثورته السلمية من خلال مطالعته لقصـة الإمـام الحسـين ، فقـد قـال: (لقـد طـالعت حيـاة الإمـام الحسين ، شهيد الإسلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء واتضح لي أن الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلا بـد لهـا من اقتفـاء سيرة الإمام الحسين)[1]

ومثله محمد علي جناح، مؤسس دولة باكستان الذي قال: (لا تجد في العالم مثـالاً للشـجاعة كتضـحية الإمـام الحسـين بنفسـه، وأعتقد أن على جميع المسلمين أن يحذو حذو هذا الرجـل القـدوة الذي ضحّى بنفسه في أرض العراق)[2]

---

[1] موسوعة عاشوراء، الشيخ جواد المحـدثي، ترجمـة: البيـان للترجمـة - خليـل زامـل العصامي، دار الرسول الاكرم - دار المحجة البيضاء، الطبعة: الاولى 1997م، ص290.

[2] المرجع السابق، ص290.

وقال علي خان، أول رئيس وزراء باكستاني: (لهذا اليـوم من محرم مغزىً عميقاً لدى المسلمين في جميع أرجـاء العـالم؛ ففي مثل هذا اليوم وقعت واحدة أكثر الحوادث أُسىً وحزنـا في تـاريخ الإسلام. وكـانت شـهادة الإمـام الحسـين مـع مـا فيهـا من الحـزن مؤشر ظفر نهائي للروح الإسلامية الحقيقيـة، لأنهـا كـانت بمثابـة التسليم الكامل للإرادة الإلهية. ونتعلم منهـا وجـوب عـدم الخـوف والانحراف عن طريق الحـقّ والعدالـة مهمـا كـان حجم المشـاكل والأخطار)[1]

وقال تاملاس توندون، الهندوسي، والرئيس السابق للمـؤتمر الوطني الهندي: (هذه التضحيات الكبرى من قبيـل شـهادة الإمـام الحسين رفعت مستوى الفكر البشـري، وخليـق بهـذه الـذكرى أن تبقى إلى الأبد، وتذكر على الدوام) [2]

وهكذا شهد الكثير من المؤرخين والمفكرين للإمـام الحسـين بانتصـاره بدمـه على سـيف أعدائـه، فقـد قـال تومـاس كارليـل، الفيلسوف والمؤرخ الإنجلـيزي: (أسـمى درس نتعلمـه من مأسـاة كربلاء هو أن الحسين وأنصاره كان لهم إيمـان راسـخ باللـه، وقـد أثبتوا بعملهم ذاك أن التفوق العـددي لا أهميـة لـه حين المواجهـة بين الحقّ والباطل والذي أثار دهشتي هو انتصار الحسين رغم قلّة الفئة التي كانت معه) [3]

وقال إدوارد براون، المستشرق الإنجليزي: (وهل ثمة قلب لا يغشـاه الحـزن والألم حين يسـمع حـديثاً عن كـربلاء؟ وحتّى غـير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركـة في ظلّها) [4]

1() المرجع السابق، ص292.

2() المرجع السابق، ص294.

3() المرجع السابق، ص291.

4() المرجع السابق، ص291.

وقال فردريك جيمس: (نداء الإمام الحسين وأي بطل شهيد آخر هو أن في هذا العالم مبادئ ثابتة في العدالة والرحمة والمودّة لا تغيير لها، ويؤكد لنا أنه كلّما ظهر شخص للدفاع عن هذه الصفات ودعا الناس إلى التمسّك بها، كتب لهذه القيم والمبادئ الثبات والديمومة)[1]

وقال ل.م.بويد: (من طبيعة الإنسان أنه يحب الجرأة والشجاعة والإقدام وعلو الروح والهمّة والشهامة. وهذا ما يدفع الحرية والعدالة الاستسلام أمام قوى الظلم والفساد. وهنا تكمن مروءة وعظمة الإمام الحسين . وأنه لمن دواعي سروري أن أكون ممن يثني من كل أعماقه على هذه التضحية الكبرى، على الرغم من مرور 1300 سنة على وقوعها)[2]

وقال واشنطن ايروينغ، المؤرخ الأمريكي الشهير: (كان بميسور الإمام الحسين النجاة بنفسه عبر الاستسلام لإرادة يزيد، إلاّ أنّ رسالة القائد الذي كان سبباً لانبثاق الثورات في الإسلام لم تكن تسمح له الاعتراف بيزيد خليفة، بل وطّن نفسه لتحمّل كل الضغوط والمآسي لأجل إنقاذ الإسلام من مخالب بني أُميّة. وبقيت روح الحسين خالدة، بينما سقط جسمه على رمضاء كربلاء اللاهبة، أيها البطل، ويا أسوة الشجاعة، ويا أيها الفارس يا حسين!) [3]

وقال توماس ماساريك: (على الرغم من أن القساوسة لدينا يؤثرون على مشاعر الناس عبر ذكر مصائب المسيح. إلاّ أنك لا تجد لدى أتباع المسيح ذلك الحماس والانفعال الذي تجده لدى اتباع الحسين، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى أن مصائب المسيح إزاء مصائب الحسين لا تمثل إلاّ قشّة أمام طود عظيم) [4]

1() المرجع السابق، ص291.

2() المرجع السابق، ص291.

3() المرجع السابق، ص291.

وقال موريس دوكابري: (يقال في مجالس العزاء أن الحسين ضحى بنفسه لصيانة شرف وأعراض الناس، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلط ونزوات يزيد. إذن تعالوا نتخذه لنا قدوة، لنتخلص من نير الاستعمار، وأن نفضل الموت الكريم على الحياة الذليلة) [1]

وقال المستشرق الألماني ماربين: (قدّم الحسين للعالم درساً في التضحية والفداء من خلال التضحية بأعز الناس لديه ومن خلال إثبات مظلوميته وأحقيّته، وأدخل الإسلام والمسلمين إلى سجل التاريخ ورفع صيتهما. لقد أثبت هذا الجندي الباسل في العالم الإسلامي لجميع البشر أن الظلم والجور لا دوام له. وأنّ صرح الظلم مهما بدا راسخاً وهائلاً في الظاهر إلاّ أنّه لا يعدو أن يكون أمام الحقّ والحقيقة إلاّ كريشة في مهب الريح) [2]

وقال جورج جرداق، العالم والأديب المسيحي: (حينما جنّد يزيد الناس لقتل الحسين وإراقة الدماء، كانوا يقولون: كم تدفع لنا من المال؟ أما أنصار الحسين فكانوا يقولون لو أننا نقتل سبعين مرّة، فإننا على استعداد لأن نقاتل بين يديك ونقتل مرة أُخرى أيضاً) [3]

وقال انطوان بارا، الكاتب المسيحي:(لو كان الحسين منا لنشرنا له في كل أرض راية، ولأقمنا له في كل أرض منبر، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين) [4]

وقال كيبون، المؤرخ الإنجليزي: (على الرغم من مرور مدّة

4() المرجع السابق، ص292.

1() المرجع السابق، ص292.

2() المرجع السابق، ص292.

3() المرجع السابق، ص293.

4() المرجع السابق، ص293.

مديدة على واقعة كربلاء، ومع أننا لا يجمعنا مع صاحب الواقعة وطن واحد، ومع ذلك فإن المشاق والمآسي التي وقعت على الحسين تثير مشاعر القارئ وإن كان من أقسى الناس قلباً، ويستشعر في ذاته نوعاً من التعاطف والانجذاب إلى هذه الشخصية) [1]

وقال نيكلسون، المستشرق المعروف: (كان بنوا أُميّة طغاة مستبدين، تجاهلوا أحكام الإسلام واستهانوا بالمسلمين، ولو درسنا التاريخ لوجدنا أن الدين قام ضد الطغيان والتسلّط، وأن الدولة الدينية قد واجهت النظم الإمبراطورية. وعلى هذا فالتاريخ يقضي بالإنصاف في أن دم الحسين في رقبة بني أُمية) [2]

وقال السير برسي سايكوس، المستشرق الإنجليزي: (حقاً أن الشجاعة والبطولة التي أبدتها هذه الفئة القليلة، كانت على درجة بحيث دفعت كل من سمعها إلى إطرائها والثناء عليها لا إرادياً. هذه الفئة الشجاعة الشريفة جعلت لنفسها صيتاً عالياً وخالداً لا زوال له إلى الأبد)[3]

وهكذا شهد الكثير من مفكري العرب والمسلمين ـ الذين لم تؤثر الوهابية على عقولهم ـ على مدى النجاح الذي حققته ثورة الإمام الحسين ، وكونها ثورت عبرت الأجيال جميعا، ليمتد أثرها للعالم أجمع، وفي جميع الأزمنة، ومن تلك الشهادات قول عباس محمود العقاد، الكاتب والأديب المصري: (ثورة الحسين، واحدة من الثورات الفريدة في التاريخ لم يظهر نظير لها حتى الآن في مجال الدعوات الدينية أو الثورات السياسية؛ فلم تدم الدولة الأموية بعدها حتى بقدر عمر الإنسان الطبيعي، ولم يمضِ من تاريخ ثورة الحسين حتّى سقوطها أكثر من ستين سنة ونيّف) [4]

1() المرجع السابق، ص293.

2() المرجع السابق، ص294.

3() المرجع السابق، ص294.

وقال عبدالرحمن الشرقاوي، الكاتب المصري: (الحسين شهيد طريق الدين والحريّة، ولا يجب أن يفتخر الشيعة وحدهم باسم الحسين ، بل أن يفتخر جميع أحرار العالم بهذا الاسم الشريف) [1]

وقال طه حسين، العالم والأديب المصري: (كان الحسين يتحرق شوقاً لاغتنام الفرصة واستئناف الجهاد والانطلاق من الموضع الذي كان أبوه يسير عليه؛ فقد أطلق الحرية بشأن معاوية وولاته، إلى حد جعل معاوية يتهدده. إلا أن الحسين ألزم أنصاره بالتمسك بالحق)[2]

وقال عبد الحميد جودة السحّار، الكاتب المصري: (لم يكن بوسع الحسين أن يبايع يزيدا، ويرضخ لحكمه؛ لأن مثل هذا العمل يعني تسويغ الفسق والفجور وتعزيز أركان الظلم والطغيان وإعانة الحكومة الباطلة. لم يكن الحسين راضياً على هذه الأعمال حتى وأن سبي أهله وعياله وقتل هو وأنصاره) [3]

وقد كان الإمام الحسين فوق ذلك كله منبعا لثروة عظيمة في عالم الفكر والأدب، وصار مفجرا لأرقى المشاعر المرتبطة بأنبل المعاني الإنسانية، ولهذا لم يعد اسمه مجرد اسم عادي، وإنما صار رديفا لكل القيم الرفيعة التي أشار هذا الكتاب إلى بعضها.

وقد جمع السيد جواد شبر ــ أحد خطباء المنبر الحسيني ـ بعض ذلك في موسوعة بعنوان [أدب الطّف أو شعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر] وهي موسوعة من 10 أجزاء، ، ذكر فيها المؤلف الشعراء الذين رثوا الإمام

4() المرجع السابق، ص293.

1() المرجع السابق، ص294.

2() المرجع السابق، ص294.

3() المرجع السابق، ص295.

الحسينع من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر، حيث ذكر أسماء الشعراء وتراجمهم في بداية كل قرن.

وقد ذكر السيد جواد في مقدمة الموسوعة دور الحركة الحسينية في توفير أرقى المشاعر النبيلة لدى الشعراء، فقال: (هذه الموسوعة تعطيك أوضح الصور عن أدب الشيعة، وعن عقائدهم واتجاهاتهم، وتمثل أصدق العواطف عن أحاسيسهم ومشاعرهم؛ فليس في الدنيا وقعة كوقعة الحسين هزّت العالم هزاً عنيفا، وأثرت أثرها الكبير في النفوس، وأهاجت اللوعة، واستدرت الدمعة، بل هي التي كونت فيهم هذا الأدب الثر، والشعور الفياض، وخلقت منهم أكبر عدد من الشعراء حتى قيل إن الادب شيعي، وقيل : وهل وجدت أديباً غير شيعيّ. ذلك لأن الكبت والألم يدفعان الانسان للنظم وتصوير الحال بلسان المقال، وما دام المرء يشعر بالثأر وحرارة الثكل لا ينام عن ثأره؛ فيندفع يصوّر حاله معدداً آلامه مسامراً أحزانه في لياليه وأيامه وفي خلواته ومجتمعاته)[1]

وذكر أن الموسوعة مع ضخامتها لم تغط إلا جزءا قليلا جدا من الثروة الشعرية التي كتبت في الإمام الحسين، فقال: (ولا اريد أن أجمع كل ما جاء من شعر الشعراء في الامام الحسين ويوم الحسين ولا اقدر أن اقوم بذلك بل غايتي أن أعرض نماذج من شعرهم وأعدّد أسماءهم)[2]

وضرب بعض الأمثلة على ذلك الثراء، فقال: (.. أن شاعراً واحداً وهو الشيخ أحمد البلادي من شعراء القرن الثاني عشر الهجري نظم ألف قصيدة في رثاء الإمام الحسين ودوّنها في مجلدين ضخمين ـ كما روى ذلك الشيخ الاميني في موسوعته ـ وأن الشيخ الخليعي جمال الدين بن عبد العزيز وهو من شعراء القرن التاسع له ديوان شعر في الامام الحسين ، وإني وقفت على ديوان للشيخ حسن الدمستاني من شعراء القرن الثالث

1() أدب الطف أو شعراء الحسين، شبر، جواد، بيروت، دار المرتضى، 1409 هـ/ 1988 م، ص17.

2() المرجع السابق، ص17.

عشركله في يوم كربلاء، وللشيخ محمد الشويكي من شعراء القرن الثاني عشر ديوان في مدائح النبي وآله ، وآخر في مراثيهم اسماه (مسيل العبرات) يحتوى على خمسين قصيدة في أوزان مختلفة وبين ايدينا كتاب (المنتخب) للشيخ محي الدين الطريحي المتوفي في القرن الثاني عشر وفيه عشرات القصائد ولا يعلم قائلها ومثله مئات المقاتل التي تروي قصة الحسين وتثبت شواهد من الشعر الذي قيل في رثائه وبين أيدينا مجاميع خطية في المكتبات العامة والخاصة وفيها المئات من القصائد الحسينية ولم يذكر اسم ناظمها وقائلها) [1]

وذكر السر في هذه الثروة العظيمة في الأدب والفكر والفن، فقال: (وهكذا كانت ثورة الحسين غطت بسناها المشارق والمغارب، واستخدمت العقول والأفكار؛ فهي نور يتوهج في قلوب المسلمين فيندفع الى افواههم مدحاً ورثاء ، وهي أنشودة العز في فم الاجيال تهز القلوب وتطربها وتحيي النفوس بالعزائم الحية ، ذلك لأن هدف الحسين ما كان هدفاً خاصاً حتى تختص به فئة دون فئة أو يقتصر على طائفة دون طائفة ، بل كان هدفاً عالمياً؛ فعلى كل ذي شعور حي أن يحتفل بذكراه) [2]

وفوق ذلك كله، فقد كانت ثروة الإمام الحسين مصدرا لأعظم ثورة إسلامية في التاريخ، بل أعظم ثورة في تاريخ العالم أجمع، وهي ثورة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والتي لم تكن لتنجح ذلك النجاح الباهر لولا ارتباطها بعاشوراء والإمام الحسين ، ولذلك قال قائدها الأكبر: (إنّ ثورتنا هي امتداد لنهضة الحسين وإنّها تبع لتلك النهضة وشعاع من أشعّتها)[3]

وقال ـ مبينا أثرها في نجاح الثورة ـ (أجل إنّ الحقّ منتصر، لكن للنصر مفاتيح ورموزاً ينبغي لنا العثور عليها ومعرفتها.. علينا

1() المرجع السابق، ص18.

2() المرجع السابق، ص18.

3() نقلا عن : عاشوراء في فكر الإمام الخميني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، مركز نون للتأليف والترجمة، شبكة المعارف الإسلامية، 1432هـ، ص49.

أن نعرف رمز بقاء الشيعة طوال الزمن الماضي منذ عصر أمير المؤمنين حتّى الآن... إنّ أحد هذه الرموز الكبرى ــ وهو أكبرها ـ قضيّة سيّد الشهداء وإذا أردنا أن يكون بلدنا مستقلاًّ وحرّاً ينبغي أن نحفظ هذا الرمز)[1]

ويذكر أثر المجالس الحسينية، وما يرتبط بها في الحفاظ على الإسلام المحمدي الأصيل، وفي التحريض على الثورة، فيقول: (طوال التاريخ كانت مجالس العزاء ــ هذه الوسائل التنظيميّة ــ منتشرة في أرجاء البلدان الإسلاميّة وفي إيران صارت مهداً للإسلام والتشيّع. أخذت هذه المجالس تتحوّل إلى وسيلة لمواجهة الحكومات الّتي توالت على سدّة الحكم ساعية لاستئصال الإسلام وقلعه من جذوره والقضاء على العلماء. فهذه المجالس والمواكب هي الّتي تُمكِّننا من الوقوف بوجهها وإخافتها)[2]

ويقول: (ولكنّكم ترون كيف أنّ هذه المجالس والمواكب الّتي ربطت الجماهير ببعضهم، هذه المآتم الّتي حرّكت الجماهير يلتئم شملها من جميع الشرائح الاجتماعية المعزّية بمجرّد أن يحصل أمر يستدعي التجمّع وليس في مدينة واحدة بل في كلّ أنحاء البلاد ودون الحاجة إلى بذل أو إعلام واسع النطاق. إنّ الناس يجتمعون على كلمة واحدة لمجرّد أنّهم يعتقدون أنّها خرجت من فم الحسين سيّد الشهداء)[3]

ويذكر الامتداد الرسالي في جانبه السياسي، والذي حرص الأئمة على الدعوة إليه لمواجهة الاستبداد، والدعوة إلى الإسلام الأصيل، فيقول: (الأهمّ من ذلك هو البعد السياسيّ الّذي خطّط له أئمّتنا في صدر الإسلام كي يدوم حتّى النهاية وهو الاجتماع تحت لواء واحد وبهدف واحد، ولا يُمكن لأيّ شيء آخر أن يُحقّق ذلك

1() المرجع السابق، ص49.

2() المرجع السابق، ص51.

3() المرجع السابق، ص52.

بالقدر الّذي يفعله عزاء سيّد الشهداء)[1]

ويـذكر أثرهـا في توفـير البيئـة الحاضـنة للثـورة الإسـلامية، فيقــول: (إنّ هــذه المجــالس الّــتي تُــذكر فيهــا مصــائب ســيّد المظلومين وتظهـر مظلوميّـة ذلـك المـؤمن الّـذي ضـحّى بنفسـه وبأولاده وأنصاره في سبيل الله هي الّـتي خـرّجت أولئـك الشـبّان الّـذين يتحرّقـون شـوقاً للـذهاب إلى الجبهـات ويطلبـون الشـهادة ويفخرون بها، وتراهم يحزنون إذا هم لم يحصلوا عليها) [2]

ويقول عن دورها في تربية النساء وتوعيتهن: (هذه المجالس هي الّتي خرّجت أمّهات يفقدن أبناءهنّ ثمّ يقُلن بأنّ لديهنّ غيرهم وأنّهنّ مستعدّات للتضحية بهم أيضـاً، إنّهـا مجـالس سـيّد الشـهداء ومجالس الأدعية من دعاء كميل وغيره هي الّتي تصـنع مثـل هـذه النماذج وتبنيها)[3]

وما ذكره الإمام الخميني رحمه الله هو الواقع الذي أيدته كل الأحداث التاريخيـة الـتي حصـلت قبـل الثـورة الإسـلامية، وبعـدها، ولهذا نرى فشل كل الحركات الإسلامية في مشاريعها بسبب عدم تبنيها لهذا المنهج، بخلاف الثورة الإسلامية الإيرانية التي استثمرت أحداث كربلاء في الدعوة إلى الإصلاح والثورة السلمية ضد الظلم والطغيان.

وبذلك نجح الإسلاميون في إيـران أن يسـقطوا دولـة الشـاه، ويقيموا دولة ولاية الفقيه، كما عبر الإمام الخميني عن ذلك بقوله: (كل ما عندنا من عاشوراء)، فقد كان الخطبـاء يحولـون في هـذه المناسبة وغيرها من الشاه الدكتاتور الطاغية يزيدا، ويحولــون من الجمـاهير أنصـارا للحسـين، وقـد اسـتطاعوا بـذلك أن يحيـوا روح الثورة في الشعب ليسقط الطاغوت.

1() المرجع السابق، ص53.

2() المرجع السابق، ص54.

3() المرجع السابق، ص55.

في نفس الوقت الذي عجز فيه الإسلاميون في مصر وغيرها ـ رغم طول فترة عملهم ـ من تحقيق مثل ذلـك الإنجـاز، لأنهم لم يدركوا ـ إدراكا كاملا ـ أن الجمـاهير لا تحركهـا الخطابـات العقليـة الجافة بقدر ما تحركها المؤثرات العاطفية، وخاصة تلك التي تعـود لأسباب دينية.

الخاتمة

بعـد هـذا العـرض المـوجز لأمهـات القيم الـتي مثلهـا الإمـام الحسين ، ودعا إليها في حياته جميعا، بل ضحى في سبيلها، نخرج بالنتائج والتوصيات التالية:

أولا ـ النتائج:

يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصـلنا إليهـا في هـذا الكتـاب في العناصر التالية:

1. تبين لنا من خلال استعرض الروايـات الـواردة عن الإمـام الحسين وما ارتبط بها من أحداث أن الإمام الحسـين يمثـل جميـع قيم الدين الأصيل، وأنه قـرآن نـاطق، وسـراط مسـتقيم، وأن مـا حصـل في الأمـة بعـده من انحرافـات كـان بسـبب الانحـراف عن منهجه ومنهج سائر الأئمة ومخالفة وصايا رسول الله ﷺ في ذلك.

2 ـ رأينا من خلال استقراء ما ورد عنه من روايـات أربـع قيم كبرى، لا يمكن لمن يريد أن يطبق وصايا رسول اللـه ﷺ في حقـه أن يتجاوزهـا، أو لا يهتم بهـا، وهي: القيم الإيمانيـة، والروحيـة، والأخلاقية، والرسالية، وهي قيم تجمع جميع معاني الدين، بأبعادها الفكرية والوجدانية والسلوكية.

3 ـ دعا الإمام الحسين إلى كل ما يحفـظ القيم الإيمانيـة من التحريـف والتغيـير والتبـديل الـذي وقعت فيـه معتقـدات الملـل والنحل الأخرى، والتي تسربت للإسلام عبر تقريب الأمويين لليهود وغـيرهم، والـذين نشـروا التشـبيه والتجسـم وكـل الانحرافـات العقدية، ولذلك دعا الإمام الحسين إلى تصـحيح العقائـد، والعـودة إلى المنهج القرآني في التعريف بها، والبرهنة عليها.

4 ـ دعـا الإمـام الحسـين إلى الاهتمـام بـالقيم الروحيـة، من خلال التوجه إلى الله بالعبودية ظاهرا وباطنا، وقـد تـرك لنـا ثـروة عظيمة في ذلـك، تمثـل نموذجـا صـحيا للتربيـة الروحيـة السـليمة المستمدة من القرآن الكـريم، ومن هـدي النبـوة، والـتي لم تتـأثر بالرهبنة ولا بالغنوصيات الشرقية والغربية.

5 ـ دعا الإمام الحسين إلى الاهتمام بالقيم الأخلاقية، بجميع معانيها، ومثلها في حياته وسلوكه خير تمثيل، ولذلك أصبح مدرسة في الصبر والتضحية والشهامة والمروءة، وصار نموذجا للشخصية المسلمة المتوازنة التي تمثل الكمال الإنساني في أرقى صوره.

6 ــ من أهم القيم التي مثلها الإمام الحسين في الواقع الإسلامي القيم الرسالية، فقد واجه الطواغيت والظلمة والانحرافات بكل قوة وشجاعة، وقدم كل أنواع التضحية في سبيل ذلك، ولذلك تجاوزت حركته المكان والزمان، وانتشر هديه في كل الأزمنة والأمكنة، لتتحقق على يديه الهداية العامة الشاملة، والتي لا تزال الأمة تنهل من بركاتها إلى اليوم.

ثانيا ـ التوصيات:

من أهم التوصيات التي ندعو إليها من خلال تعرفنا على قيم الدين الأصيل التي أحياها الإمام الحسين ، ومثلها خير تمثيل ما يلي:

1. عدم الاكتفاء بدراسة الإمام الحسين وغيره من الأئمة وفق المنهج التاريخي الذي يعتمد سرد الأحداث أو تحليلها، وربط الشخصيات بالواقع الذي عاشوا فيه فقط، وإنما اعتماد منهج البحث القيمي، ذلك أن الأئمة لم يكونوا أئمة لعصورهم فقط، وإنما كانوا أئمة لجميع الأجيال، ولذلك يمكن لحياتهم أن تساهم في ترقية واقعنا، ورفعه إلى تلك الآفاق السامية التي دعوا إليها.

2. ندعو إلى استعمال كل الوسائل لإحياء الرسالة الحسينية، وبث الوعي الصحيح بمعناها، واستعمالها كوسيلة للتربية بجميع أنواعها، بالإضافة إلى استعمالها في الوعي السياسي الذي يخرج الأمة الإسلامية من تخلفها، ويعيد لها وحدتها وسيادتها.

3. ندعو إلى تنقية تراث أهل البيت من كل ما دسه الأعداء فيه من تحريفات، وذلك بعرضه على القرآن الكريم، وعلى القيم النبيلة التي جاءوا بها، حتى يخرج سليما نقيا متوافقا مع الثقل الأكبر، ذلك أنه يستحيل أن يفترق الثقلان.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. إبصار العين في أنصار الحسين ، محمّد بن طاهر السماويّ، تحقيق محمّد جعفر الطبسيّ، قم، مركز الدراسات الإسلاميّة لحرس الثورة، 1419هـ.
2. إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، المحقق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية، الكويت.
3. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، النجف الأشرف: مكتبة النعمان، 1386ه.
4. إحقاق الحقّ، السيّد نور الله التستريّ، قم، منشورات مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ.
5. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت.
6. الاختصاص، (المنسوب إلى) محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد البغدادي (336ـ 413ق)، قم المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلامي.
7. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، 1986م.
8. أدب الطف أو شعراء الحسين، شبر، جواد، بيروت، دار المرتضى، 1409 هـ/ 1988 م.
9. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الأدب مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1419 هـ، 1998 م.
10. إرشاد القلوب المنجي من عمل به من أليم العقاب، الحسن بن أبي الحسن الديلمي، ط الأُولى 1424 هـ، دار الاسوة، قم.
11. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، التحقيق: الدكتور محمد يوسف

موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي - مصر، مطبعة السعادة – مصر، 1950.

12. الإرشاد، الشيخ المفيد، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، 1413 هـ.
13. إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار، محمد بن صالح العثيمين، دار طيبة، الرياض، 1402.
14. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.
15. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م.
16. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994 م.
17. أُصول الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، ط السادسة عام 1375 هـ ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.
18. أضواء على ثورة الحسين ، السيد الشهيد محمد الصدر، محقق: الشيخ كاظم العبادي الناصري، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر(قدس) النجف الأشرف.
19. إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي، الفضل بن الحسن، قم، إيران، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط 1، 1417 هـ.
20. أعيان الشيعة، الامين، محسن، حقّقه وأخرجه حسن الأمين، بيروت، دارالتعاريف للمطبوعات، 0341 هـ، 1983 م.
21. الأمالي، الشيخ الصدوق، ط الأُولى 1417هـ، مؤسسة البعثة، قم.
22. الأمالي، المفيد، محمد بن محمد، قم،إيران، منشورات دار المدرسين في الحوزة العلمية، ط2، 1414هـ/1993م.

23. أنسـاب الأشـراف، البلاذري، إعـداد الشـيخ محمـد بـاقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعـات، الطبعـة الأولى، بيروت.
24. الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، مؤسسة النشـر الإسـلامي، الطبعة: الأولى، ١٤١٧.
25. بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسـيّ، بـيروت، مؤسّسـة الوفـاء، 1403هـ.
26. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشـي البصـري ثم الدمشـقي، المحقـق: علي شـيري، دار إحيـاء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م.
27. البرهـان في تفسـير القـرآن، البحـراني، هاشـم بن سـليمان، مؤسسـة الأعلمي للمطبوعـات، بـيروت، لبنـان، ط2، 1427هـ/2006م.
28. بصائر الدرجات في فضائل آل محمد ﷺ، الصفار القمي، إعداد الحاج ميرزا محسن كوجه بـاغي التـبريزي، مكتبـة آيـة اللـه المرعشي النجفي، 1404 ه قم.
29. بطل العلقميّ، عبد الواحد المظفّـر، النجـف الأشـرف، مطبعـة دار النشر والتأليف، 1369هـ.
30. البلـد الامين والـدرع الحصـين، الشـيخ تقي الـدين ابـراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي، قدم له وعلق عليـه: علاء الـدين الاعلمي، منشـورات مؤسسـة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة: الاولى 1997.
31. بيان تلبيس الجهمية في تأسـيس بـدعهم الكلاميـة، تقي الـدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحـراني الحنبلي الدمشقي، مجمع الملك فهـد لطباعـة المصـحف الشـريف، الطبعة: الأولى، 1426هـ.
32. تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: حمـدي الـدمرداش، مكتبـة نـزار مصـطفى البـاز، الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م.
33. تـاريخ دمشـق، أبـو القاسـم علي بن الحسـن بن هبـة اللـه المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ، 1995 م.

34. تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ط الثانية عام 1404، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
35. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة2، 1403هـ، 1983م.
36. تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، الشيخ المفيد، تقديم السيد هبة الدين الشهرستاني، منشورات الرضي، 1363 ه ش، قم.
37. تفسير العياشي، العياشي، محمد بن مسعود، تحقيق: السيد هاشم الرسولي، طهران، إيران، طبع ونشر السيد محمود الكتابجي وأولاده، د.ت.
38. تفسير القمي، القمي، علي بن ابراهيم قم،إيران، مؤسسة دار الكتاب للطابعة والنشر، ط3، 1404هـ.
39. تفسير نور الثقلين، الحويزي، عبد علي بن جمعة، قم، إيران، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر، ط4، 1412 هـ.
40. تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، 1406، 1986.
41. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1404 ه.
42. التوحيد، الشيخ الصدوق، صححه وعلق عليه: السيد هاشم الحسيني الطراني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
43. ثواب الأعمال، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (الصدوق)، قم المقدّسة: منشورات الشريف الرضي، 1364.
44. جامع السعادات، الشيخ المولى محمد مهدي النراقي، انتسارات اسماعليان، الطبعة: السابعة 1428.
45. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الملقب بقوام السنة، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي،

دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، 1419هـ - 1999م.
46. الحدائق الورديّة، حسام الدين المحلّى، صنعاء، جامع النهرين.
47. الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الأربعة، الملا صدرا صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الرابعة 1990م.
48. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
49. الخصال، الصدوق، محمد بن علي، تعليق: علي أكبر الغفاري، قم، إيران، مؤسسة النشر الاسلامي، 1403هـ.
50. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، النسائي، أحمد بن شعيب، تحقيق: محمد هادي أميني، مكتبة نينوى الحديثة، د.ت.
51. درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م.
52. دعائم الإسلام، النعمان بن محمّد التميميّ، بيروت، دار الأضواء، 1411هـ.
53. الدعوات، سعيد بن هبة الله (قطب الدين) الراونديّ، قم، مدرسة الإمام المهديّ ، 1407هـ.
54. الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، محمد الطيب النجار، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، 1977.
55. ديوان السيد حيدر الحلي، حققه: علي الخاقاني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط4، 1984.
56. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

57. الذرية الطاهرة، أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري (بالولاء) الدولابي الرازي، تحقيق: سعد المبارك الحسن، الطبعة الأولى 1407 هـ، الدار السلفية، الكويت.
58. رجال الكشّي، محمّد بن الحسن الطوسي، مشهد المقدّسة: جامعة مشهد، 1348ش، الطبعة الأُولى.
59. رجال النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد النجاشي، قم المقدّسة: مؤسّسة النشر الإسلامي، 1407ق، الطبعة الأُولى.
60. الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة، مصر، الطبعة: 1403هـ/1983م.
61. الرسالة العرشية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1399هـ.
62. روضة الواعظين، الفتال النيشابوري، محمد بن أحمد، تحقيق وتقديم، السيد محمد مهدي، قم،إيران، منشورات الرضي، د.ت.
63. رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل الصريح، الشيخ جعفر السبحاني، دار مشعر، الطبعة: الأولى.
64. زاد المعاد، العلامة المجلسي، نشر سعدي، طهران.
65. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م.
66. سراج الملوك، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي، المطبوعات العربية، مصر، 1289هـ، 1872م.

67. السنة، أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، حققه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1400.
68. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
69. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار إحياء السنّة النبويّة.
70. سنن الترمذي، محمّد بن سورة الترمذي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
71. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، حققه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنات، الطبعة 3، 1424 ه، 2003 م.
72. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، 1410 ﻫ بيروت.
73. شرح الحكم العطائية، الشيخ أحمد زروق، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
74. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ.
75. شرح القصيدة النونية المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، الدكتور محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية /1415 هـ.
76. شرح ديوان ابن الفارض، بدر الدين حسن البوريني، وعبد الغني بن إسماعيل النابلسي، جمعه: رشيد بن غالب اللبناني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - 2003م.
77. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 1386 ﻫ بيروت.

78. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، حققه الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، 1420 ه، 1999 م.
79. صحيح ابن حبّان، محمّد بن حبّان التميميّ، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1414هـ.
80. صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري، دمشق وبيروت: دار ابن كثير واليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ.
81. الصحيفة السجادية الكاملة، الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، تحقيق وتنسيق: علي انصاريان، المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية في دمشق.
82. الصحيفه الحسينية، الحسين بن علي بن ابي طالب ، طبعه ميرزا محمد، سنه 1958.
83. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الزندقة، ابن حجر الميثمي، إعداد عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية، 1385 ه، القاهرة.
84. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1408هـ.
85. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، 1394هـ.
86. عاشوراء في فكر الإمام الخميني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، مركز نون للتأليف والترجمة، شبكة المعارف الإسلامية، 1432هـ.
87. العباس عليه السلام، المُقرّم، السيّد عبد الرزّاق الموسوي، تحقيق: سماحة الشيخ محمّد الحسّون، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عليهم السلام، إعداد مركز الأبحاث العقائدية، د م، د ت.
88. عُدّة الداعي، أحمد بن فهد الحلّي (م841ق)، قم المقدّسة: مكتبة الوجداني، الطبعة الأُولى.

89. العظمة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، حققه رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، 1408.
90. عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1409 هـ - 1989 م.
91. علل الشرائع ـ الشيخ الصدوق، ط 1386، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف
92. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، 1416هـ، 1995م.
93. عيون اخبار الرضا ، محمد بن على بن الحسين الصدوق، مكتبة طوس، قم المقدسة.
94. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتاب العربي، بيروت.
95. فتاوى السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، دار المعارف.
96. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م.
97. فتاوى اللجنة الدائمة، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع – الرياض.
98. فتح الأبواب، السيد ابن طاووس، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بيروت، لبنان.
99. الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.

100. فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1403، 1983.
101. فضل الكوفة ومساجدها، محمد بن جعفر المشهدي، دار المرتضى، بيروت.
102. الفقه المنسوب للإمام الرضا ، المحقق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم، المؤتمر العالمي للامام الرضا .
103. فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليلة، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن. محمد الطاوس، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.
104. الكافي، أبو جعفر الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، 1363 ه ش، طهران
105. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1997م.
106. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.
107. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد - السعودية – الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414هـ - 1994م.
108. كتاب الفتوح، الكوفي، أحمد بن أعثم، تحقيق: علي شيري، بيروت، لبنان، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، 1411 هـ.
109. كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني، قم - إيران، الناشر: الهادي، ط 1، 1405 هـ.
110. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1407 هـ.

111. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، تعليق: حسن زاده الآملي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط 14، 1433 هـ.
112. الكشكول المبوب، الحاج حسين الشاكري، المطبعة: ستارة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨.
113. الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
114. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
115. كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين عليّ المتّقي بن حسام الدين الهندي البرهانفوري، بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1413 هـ.
116. كنز الفوائد، الشيخ القاضي أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي، المحقق: عبد الله نعمة، دار الذخائر، 1410.
117. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة3، 1414 هـ.
118. لطائف المنن في مناقب سيدي الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشيخ أبي الحسن، أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى، المكتبة الأزهرية.
119. اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، علي بن موسى، قم، إيران، أنوار الهدى، ط 1، 1417 هـ.
120. لواعج الاشجان في مقتل الحسين عليه السلام، السيد محسن الامين العاملي، تحقيق: السيد حسن الأمين، دار الامير للثقافة والعلوم، الطبعة: الاولى 1996م.
121. المأتم الحسيني مشروعيته وأسراره، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، تحقيق: فارس الحسّون، سلسلة الأبحاث العقائدية، دت، دط.

122. متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1417هـ.
123. مثير الأحزان، نجم الدين جعفر بن محمّد بن نما الحلّي، قم، نشر مدرسة الإمام المهديّ .
124. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان،، 1408هـ/1988م.
125. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/ 1995م.
126. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، 1413 هـ، 1/182.
127. المحاسن، ابن جعفر محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الاسلامية، طهران.
128. محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري بك، المحقق: محمد العثماني، دار القلم، 1406، 1986.
129. المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر، بيروت.
130. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
131. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة: الأولى، 1402 هـ - 1984م.

132. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.
133. مدينة معاجز الائمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، العلامة السيد هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية.
134. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، تحقيق محمدمحيي الدين عبدالحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة، 4138 هـ.
135. المزار الكبير، أبو عبدالله محمد بن جعفر بن المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الاولى 1419هـ.
136. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الطبع الجديد، المحدث النوري، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، 1407 ه.
137. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الفكر، 1398 ه، بيروت.
138. مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت.
139. مسند الامام زيد، الامام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
140. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الطبرسي، علي بن حسن، تحقيق: مهدي هوشمند، قم، دار الحديث، ط 1، د.ت.
141. مصباح الزائر، السيد علي بن موسى ابن طاووس، تحقيق. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1411 هـ، قم.
142. مصباح الشريعة، منسوب للإمام الصادق ، مؤسسة الأعلمي.
143. مصباح المتهجّد، محمّد بن الحسن الطوسي، بيروت: مؤسّسة فقه الشيعة، 1411ه، الطبعة الأُولى.
144. المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تقديم كمال يوسف الحوت، 7 مجلدات، دار التاريخ، الطبعة الأولى، بيروت.

145. المعارف، الدينوري، عبد الله بن مسلم، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة - مصر، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1992 م.
146. معالي السبطين، محمّد مهديّ الحائريّ المازندرانيّ، قم، منشورات الشريف الرضيّ.
147. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية.
148. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م.
149. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى، المحقق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة: الأولى، 1405، 1985.
150. مفاتيح الجنان ويليه كتاب الباقيات الصالحات، الشيخ عباس القمي، تعريب: السيد محمد رضا النوري النجفي، مكتبة الفقيه، الكويت، الطبعة: 2004.
151. مفاتيح الغيب (تفسير الرازي، التفسير الكبير)، الفخر الرازي، محمد بن عمر، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1401 هـ/1981م.
152. مقاتل الطالبيّين، علي بن الحسين، أبو الفرج الأصفهاني، قم،إيران، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر،ط2، 1385هـ/1965م.
153. مقتل الحسين عليه السلام، السيّد عبد الرزّاق الموسويّ المقرّم، قم، مكتبة الشريف الرضيّ.
154. المقنعة، الشيخ المفيد، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، 1410 ه قم.
155. مكارم الاخلاق، رضي الدين نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، مكتبة الالفين، الكويت.

156. الملحمة الحسينية، الشهيد الشيخ مرتضى مطهري، تعريب: السيد محمد صادق الحسيني، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1992.
157. من لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ الصدوق، طهران: دار الكتب الإسلاميّة، 1390 هـ.
158. مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب، عني بتصحيحه والتعليق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي، قم، انتشارات علامه، بدون تاريخ.
159. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ، 1986 م.
160. مهج الدعوات ومنهج العبادات، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني، قدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الاعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة: الاولى المصححة 1994.
161. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة.
162. موسوعة العتبات المقدسة ـ جعفر الخليلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
163. موسوعة عاشوراء، الشيخ جواد المحدثي، ترجمة: البيان للترجمة - خليل زامل العصامي، دار الرسول الاكرم - دار المحجة البيضاء، الطبعة: الاولى 1997م.
164. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، قم، دار المعروف، 1415هـ.
165. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، 4 مجلدات دار الفكر، بيروت
166. ميزان العمل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة: الأولى، 1964 هـ.

167. نفس المهموم، الشيخ عبّاس القمّي، ترجمة كمره اى، قم، انتشارات مسجد مقدّس صاحب الزمان، 1370ش.
168. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، حققه وضبط نصه: أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م.
169. نهج البلاغة، الإمام علي ، الشريف الرضي، مركز البحوث الإسلامية، 1395 ﻫ قم.
170. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت، قم المقدسة.
171. وقعة الطفّ، لوط بن يحيى الأزديّ، (أبو مخنف) تحقيق محمّد هادي اليوسفيّ، قم، انتشارات جامعة المدرّسين، 1367ش.
172. ينابيع الحكمة، الشيخ عباس الاسماعيلي اليزدي، مسجد جمكران المقدس، الطبعة: الأولى.
173. ينابيع المودّة، سليمان بن إبراهيم القندوزيّ، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، 1411هـ.

هذا الكتاب

هــذا الكتــاب محاولــة لتجــاوز المنهج التــاريخي في البحث المرتبط بالإمام الحسـين ذلـك أن مكانتـه في الـدين ــ كمـا تـذكر الأحاديث الشريفة المتفق على صحتها ـ تتجاوز المكـان والزمـان؛ فهو يمثل الـدين الأقـوم، والسـراط المسـتقيم، الـذي تحتـاج كـل الأجيال للاستنارة به، والاهتداء بهديه.

وقد رأينا من خلال استقراء ما ورد عنه من روايات، أربع قيم كبرى، لا يمكن لمن يريد أن يطبق وصايا رسول اللـه ﷺ في حقـه أن يتجاوزها، أو لا يهتم بها، وهي:

القيم الإيمانية: ونقصــد بهــا مــا يتعلــق بحقــائق العقائــد، والضوابط التي تحميها من أن تقع فيما وقعت فيه معتقدات الملل والنحل من التحريف والتبديل.

القيم الروحية: ونقصد بها التوجه إلى الله بالعبودية ظاهرا وباطنا، وأسرار المعاني المرتبطة بها.

القيم الأخلاقية: ونقصد بها تلـك الملكـات الراسـخة الـتي تبرز من الباطن إلى الظاهر، لتعبر عن الكمـال المعنـوي للإنسـان وعلاقاته الإيجابية مع كل شيء.

القيم الرسالية: ونقصد بهـا مواجهـة الطـواغيت والظلمـة والانحرافات بكل قوة وشجاعة وبذل وتضحية، كما نقصد بها ذلــك الامتداد الذي يتجاوز به الإمام المكـان والزمـان لينتشـر هديـه في كل الأزمنة والأمكنة، لتتحقق على يديه الهداية العامة الشاملة.

This book

This book is an attempt to pass the historical approach In the research associated with AL- Imam AL-Hussein peace be upon him , So that his place in religion- As well as the honorable Hadiths Agreed upon its validity- goes beyond time and place; He represents the right religion, And the straight path, Which all generations need to enlighten, And to be guided by his gifts.

We have seen through the extrapolation of what was narrated from novels, Four major values, There is no one who can apply the commandments of the Messenger of the God "Allah" prays be upon him" In his to exceed them, or not to care about them , They are:

Faith values: We mean everything related to the facts of Creeds, And controls that protect them From falling into the beliefs of boredom and bees Of tweaking.

Spiritual values: We mean Trust in God in slavery outwardly and inwardly, And the secrets of meanings associated with them.

Moral values: We mean These Well-established queens Which emerge from the sub-to the apparen, To express the moral perfection of mankind And his positive relationship with everything.

Message Values: We mean confrontation to the tyrants and oppressors and distractions, With all the strength and courage and make the sacrific , And we mean that the stretch in which Al-Imam can pass the place and the time in order to spread his guidance for all times and places; in order to achieve the general Comprehensive guidance by his own hands.

Tags: AL- Imam AL-Hussein, Faith, morality, Revolution, spirituality, The message, values, religion.